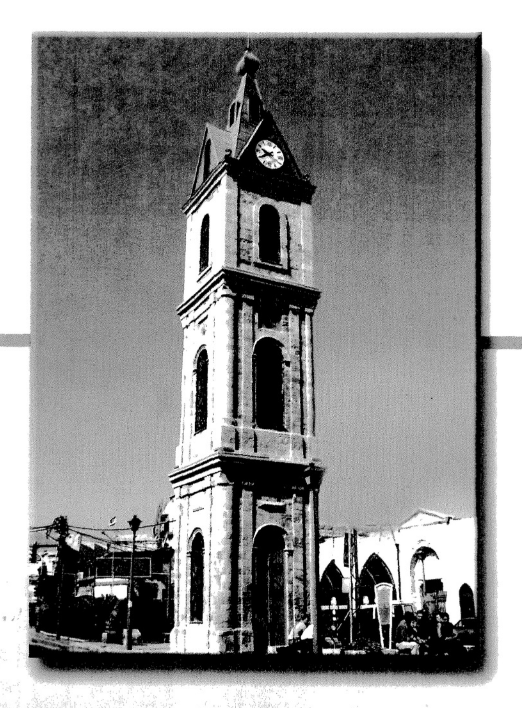
رسالة عشق الى يافا



طاهر أديب قليوبي

اهداءات ٢٠٠٣
الأستاذ/ طاهر أديب قليوبية
الأردن

رسالة عشق إلى يافا

طاهر أديب قليوبي

تلة العرقتنجي - حي العجمي

يافا

فلسطين

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥ / ٨ / ٢٠٠٢)

٩٥٦.٤١٤

قلي قليوبي، طاهر أديب
رسالة عشق الى يافا / طاهر أديب قليوبي - عمان :
المولف، ٢٠٠٢
( ) ص

ر.إ. ٢٠٠٥ / ٨ / ٢٠٠٢
المواصفات : /تاريخ فلسطين / يافا / الثقافة /

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

يطلب الكتاب من المؤلف
تلفون ٥٦٦١٤٥٥ - ٥٦٦٦٧٤٣
خلوي ٠٧٩/٥٦٤٧٦٦٦
ص.ب ٩٢٦٧٤٥ عمان ١١١٩٠ الأردن

المحتويـــات

الصفحة

فهرس الملاحق

فهرس الخرائط

فهرس الصور

كلمة شكر وتقدير

يود المؤلف بادىء ذي بدء، أن يعرب عن عميم الشكر والتقدير والامتنان لجميع الأصدقاء والمعارف والأقرباء الذين لم يبخلوا بالتشجيع والثناء أثناء تحضير هذا الكتاب، ويخص بالذكر الأخوة الكرام الذين تطوعوا بقراءة المخطوط وأسهموا بملاحظات قيمة وجهود صبورة لإنجازه. ولابد من التنويه بالجهد الذي بذله الاستاذ الدكتور جميل علوش الذي تفضل متطوعاً لتدقيق صياغة القواعد والنحو واثرى الصياغة اللغوية بالكثير من ملاحظاته القيمة، أما الباحث التاريخي الاستاذ علي حسن البواب فقد كان مصدراً قيما لاغني عنه في توفير الكثير من المعلومات والايضاحات التي غابت عن غالبية الابحاث المنشورة في موضوع هذا الكتاب.

اخيراً ينوه المؤلف بالجهد الكؤود الذي بذلته الابنة العزيزة (هبة) في طباعة مخطوطات هذا الكتاب الاربعة، والصبر الذي تحلت به خلال مشوار ثمانية اشهر فاستحقت وافر المحبة والشكر.

الإهـــداء

جرت العادة ان يكون الإهداء للوالدين او للأبناء او للزوجة أو لصديق لكني اجتهدت ان لكل هؤلاء من يذكرهم ويتذكرهم :

لذا اخص بهذا الكتاب جرحاً عربياً (فاته الآسى فلم يلتئم[1])

الى شهيد من بلدي في رمال سيناء عاث بجثته وحش صهيوني قبل ان يعبث بها حيوان بري

إلى فدائي شهيد برصاص عربي ظل ثلاثة أيام[2]ملقى على ارض شارع في عاصمة عربية فتيبس دمه راسما ظله على أرض ذلك الشارع.

إلى مهجة عربية في الجولان احرقها النابالم فتفحمت واختفت ملامحها ولم يزدد الضمير الغربي الا طرباً.

الى صبية فلسطينية تشوهت في تل الزعتر، وإلى اختها التي حملتها جرافة وأفراد عائلتها ليواروهم خندق صبرا وشاتيلا[3] في موطن الشاعر الذي قال :

لقـــد خـــمّت بنا الدنيـــا	كـــمـــا خـــمّت بموتانا
فـهـات الرفش اتبـعني لنحـفـر	خندقـاً آخـر نواري فـيـه أحـيـاناً

---

١ - شاعر العرب عمر ابو ريشة، ديوان عمر أبو ريشة، مجلد ١ ص ٧

٢ - وقالت الرواية " وكان بطنه منتفخاً كالطبل"

٣ - الأديب الشاعر ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، ص ١٤

المقدمـــة :

هجّرونا من يافا في ١٩٤٨/٤/٢٤ وكان عمري آنذاك تسعة عشر عاماً، وقد تقدمت يومها لتوي لامتحانات الثانوية العامة (المترك) انحشرنا أربعة عشر نفراً وما يلزم من الفرشات واللحف والملابس في سيارة صندوق لنقل اللحوم مساحتها ستة أمتار مربعة تقريباً، ووجهتنا القدس الى بيت إخواني هناك.

على باب يافا وقريباً من سبيل ابو نبوت قالت امي قُدْسِية المنشأ (كحلوا عيونكم من يافا، الله اعلم متى نشوفها ثانية (اي متى نراها)

كان هذا منذ اثنين وخمسين عاماً، ولم تشاهد امي يافا بعد ذلك اليوم قط.

كل ليلة منذ ذلك اليوم إذا ماخلدت للنوم باستثناء حالات نادرة، كنت ولا أزال كل ليلة أعيش ولو لبرهة قصيرة في شوارع يافا، وحاراتها، وشواطئها، بلا انقطاع، اثنين وخمسين عاماً. منذ عشر سنين بدأت اجتمع بصورة مكثفة بالجمهور اليافي في جمعية يافا - عمان، ومنهم كبار السن ممن ولدوا في يافا لكنهم غدوا غير ملمين بملامحها ومعالمها، وكذلك الشابات والشبان الذين ولدوا في المهجر يحدوا الغالبية منهم شوق لمعرفة هذا المكان الذي طالما سمعوا عنه من ذويهم لكنهم لايعرفون عنه الكثير، ومع الأسف، البعض منهم يفتقد حتى ذاك الارتباط العاطفي الدافق بالمدينة التي اليها ينتمون.

ثم انه خلال السنوات الخمس الماضية بدأت وشائج القربى وصلات الروح تتوثق بيني وبين فريق من بنات وأبناء جيلي في عمان (لجنة اصدقاء يافا - عمان) وبين مدينتنا يافا ممثلة برفاق (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الهيئة الادارية (للرابطة لرعاية شؤون عرب يافا).

في مدينة يافا رابطة منتخبة تمثل اهلنا هناك وتسعى للدفاع عن مصالحهم لا بل عن وجودهم، تقارع كل يوم قوة الاحتلال الغاشمة وتسترجع شيئاً فشيئاً بعض الذي سلبوه منا، الجولات الليلية استبدلت بنضال لدعم ذلك الوجود البطولي العربي في مهد كنز الذكريات.

كذلك في السنوات الاخيرة، لعلها ايضا المحطة الاخيرة من العمر، إذ أن المؤلف قد تجاوز السبعين عاماً، وجد نفسه وقد اتسع النشاط المشترك مع اهلنا في يافا، مضطراً ان يزورها ليتعرف على المجتمع العربي هناك ويلم إلماماً كافياً بالصعوبات والاحتياجات.

نعم، بعد اثنين وخمسين عاماً من الرفض المطلق لمجرد التفكير في النكوص أمام علم الأعداء والتمنع عن المرور فوق جسر الكبرياء[٤].

بعد كل هذه السنين من الرفض والإباء وجد المؤلف نفسه مقتنعاً بان مثل هذه الزيارة اصبحت

٤ - الطريق إلى يافا يمر فوق جسر على نهر الأردن

واجباً وطنياً يقتضيه الالتزام والولاء.

وتمت الزيارة...

فماذا وجد هناك؟ هذا الذي عايش يافا وحاراتها، وأزقتها، هذا الذي يتلذذ بتنفس غبار السنين والأيام على أوابدها ويقتات هشيم العمارات وبقايا الحدائق والبيارات.

ماذا وجد ؟

وجد ان العدو الصهيوني يحاول قتل الآنا ... والمكان

ابتدأ بأهم معالم يافا وملامحها، الشواطىء التي كانت عنوان يافا ونكهتها، عاث فيها طمراً ودفناً حتى لم تعد هناك.

ذهب المؤلف متلهفاً ليعيشها ثانية، فلم يجدها.

إن البرابرة من بني صهيون يقتلون العلاقة بين الإنسان والمكان ويسرقون الذكريات.

وضحت الرؤيا وبان الهدف، الهدف هو الجيل العربي الذي ولد محروما من رؤية يافا ومن ذكريات وصور وشوق لتلك الربوع التي ارتبط بها وجدانه.

مطلوب إذن ممن يقدر على هكذا مهمة أن يقدم لهذا الجيل العربي الجديد وعاءً فكرياً، مجالاً نفسياً، عالم أخيلة، وذكريات يعيش من خلالها يافا حتى لا تنقطع الصلة بينه وبين الثدي الذي ارضع الآباء والأمهات.

نعم، في هذه المحطة من العمر، ولعلها الأخيرة، إذا أوشك جيل الآباء على الرحيل أصبح من واجب من هو قادر ان يقدم للجيل الجديد من ابناء يعرب : ملحمة يافية تكون مزيجاً من الحقائق والمِلَح تجذب الجيل الناشىء في المهاجر وتغمره بهالة ذكريات ونشوة كما تزوده بصلة حميمة وثيقة "بأم الغريب"

وتعرفه ببعض ملامح "عروس البحر[٥]"

التي غدت "دمعة على خد الخلود[٦]"

صار لزاما رغم عشرات الكتب عن يافا متخصصة او شاملة ان يكتب احدهم تلك الملحمة، ولقد تطوعت لذلك.

لذا، كان هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارىء لعل احداثه وذكرياته تشجيك، كما تشجيني.

---

٥ - من اسماء يافا المحببة لأبنائها

٦ - طاغور شاعر الهند الأكبر واصفاً قبر (تاج محل)

الفصــــل الأول

أرض كنعـــان

الفصـــل الأول

أرض كنعـــان [٧]

فلسطـين

فلســتين الإغــريقــيـــة[٨]

أمـــورو البـــابلـيـــة[٩]

فلســتـيــا الأشــورية[١٠]

ياريمونا الفــرعــونـيـــة[١١]

راتيـنو الـفــرعــونيـــة[١٢]

حـــورو الفــرعــونيـــة[١٣]

الأراضي المقدسة Terra Sancta البيزنطية[١٤]

٧ - كلمة كنعانية تعني الأرض المنخفضة، وسميت كذلك لأن الأراضي السهلية التي استقر فيها الكنعانيون كانت أخفض من المنطقة الجبلية وقد انتشر هذا الاسم فأصبح يطلق على مجمل فلسطين.

٨ - إلياس حنا رنتيسي، تاريخ يافا من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص ١٠٢ .

٩ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ١٣٢

١٠ - فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ص ٨٥ .

١١ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٦٠ .

١٢ - توماس ل. طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص ١٣٧، ترجمة صالح علي سوداح.

١٣ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٩٨

١٤ - السيد إيليا الجلدة، حديث شفوي (هذا الاصطلاح استعمل في بداية القرن الثالث عشر ١٢١٩ في عهد الملك "الكامل" الذي منح "رهبنة الاخوية الأصاغر" برئاسة "القديس فرانسيس" (الفرنسيسكان) حق خدمة وحراسة الأماكن الدينية في "الأراض المقدسة")

أرض كنعان "فلسطين"

الموقع

تقع فلسطين في الجزء الجنوبي من الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بين خطي عرض ٢٩،٣٠ و ٣٣،١٥ وبين خطي طول ٣٤،١٥ و ٣٥،٤ شرقي غرينيتش.

يحدها شمالاً سوريا ولبنان وإلى الشرق يقع الأردن وسوريا، وفي الغرب يمتد البحر المتوسط وتليه سيناء حتى "أم الرشرش" ميناء فلسطين على البحر الأحمر قبالة "العقبة" الأردنية (إيله)[١٥] وتروى "ويله" [١٦] أيضاً حسب ما أورده المقدسي.

مساحة فلسطين سبعة وعشرون ألف كيلومتر مربع.

التضاريس الطبوغرافية والطبيعية

تتكون فلسطين من أربع كتل طبوغرافية هي :

السهل الساحلي ويمثل ١٦،١٪ من مجموع المساحة، المنطقة الجبلية ٢٤٪، النقب - وهي كلمة كنعانية تعني الجنوب[١٧] ٤٦،٥٪ وغور الأردن ٣،٩٪. أما الباقي فيمثل بحيرة طبريا والبحر الميت.

طول الشاطىء الفلسطيني حوالي ٢٤٠ كيلومتراً مقسمة كالتالي :

الجزء الشمالي ابتداء من الحدود الفلسطينية / اللبنانية (رأس الناقورة) حتى حيفا.

الجزء الأوسط من حيفا وحتى يافا ٩٠ كيلومتراً.

أما الجزء الجنوبي فيبدأ من يافا حتى رفح على حدود مصر.

عرض الساحل الفلسطيني يتراوح بين ٢ كيلومتر شمال عكا الى حوالي ٢٣ كيلومتراً في منتصفه قبالة يافا وحوالي ٤٥ كيلومتراً عند موقع غزة.

الأنهار والوديان الجارية

يخترق السهل الساحلي من الشرق إلى الغرب باتجاه البحر الأنهار والأودية التالية :

نهر النعامين يصب في البحر جنوب عكا مباشرة.

نهر المُقَطّع بين عكا وحيفا، نهر الزرقا (التمساح) جنوب قرية الطنطورة (دورا) الكنعانية، نهر المُفَجر جنوب قيسارية، نهر اسكندرونة (المالح) ويخترق سهل وادي الحوارث ومساحته ٣١ ألف دونم

---

١٥ - مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٤، ق٢، ص ٧ .

١٦ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ج٤، ق٢، ص ١٦

١٧ - أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص ١٢ .

باعته عائلة التيان اللبنانية إلى اليهود وشردت سكانه العرب مثلما باعت عائلة سلام اللبنانية أيضاً سهل الحوله، نهر الفالق يقع إلى الجنوب من وادي الحوارث، يليه نهر العوجا شمال يافا وهو ثاني أكبر أنهار فلسطين بعد نهر الأردن ويسمى أيضاً : اليرقون (اسم كنعاني يعني المياه الصفراء) كما يسمى جريشة والهدار وأبو فطرس.

جنوب يافا يجري نهر روبين يليه نهر صقرير شمال اسدود ثم وادي الحِسّي ووادي غزة.

الموانىء البحرية

تنتشر على شاطىء فلسطين موانىء عريقة عديدة يعود البعض منها إلى أربعة آلاف عام وذلك لكون فلسطين تتوسط بلدان الحضارات القديمة في مصر، سوريا، العراق، اليونان والرومان، وقد لعبت هذه الموانىء دوراً هاماً اقتصادياً وعسكرياً.

الموانىء الفلسطينية مرتبة من الشمال إلى الجنوب هي : عكا، حيفا، عتليت وهو أثري مندرس[١٨]، الطنطورة (دورا)، قيسارية وهي ميناء أثري روماني مندرس، أرسوف ميناء عربي أثري، عسقلان، ميماس ميناء أسدود وغزة (ميوما)[١٩] باللغة الفرعونية.

الموانىء من يافا شمالاً وحتى غزة جنوباً بناها اجدادنا الكنعانيون ابتداء من الألف الثالثة ق.م.

السهل الساحلي

ينقسم السهل الساحلي إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

سهل شارون، وهي كلمة كنعانية قيل انها نسبة إلى اسم المدينة التي وفد منها الكنعانيون إلى فلسطين (لِشارون) كما قيل ان معناها الأرض الخصبة[٢٠]، يمتد هذا السهل من حيفا شمالاً وحتى نهر روبين جنوب يافا.

سهل فلسطيا ينبسط بين يافا وغزة وقد أخذ اسمه من شعوب البحر المتوسط التي هاجرت إليه من جزيرة كريت.

سهل شِفالا (أي الأسفل) يقع الى الشرق من سهل فلسطيا ويمتد حتى المرتفعات الجبلية ويستمر شمالاً موازياً لسهل فلسطيا.

تكوّن هذا السهل من عصر البليوستوسين في الزمن الجيولوجي الرابع[٢١] من ترسبات المواد

---

١٨ - انيس الصايغ، بلدانيه فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧)، ص ,٢٠٦

١٩ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٢٧ .

٢٠ - د. عز الدين غريبة، قصة مدينة يافا ص ١٢ .

٢١ - الموسوعة الفلسطينية، القسم العام م٢ ج - ش ص ٥٩٥ .

الغرينية والطينية التي كان نهر النيل ينقلها من هضبة الحبشة ويرسبها في البحر الأبيض المتوسط وتنقلها التيارات المائية إلى شاطىء البحر الشرقي حيث تختلط برمال البحر ومزيد من المواد الغرينية والطينية، تجرفها أنهار وسيول فلسطين من المناطق الجبلية. عبر أزمنة عديدة تحجر هذا المزيج مكوناً طبقة صخرية هشة لاحتوائها على نسبة عالية من الرمل سميت صخر الكركار. خلال العصر الجيولوجي الرابع ارتفع قعر البحر ولازال يرتفع تدريجياً وأصبح جزءاً من اليابسة، طبقة الكركار نتيجة تعرضها لعوامل التعرية، تفتت وتحولت إلى ما يعرف في علم تصنيف الأراضي (علم التربة) باسم "تربة البحر المتوسط الحمراء Terra Rosa". وهذه تعتبر من أخصب أنواع الأراضي خاصة وأنها تخلو من أية مشاكل كيميائية كوجود الأملاح أو القلويات وكذلك لأنها تقع في منطقة معتدلة المناخ جيدة الأمطار، بالإضافة إلى قرب مستوى سطح الماء الأرضي وبالتالي يعتبر السهل الساحلي الفلسطيني من أخصب بقاع حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ القدم وحتى عشرة آلاف عام قبل الميلاد كان هذا الساحل وخاصة مابين حيفا ويافامغطى بغابات كثيفة من البلوط والأرز والخروب والزيتون البري وغيرها من أشجار وشجيرات حوض البحر المتوسط الحراجية.

وكان كذلك مسرحاً وموئلاً لمختلف الحيوانات البرية كالأسود، النمور، الفيلة، فرس النهر، وحيد القرن، التماسيح، النعام وبقر الوحش (مختلف أنواع الغزلان، كما تدل على ذلك المستحثات (المتحجرات) والبقايا التي أماط عنها اللثام الباحثون الأثاريون والجيولوجيون، وقد أورد زوار المنطقة خلال العصور الحديثة قبيل وبعد الميلاد أوصاف بقايا هذه الغابات.

الفصل الثاني

ولادة مدينة عريقة واسطورة حب اغريقية

موقع يافا :

في منتصف الساحل الفلسطيني تقريباً وعلى بعد ٩٠ كم جنوبي حيفا و ٩٠ كم أخرى شمالي غزة تقع على شاطىء البحر مباشرة تلة ترتفع عن السهل المحيط بها حوالي ٣٥ متراً. هذه التلة هي الوحيدة على الشاطىء الفلسطيني بين حيفا وغزة. يقع بقربها مباشرة نبع ماء عذب وقبالتها في البحر تنتشر صخور على شكل هلال يمتد من الجنوب إلى الشمال مكوناً حوضاً (ميناء) طبيعياً أمناً لرسو السفن الشراعية التي كانت سائدة في العصور القديمة.

هكذا حبت الطبيعة هذا الموقع كل الصفات التي تؤهله ليكون مستوطنة بشرية منذ أقدم العصور فهو مشرف على ما حوله يستكشف الغزاة عن بعد وهو منيع يسهل الدفاع عنه والماء بجواره في أوقات الحصار والحيد الصخري جعله قبلة الأساطيل البحرية التجارية والعسكرية. ناهيك عن اعتدال مناخه صيف شتاء.

السكان الأوائل

لاغرو اذاً أن ينجذب السكان الأوائل من فصيلة الإنسان العاقل Homo Sapien من أبناء العصر الحجري الأول إلى هذا المرتفع ويتخذوه سكناً ومأوى لهم قبل حوالي عشرة آلاف عام (٨٠٠٠ ق.م.) حسب مكتشفات الحفريات الآثارية التي أجريت في عدة أماكن حول مدينة يافا، ويرجح علماء الأنثروبولوجيا أن هذه الفئات لم تكن من الشعوب العربية القديمة (السامية) وإنما كانت خليطاً من أقوام أخرى (شواطىء البحر المتوسط) إذ يظن أنها كانت بيضاء البشرة شقراء الشعر[٢٢]، وذلك لوجود أنصبة الحجارة المعروفة باسم Dolmen في أماكن متفرقة من فلسطين والتي يوجد أشباه لها في شمال أوروبا وبريطانيا.

وبهذا تعتبر يافا من أقدم مدن العالم ومن المدن القليلة التي ظلت مؤهولة منذ الألف السابعة قبل الميلاد.

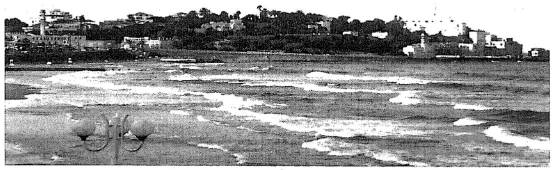
الهجرات العربية القديمة (السامية)*

لعل أقدم موجات الهجرة العربية القديمة من الجزيرة العربية حدثت حوالي عام ٤٥٠٠ ق.م تلتها

---

٢٢ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٤٩.

* اصطلاح سامي، آري إلخ، هي مصطلحات ابتدعها البروفيسور شلوتزر لتقسيم اللغات المختلفة وليس لتقسيم الشعوب والأمم، لذا سنستعمل في هذا البحث كلمة عربي قديم وهي الأصح بالمعنى الأثني (اجناس الشعوب)



١ - الأكمة البحرية مهدُ يافا منذ عشرة آلاف عام

هجرة ثانية حوالي عام ٣٠٠٠ق.م. شملت الأموريين أو العموريين الذين جاءوا من الشواطىء الشرقية للجزيرة العربية[٢٣] على الخليج العربي إلى العراق، سوريا، لبنان وفلسطين. ويستدل على منشئهم أن أسماء القرى في تلك المنطقة والتي لازال البعض منها قائماً حتى الآن، جبيل، صور... هي نفسها التي نقلوها معهم إلى الشاطىء اللبناني، السوري، الفلسطيني.

الكنعانيون

العموريون الذين استقروا في فلسطين، أصبحوا يعرفون (باسم الكنعانيون)[٢٤] أنشأوا مدناً عديدة حصنوها بأسوار منيعة وأسسوا حضارة متقدمة في الزراعة والصناعة، وبذا سميت فلسطين (أرض كنعان).

وكان لكل مدينة استقلالها وملكها الخاص، من المدن التي انشأوها في الساحل الفلسطيني[٢٥] : يافا وأسمها الكنعاني (يافي) أي الجميل، أفيق (رأس العين)، غزة، عسقلان، تل الجريشة، بني براق، كفر عانة، أرسوف (سيدنا علي)، عكا (عكو) باللغة الكنعانية[٢٦] تعني الرمال الدافئة.

أما في غور الأردن فقد انشأوا مدينتي أريحا ومجدو (قرب بيسان) وفي المنطقة الجبلية انشأ اليبوسيون[٢٧] وهم فرع من الكنعانيين مدن يبوس (القدس)، شكيم (بلاطة - نابلس). أما (بيت

٢٣ - د. عبدالوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٣ .
٢٤ - اكرم زعيتر. المرجع السابق، ص ١٩ .
٢٥ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٨٤ ، ٨٥ .
٢٦ - سعد يوسف الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية، ص ٧ .
٢٧ - محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، ص ٧٧ .

لحم) فقد انشأها الكنعانيون حوالي عام ٢٥٠٠ ق. م إلى جنوب القدس وأقاموا في جهتها الشرقية هيكلاً لإله الخير والخصب "لحاما" [٢٨]ومن هنا جاء اسمها "بيت لحاما" الذي تحول الى "بيت لحم". يعلمنا التاريخ كذلك أن ميناء يافا يعتبر من أقدم الموانيء البحر المتوسط حيث ترددت عليه سفن الفراعنة والفنيقيين والإغريق ومن تبعهم من أمم وحضارات.

يافا في الميثيلوجيا الدينية[٢٩]

ورد في الميثيلوجيا الدينية القديمة أن مدينة يافا بنيت قبل الطوفان العظيم، حيث بني النبي نوح فلكه فيها، ثم بعد انحسار الماء جاء ابنه يافث وأعاد بناءها (بليني المؤرخ الروماني المشهور Pliny ٢٣ - ٧٩م).

الفينيقيون

أما القسم الآخر من العموريين فقد سكن الساحل السوري واللبناني وأتقن الصناعة والملاحة البحرية نظراً لضيق الأرض الزراعية.

وقد أتقنوا صناعة النسيج خاصة ذي اللون الأحمر الأرجواني الذي كانوا يستخرجون صبغته من محار المريق (Murex) البحري الموجود في شواطيء صور وصيدا ويسمى باليونانية فينكس Phoinix[٣٠]، وكانوا يتاجرون بهذا النسيج بكثرة مع الجزر اليونانية فعرفوا باسمه، مع مرور الزمن تحرف الاسم فأصبح الفينيقيون Pheonicians، كذلك اشتملت متاجرتهم المعادن والخزف والزجاج والحنطة والزيت والخمر.

منذ عام ١٣٠٠ ق.م أصبحت كلمة فينيقي تعادل كلمة كنعاني.

من المدن التي انشؤوها على الساحل السوري - اللبناني أوجاريت، جبيل، صور وصيدا. وكان من نتاج تقدمهم الحضاري تطوير ونشر الأبجدية الهجائية التي أول ما اخترعت عل أيدي أبناء عمومتهم الكنعانيين كما تدل على ذلك المكتشفات الاثارية في شبه جزيرة سيناء[٣١].

٢٨ - حنا عبدالله يوسف جكمان، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، ق ١، ج١، ص ٣١. أما الباحث محمد حسن شراب في كتابه معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية ص ٨٨ فيقول ان لحم تعود إلى الإله لخمو الكنعاني، وفي السريانية تعني بيت الخبز.

٢٩ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٩٨ .

٣٠ - فليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، م١، ص ١٣٢ .

٣١ - د. أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص ١٨٠ - ١٨١ .

الغزو الفلسطيني

حوالي عام ١٣٠٠ ق.م غزت الساحل الفلسطيني قبائل من شعوب البحر المتوسط اليونانية (الأرجح من جزيرة كريت). كان أقواها قبيلة تسمى "فِلِشتْ" التي حرفت إلى "فلست" ثم إلى "فلستين". استقروا جنباً إلى جنب مع الكنعانيين وتبنوا الحضارة واللغة والديانة الكنعانية واضافوا مدينة "بيت داجون" "بيت دجن" الحالية بظاهر يافا. كانوا يتقنون صناعة الحديد وخاصة السيوف الحديدية لذا كانوا متفوقين دوماً على أعدائهم العبرانيين الذين كانوا معهم في صراع دائم. مجيء الفلسطينيين إلى أرض كنعان لم يعطها اسماً جديداً فقط، إذ أصبحت تدعى فلسطين * ولكنه أثراها بأسطورة حب إغريقية تغنت بها الأجيال وألهمت الشعراء والرسامين في أوروبا عصوراً طويلة، لا بل ونقشت على قطعة نقود صكت في مدينة يافا أبان العهد الهلينيستي (٣٢٠ - ٧٠ق.م)وتعود إلى حوالي عام ٦٦ ق.م.

أندروميتا أميرة إغريقية أنقدها جمالها من الموت[٣٢]

أندروميتا التي عاشت في القرن الثامن قبل الميلاد هي ابنة ملك يافا كيفيوس الأثيوبي، (قدماء اليونان كانوا يطلقون لقب الأثيوبي على سكان مصر وسوريا في ذلك الوقت) وكانت أمها كاسيوبيا باهرة الجمال تتحدى به حتى حوريات البحر مما أغضب إله البحر بوسيدون فأرسل طوفاناً على البلاد ووحشاً بحرياً يجلب الخراب والموت. إقْتُرح على الملك أن يفتدي يافا بتقديم ابنته أندروميتا ضحية ليفترسها هذا الوحش وبذا تخلص البلاد من مصائبه، ربطت أندروميتا، كما تقول الأسطورة، بالسلاسل إلى الصخرة الضخمة التي في مقدمة ميناء يافا (يسميها بحارة يافا باب البوغاز) ضحية لإنقاذ البلاد.

لكن، كان هناك بطل إغريقي يمر طائراً فوق البحر. إذ كان يلبس حذاءً مجنحاً هدية من أحد الآلهة، وقع بصره على الفتاة فأُخذ بجمالها ثم تقدم منها وعرف قصتها. ذهب إلى أبيها الملك يستأذنه أن يزوجها له إن هو قتل الوحش البحري. وهكذا أنقذت يافا وتزوجت الأميرة الجميلة من البطل الإغريقي، هذه الصخرة تدعى منذ ذلك الحين صخرة أندروميتا.

---

* يذكر الجغرافي العربي الشهير شهاب الدين ياقوت الحموي في المجلد الرابع من مؤلفه الموسوعي (معجم البلدان) (فلسطين سميت كذلك على اسم (فلسطي) بن إرم بن سام بن نوح ثم يستطرد فيقول اما الزجاجي فيقول (سميت كذلك تبعا لفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح).

ورد في الصفحة ٢٤٧ - معجم البلدان حـ ٤، دار صادر بيروت ١٩٥٧ .

٣٢ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ١٢٥- ١٢٦ .

موجات هجرات عربية وغزاة أجانب

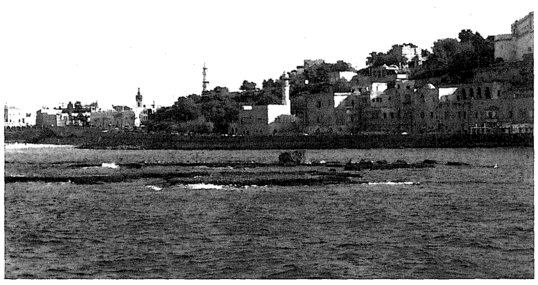
خلال هذه المرحلة أيضاً استمر التدفق البشري العربي من الجزيرة العربية إلى أقطار الهلال الخصيب. الكنعانيون جاء بعدهم الآراميون حوالي ١٥٠٠ ق.م وانتشروا في سوريا وجزء من الأردن وفلسطين ولبنان. كان نفوذهم قوياً بحيث أصبحت لغتهم لغة التخاطب الدبلوماسي في العالم المعروف حينئذ.

العرب الأنباط جاءوا بعد ذلك حوالي عام ٥٠٠ ق.م واستقروا في شرقي الأردن وجنوب سوريا وتبعهم بعد ذلك فيض من القبائل العربية مثل كنانة ولخم.

تلا ذلك اليونان المقدونيون بقيادة الإسكندر الكبير ثم ساد العهد الهِلّيني* بلاد الهلال الخصيب. عقبهم الرومان فالإمبراطورية البيزنطية.

أما آخر موجة استيطان بشري فكانت موجة الفتح العربي الإسلامي، حين اندفعت الجحافل والقبائل العربية بقيادة القائد الفذ عمرو بن العاص في القرن السابع الميلادي فحررت سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ودمغتها عربية إلى الأبد.

تلا ذلك الأُمويّون ثم العباسيون فالفاطميون، ثم السلاجقة، الأتراك، ثم الفرنجة (الصليبيون) فالتتر، فالمماليك، فالأتراك العثمانيون، فالمصريون ، ، فالفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت، وانتهوا بالإنجليز في الحرب العالمية الأولى وصنيعتهم الصهيونية.



٢ - صخرة اندروميتا وقصة حب اغريقية

* اعتمدت ترجمة قاموس المورد انكليزي - عربي لكلمة Hellenistic باصطلاح هليني العربي.



٣- جزء من الواجهة البحرية

منارات وعثرات خلال أربعة آلاف عام

خلال الأربعة آلاف عام الماضية شهدت يافا العديد من فترات الازدهار والنمو والتقدم، كما شهدت سيلا من النكبات والكوارث الطبيعية وذلك بسبب موقعها الهام المركزي بين حضارات وشعوب العالم المعروف خلال هذه الفترة الزمنية وعلى الطرق البرية منها والبحرية بين مختلف هذه القوى.

إجمالاً يمكن القول إنها شهدت مرور أكثر من ستة عشر غازياً وفاتحا رئيسياً.

بابل وآشور وفارس والرومان اكتفوا من احتلال يافا بأخذ الجزية وضمان حرية المرور، أما مصر الفرعونية فكانت دوما تعتبرها خط الدفاع الأول بريا وبحريا، لذا كانت تحتفظ دائماً بوجود عسكري لها أو كحد أدنى إداري في يافا. الباقون من شتى الاقوام مروا وافلوا ونشهد اليوم اخرهم موجة الصهيونية البربرية وهي ايضا إلى زوال.

غزو العبيرو (العبرانيين)

حوالي عام ١٢٠٠ ق. م دخلت فلسطين عبر شرق الأردن قبائل بدوية عرفت بالعبيرو والعبرانيين وهم خليط من أقوام سامية وغير ذلك، اصطدموا بالكنعانيين ثم بالفلسطينيين وظلوا في حروب بين أنفسهم وبينهم وبين الكنعانيين والفلسطينيين طيلة وجودهم القصير في فلسطين.

هذه القبائل البدوية العبرانية لم تكن ندا للمدن الحصينة المسورة التي بناها الكنعانيون

والفلسطينيون لذا بقيت تائهة متنقلة خارج هذه المدن مدة تزيد عن مائتي سنة ثم أسست مملكة على يد الملك داود بن يسي (١٠٠٤ ق.م) كانت عاصمته الخليل ثم احتل القدس فيما بعد [٣٣] وخلفه ابنه سليمان فدامت المملكة موحدة حوالي ٧٠ سنة (١٠١٠ - ٩٣١ ق.م) ثم انقسمت بعدها إلى مملكتين إسرائيل في شكيم (نابلس) ويهوذا في القدس.

طيلة هذه المدة لم يتمكن العبرانيون من دخول يافا فاتحين مُحتلين، إلا أنه حوالي عام ١٧٩ ق.م تمكنت ما تعرف تاريخيا باسم ثورة المكابين من دخول يافا لفترات قصيرة وخلال نفس المرحلة كان الأباطرة الرومان يستعينون بالبعض من اليهود لحكم الساحل الفلسطيني ومنطقة القدس. ثم انطووا من التاريخ ولم يبق لهم وجود سياسي أو فعلي في فلسطين على يد الإمبراطور الروماني هدريان عام ١٣٥ م[٣٤] .

النظرية الجديدة للوجود العبري في فلسطين[٣٥]

إن للوجود اليهودي في فلسطين قصة أخرى تختلف كل الاختلاف عما ورد في الكتب السماوية وكتب التاريخ التقليدية. حسبما ينظر (المؤرخون الإسرائيليون الشباب الجدد) يعتقد هؤلاء المؤرخون أن اليهود في فلسطين ظلوا مجموعات بدوية بدائية على ضفاف المدن الفلسطينية القائمة في ذلك الوقت كيافا وعسقلان والقدس ونابلس (شكيم) دون أن يكون لهم دور حضاري في تاريخ فلسطين.

يؤيد هذا التنظير أن جهود الآثارين من جماعة Palestine Explaration Fund مثل :

Albright, W.F. وغيره في عهد الانتداب البريطاني الأسود. ثم أبحاث العدو المحتل خلال أربعين عاما التالية بعد عام ١٩٦٧ لم تكشف عن موقع حضاري واحد يدل أو يثبت دعاوي مملكتي يهودا والسامرة التي يدعون. كذلك وكما تورد التوراة وكثير من المراجع التاريخية فإن اليهود في تلك المرحلة رجع البعض منهم إلى الديانات الوثنية كما أنهم تبنوا العادات والتقاليد الكنعانية[٣٦].

لإلقاء مزيدا من الضوء على هذه النظريات الحديثة نقتطف فيما يلي بعض أقوال المؤرخ الآثاراتي البروفيسور توماس ل. طومسون في كتابه الشهير "التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي" يذكر المؤلف في الصفحات التالية مايلي :

---

٣٣ - عبدالوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص ١٤ .

٣٤ - د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٧١٩ الطبعة السادس - دمشق

٣٥ - كيت وايتلام، اختلاق سرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة (د. سحر الهنيدي) ص ٢٤٩ .

٣٦ - توماس ل طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي.

المؤلف كان أستاذ علم الآثار في جامعة مارك ويت بولاية ميلووكي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد فقد وظيفته بضغط من الأوساط اليهودية بعد صدور كتابه المذكور اعلاه في عام ١٩٩٢ ، وذلك لأن الجامعة التي كان يعمل فيها تحصل على دعم مالي من الكنيسة والمهم في نظرها (ليس ان تملك النصوص التاريخية قيمة تاريخة فحسب، بل ان تتفق مع وجهة نظر نواميس العقيدة) المصدر : صحيفة الحياة ١٩٩٢/٦/٣ .

الصفحة الخامسة : هناك "في الأوساط الأكاديمية في أوروبا وأمريكا من لم يعد يعتبر التوراة عنوانا للحقيقة، ويشكك بسلامة اعتمادها اساسا للتاريخ".

الصفحة الثالثة عشر : "إن الدارسين للأدب والأدب المقارن وبالاستناد إلى الدراسات الأركيولوجية بينوا بصورة مقنعة ان الوثائق الكتابية (نسبة الى كتاب التوراة) تجد أصلها في أدب شعبي متناقل منذ مدة طويلة سابقة على تاريخ تأليفها"، في التوراة.

الصفحة الرابعة عشر : "أي أن العهد القديم(يقصد التوراة) لم يكن تاريخا تحول إلى خيال بل خيالا تحول إلى تاريخ".

يافا والوجود اليهودي

كانت يافا وما جاورها، كما تقول التوراة، من حصة دان بن يعقوب (أحد الأسباط الإثني عشر) فوجدها منيعة الأسوار متقدمة التسليح وفيرة القوة فعدل عنها وإتجه شمالاً حيث انفرد بقربه معزولة في شمال فلسطين ففاجأ أهلها على حين غرة وهزمهم وشردهم واتخذ ديارهم منزلاً له ولجمعه.

بقيت يافا مدة مائتي سنة بدءاً من المملكة المتحدة في عهد داود وسليمان عصية عليهم لا يجرؤون على الاقتراب منها لكن سكنها عشرات العائلات اليهودية كأقلية مستضعفة. تلا ذلك عصر يعرف بحكم المكابيين حوالي ١٧٠ - ٧٦ ق.م. وهم عائلة متزمتة دينياً تميز وجودها بصراعات داخلية عنيفة فيما بين قياداتهم المختلفة وكذلك بينهم وبين فارس وآشور وبابل والمصريين والرومان وكانوا دوماً تحت نفوذ واحدة من هذه القوى.

خلال حكم المكابين (منطقة نابلس)، حدث صدام بين العائلات اليهودية المقيمة في يافا وبقية السكان، ففرت العائلات اليهودية إلى البحر ليقضوا ليلتهم في المراكب خوفاً من أهل يافا. صدفة هاج البحر في تلك الليلة وهبت عاصفة هوجاء أغرقت اليهود بكاملهم.

سمع المكابيون بالحادثة وجاءوا إلى يافا للانتقام. لكنهم لم يكونوا صنواً لأسوار المدينة المنيعة وحماتها. تسللوا ليلاً إلى الميناء حيث المراكب اليافية فأضرموا فيها النيران وعادوا على أعقابهم.

انتهز اليهود فترة القلاقل التي سادت بين القائدين الرومانيين قيصر وأغسطس (ق.م) وسكن البعض منهم في يافا ثانية.

راحوا يمارسون القرصنة البحرية ضد السفن التجارية المدنية مما أثار قلق روما فأرسلت القائد فلافيوس فسباتس عام ٦٨ ليقمع الإضرابات اليهودية فاحتل يافا وسحق القراصنة اليهود وغير

اسمها إلى فلافيا يوبي. وكان القائد الروماني بومبي قد قضى عام ٣٧ ق.م على بقايا المملكة المكابية في نابلس.

العبيرو يفتشون عن دور

لم يجد العبيرو / العبرانيون لأنفسهم دوراً ذا بال في وسط تلك الدوامة من الأحداث والصراعات الدولية والصراعات المضادة بين أصحاب الشأن "الغوييم" أي غير اليهود وهم ذوو الأدوار الرئيسة على مسرح الشرق الأوسط.

فماذا عمل العبيرو؟

تفتقت عبقريتهم عن الأفعال التالية وللقارئ اللبيب ان يحدد مغزاها :

أ - دور إبراهيم أبو** العبيرو[٣٧]

هاجر إلى مصر حوالي عام ١٨٠٠ ق.م نتيجة القحط الذي أصاب فلسطين وهناك - كما تخبرنا التوراة - قدم زوجته سارة الجميلة إلى فرعون مصر على أساس أنها أخته عله ينتفع من فرعون "غنما وبقرا وحمير" (التوراة سفر التكوين ١٦/١٢) ولم يُخيب فرعون أمله. إلا أن فرعون حين اكتشف الحقيقة غضب عليه وطرده من مصر فوصل إلى جنوب النقب وكرر نفس القصة مع ملك غزة (تكوين ٢/٢٠)[٣٨]

ب - دور النبي موسى

أوردت التوراة قصة النبي موسى فإذا هي مقلدة عن قصة ميلاد سرجون الأول الكلداني مؤسس دولة بابل الأول حوالي ٢٣٥٠ق.م أي قبل قصة مولد موسى بأكثر من ألف عام.

ج - شريعة حمورابي

النبي موسى نفسه حسب رواية التوراة أصدر خلال سني التيه في سيناء الشريعة المعروفة باسمه، إلا أن علماء الاثار المختصين يقولون إنها منقولة في كثير من أحكامها عن شريعة حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) البابلي التي تسبقها بخمسمائة سنة .

د - السبي وروايات التوراة

سُبي اليهود إلى بلاد ما بين النهرين أول مرة على يد سرجون الثاني ملك آشور (٧٠٥ ق.م) وتلاها السبي البابلي الأول (٥٩٨ ق.م) والسبي البابلي الثاني (٥٨٦ ق،م) على يد نبوخذ نصر.

** يؤكد العلماء الغربيون أنه لا يوجد دليل علمي واحد على أن إبراهيم هو أبو العبرانيين الذين يعتقد نفس العلماء أنهم نسل خليط من الأقوام والسلالات وجزء ضئيل من هذا النسل من أصل سامي (المؤلف)

٣٧ - محمد أديب العامري، المرجع السابق، ص ٩٦ .

٣٨ - د، محمد علي الخولي، اليهود من كتابهم، ص ١٨ دار الفلاح للنشر والتوزيع - صويلح الأردن ١٩٩٨ .

حين عاد البعض منهم إلى فلسطين على يد كورش الثاني ملك فارس (٥٣٨ ق.م) تبين لهم أن النسخة الأصلية من التوراة قد ضاعت على أيدي جنود نبوخذ نصر، فبدؤا بكتابة التوراة من جديد فإذا بها قد تضمنت الكثير الكثير من الميثلوجيا والأقاصيص الشائعة في بلاد ما بين النهرين بما في ذلك على سبيل المثال قصة أبينا آدم وأمنا حواء. أما ملحمة جلجامش فالشبه عظيم بينها وبين لاحقتها قصة النبي نوح عليه السلام والطوفان العظيم، رغم أن قصة جلجامش تسبق الرواية التوراتية (قصة نوح) بألف وخمسمائة سنة حسبما يورد المؤرخ محمد أديب العامري ص ٣٨ من المرجع السابق.

هـ - نفوس متعطشة للدماء والقتل

أياديهم الملطخة بدمائهم ودماء الشعوب ونفوسهم المشوهة بالحرائق التي أشعلوها حيثما حلوا دعتهم أن يضطروا حاكم القدس الروماني بيلاطس (حوالي عام ٣٢م) أن يأمر بصلب رسول الإنسانية والمحبة والسلام السيد المسيح.

بكل الصخب والإلحاح فرض الرعاع على الحاكم "أصلبه دمه علينا وعلى أولادنا"[٣٩].

و - في ركاب المستعمر دوما

رافق اليهود ملك فارس كسرى انوشروان[٤٠] (٦١٤م) أثناء اجتياحه لفلسطين وشاركوه مشاركة محمومة في تتبع المسيحيين وتقتيلهم.

وحين دخل القدس بمساعدة اليهود المقيمين في داخلها أحرقوا معه كافة الكنائس ثم عمدوا (اليهود) إلى شراء الأسرى النصارى من الفرس وجمعوهم في مقبرة "ماملا" وذبحوا منهم ٢٤٥١٨ أسيرا، وبعد رحيل الفرس أكمل اليهود حرق وهدم بقية الكنائس.

ز - جريمة العصور الحديثة*

أما سابعة الأثافي فقد قام اليهود في الجزء الخير من القرن العشرين، بعد ألفي عام من إدعائهم صلب السيد المسيح، فصلبوا عرب فلسطين، جندلوهم قتلوهم وشردوهم وسلبوا منهم الأرض والبيوت والذكريات وسلبوا يافا أيضا.

---

٣٩ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٢٠٠ .

٤٠ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٢١٩ .

* للاطلاع على تفصيلات البعض من المذابح الرئيسة التي ارتكبتها الصهيونية ضد شعب فلسطين يرجى مراجعة كتاب جواد الحمد، "الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية". مركز دراسات الشرق الأوسط - عمان، ١٩٥٥ كذلك هناك خلاصة إحصائية بهذه المذابح في الملحق رقم (٢) من هذا الكتاب.

من نجوم الحضارة الهلينستية

الحكام الهلينستيون (بطالسة وسلوقيين) والرومان من بعدهم حاولوا خلق حضارة متجانسة عبر الشرق الأوسط من خلال نظام المدن ذاتية الحكم وكذلك فعل الرومان باستحداث نظام الولايات الرومانية. أصبحت يافا خلال هذه المرحلة نجمة بين منارات الحضارة الهلينية. كما أنها قُدمت هدية ومهرا من أنطونيوس قيصر روما إلى كيلوبترا فاتنة التاريخ وملكة مصر الفرعونية.

مهد المسيحية / الإمبراطورية البيزنطية

زاد ازدهارها في عهد الإمبراطورية البيزنطية (٣٩٥م) باعتبارها مهد الديانة المسيحية ومنها انطلقت الدعوة للتبشير بالدين الجديد وازدانت بالعديد من الأديرة والكنائس الفاخرة. كما صارت الميناء الرئيس لوصول الحجيج المسيحي الأوروبي إلى الأراضي المقدسة.

العصر العربي الإسلامي

عهد الخلفاء الراشدين ٦٣٦ - ٦٦١م

عام ٦٣٤م. انتصر الجيش العربي الإسلامي على جيش البيزنطيين في معركة أجنادين بقيادة عمرو بن العاص وتم تحرير نابلس وبيسان ويافا (عام ٦٣٦م، ١٥ هـ) واللد وغزة وذلك في عهد الخليفة ابي بكر الصديق ثم تلتها معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد فسحق جيش الاعداء في المعركة الفاصلة التي قررت مصير سوريا بكاملها، أما القدس فتم تحريرها في عهد عمر بن الخطاب وقيادة أبي عبيدة بن الجراح وقد وقّع الخليفة عمر مع أهل إيلياء (القدس) عهداً (العهدة العمرية) صان فيه أموالهم وأرواحهم وكنائسهم ووافق على شرطهم ألا يسمح لأحد من اليهود أن يسكن القدس.

العصران الأموي والعباسي ٦٦١ - ٨٣٥م

في هذه المرحلة تدفقت القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى أقطار الهلال الخصيب حيث حددت وإلى الأبد سمات العرق العربي على شعوب هذه الأقطار.

شهدت يافا ضمن مدن بلاد الشام الأخرى مرحلة ازدهار وعمران ونهضة ثقافية هائلة إذ تفجرت القدرات العربية بالثورة العربية الإسلامية وما صاحبها من فتوحات رجعت على هذه الديار بالمكاسب المادية والمعنوية فازدهرت العلوم وعم العمران كافة الأرجاء.

عهد الدولة الطولونية ٨٣٥ - ٨٨٤م

شهد القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) استقلال أحمد بن طولون حاكم مصر عن الدولة العباسية وتبعته يافا ضمن من تبعه من بلاد الشام، استمر ازدهار مدينة يافا وقد اهتم بها أحمد بن طولون وبنى فيها قلعة ضخمة وذلك في حي الطابية الحالي بالبلدة القديمة، ويقوم على انقاضها اليوم دير الفرنسيسكان. كذلك أصبحت يافا فيما بعد من "مدن الرباط" وهي مراكز على شاطيء البحر يتقابل فيها العرب والفرنجة لتبادل الأسرى، هذه المدن هي : يافا، غزة ومىناؤها ميماس، عسقلان. أسدود وميناؤها ماجوز، يبنا، أرسوف، قيسارية.

عهد الدولة الفاطمية ٩٦٩ - ١١٥٢م

دانت يافا للفاطميين منذ نشأة دولتهم في مصر إلى أن استولى القرامطة على سوريا واصطدموا مع الفاطميين في فلسطين واستولوا على مدينة يافا، سنة ١٠١٦م (٤٠٧ هـ) ضرب زلزال كبير معظم مدن فلسطين ومنها يافا، عاد الفاطميون واستولوا على يافا. بعد أن هزموا القرامطة، وبذا أصبحت يافا أهم المدن الفلسطينية اقتصاديا وأصبحت تعرف باسم "خزانة فلسطين" [٤١]. خلال عام ١٠٣٣م (٤٢٥هـ) ضرب زلزال كبير آخر مدينة يافا وخربها وشرد أهلها. سنة ١٠٦٧م (٤٦٠هـ) ضرب يافا زلزال ثالث وألحق بها دمارا فادحا.

عصر الحكم السلجوقي ١٠٧٥م (٤٦٨ هـ)

القائد السلجوقي ألب أرسلان دخل يافا عام ٤٦٨هـ أخرج الفاطميين منها ثم استردها الفاطميون عام ١٠٩٨م / ٤٩١هـ .

حين تولى الحاكم بأمر الله حكم مصر كان شديد العداء للنصارى واليهود فأمر بهدم كنيسة القيامة مما أثار أوروبا وكانت الشرارة والسبب المباشر الذي أشعل حروب الفرنجة وعلى يده نشأ مذهب الدروز الذين نادوا بألوهيته.

من الشخصيات اليافية التي اشتهرت في هذه المرحلة الوزير اليازوري الذي ولد عام ١٠٥٠م في يازور - يافا وعائلته بحرية، رحل إلى مصر أيام المستنصر بالله حيث سطع نجمه وأسندت إليه الوزارة، كان محبا للفنون ورجل دولة يهمه مصلحة الشعب.

---

٤١ - محمد بن أحمد البشاري المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٧٤ .

ويلات حروب الفرنجة ١٠٩٩ - ١٢٦٧ م

في صيف عام ١٠٩٩م هاجم أسطول الفرنجة القادم من جنوى مدينة يافا وانتزعها من يد الفاطميين وبذا أصبحت المركز البحري الرئيس بإشراف الملك جود فري ملك القدس لاستقبال الإمدادات والجنود الواردة من أوروبا لدعم الفرنجة في بلاد الشام. تبوأت يافا خلال هذه المرحلة مركزا استراتيجيا هاما لكلا الطرفين المتحاربين وتبودلت السيطرة عليها عدة مرات.

عام ١١٨٧م. هزم قائد المماليك السلطان صلاح الدين الأيوبي الفرنجة في معركة حطين قرب طبريا - شمال فلسطين وأمر أخاه العادل أن يقوم بتحرير بقية هذا القطر. سنة ١١٩١م احتل ريتشارد قلب الأسد يافا بعد أن هجرها ودمر تحصيناتها جيش صلاح الدين الأيوبي إثر ورود انباء عن أسطول بحري ضخم للفرنجة يستعد لمهاجمتها واسترجاعها.

عام ١١٩٧م. حرر الملك العادل يافا ثم سلمها للفرنجة بعد مفاوضات صلح استمرت حتى عام ١٣٠٤م.

عهد المماليك

الصراع بين أبناء الملك العادل أدى إلى تمركز فريدريك الثاني إمبراطور الإمبراطورية المقدسة عام ١٢٢٨م. في مدينة يافا وعبر مفاوضات واستعطافات تنازل له الملك العادل عن القدس والناصرة عام ١٢٢٩م لمدة عشر سنوات. الظاهر بيبرس ملك مصر عام ١٢٦٨م. حرر أنطاكية ويافا التي تهدمت وأصبحت أطلالا بما في ذلك قلعتها الشهيرة التي أمر بنقل أخشابها ورخامها بحرا إلى مصر حيث استعملت في بناء الجامع الفاخر المعروف باسمه. ثم أمر ببناء الجوامع في المدن والقرى الفلسطينية وفرض الأمن وشجع السكان على العودة إلى مدنهم وقراهم.

خلال القرن الرابع عشر تعرضت يافا لغزوات البدو الذين عاثوا بها فسادا ونهبا وتدميرا، سنة ١٣٣٧م أمر السلطان ناصر الدين بن قلاوون بتدمير منشآتها الأساسية مرة أخرى بعد وصول أنباء عن التحضير لحملة فرنجية جديدة.

عام ١٣٩٥م. دمرت يافا وشرد أهلها على يد بطرس الأول ملك قبرص الفرنجي وأصبحت خرابا وبقيت كذلك مدة ثلاثة قرون.

رابع عشر : عصر الإمبراطورية العثمانية ١٥١٧ - ١٩١٧م

خلال شهر كانون أول عام ١٥١٧ احتل الأتراك العثمانيون مدينة يافا في عهد السلطان سليم الأول وكانت بحالة شديدة من الإهمال والخراب وأصبحت تابعة لوالي دمشق العثماني [٤٢].

٤٢ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ١٣٤ .

طيلة القرون الثلاث الماضية ورغم التدمير الشامل الذي أصاب المدينة ظلت يافا مرفأ الوصول للحجاج الأوروبيين لزيارة القدس والأماكن المقدسة، كانوا خلال هذه الفترة يقيمون في بعض الكهوف والخرائب لحين تسفيرهم إلى القدس.

عام ١٦٢٤م. دخلت يافا مع بقية البلاد السورية في حكم فخر الدين المعني الثاني (جبل لبنان).

عام ١٦٦١م. تعرضت يافا وباقي مدن فلسطين لمجاعة شديدة بسبب غزو الجراد للمحاصيل الزراعية، ثم انتشر وباء قضى على الكثير من سكانها. كذلك ساهم البدو الرحل في إنهاك سكان مدينة يافا إذ كانوا يغيرون عليها إلى أن اشتد خطبهم فقامت الدولة العثمانية بمطاردتهم وإبعادهم عن محيط المدينة فعاد لها الاستقرار.منذ عام ١٧٤٠م. بدأت يافا تستعيد عافيتها وصحتها الاقتصادية كما بوشر في هذا العام في بناء رصيف للميناء.

سنة ١٧٦٠م انتشر وباء الكوليرا في بلاد الشام وعم كافة المدن بما فيها يافا.

عهد محمد علي بك الكبير

وقعت يافا عام ١٧٧٣م فريسة بين محمد علي بك الكبير والي مصر وحليفه والي عكا الشيخ طاهر العمر في حروبهما ضد الباب العالي (الحكومة العثمانية). عام ١٧٧٥م حاصر يافا محمد ابو الذهب مولى محمد علي الكبير لكنه لم يلبث ان انقلب على سيده وانضم إلى الباب العالي وحين احتل يافا عذب أهلها وشردهم وقتل منهم خلقا كثيرا. قيل بلغت ضحاياه ١٢٠٠ قتيل وفي قول آخر ٥٠٠٠ قتيل.

وأمر جنوده فجمعوا رؤوسهم على شكل هرم في موقع بيارة آل مراد قرب بناية البريد الحالية في شارع جمال باشا [٤٣].

مذبحة نابليون بنوبارت

نابليون احتل يافا في شهر آذار ١٧٩٩ بعد حصار شديد وبعد أن أعطى وعدا أن يصون السكان المدنيين والحامية المدافعة. لكنه أخل بوعده وسمح لجنوده فاستباحوا المدينة لمدة ثلاثة أيام قتلوا "كل من له وجه إنسان" ثم اكتشف ان بالقلعة حوالي أربعة آلاف جندي من المدافعين من حامية المدينة، سلموا اسلحتهم لكنه امر بسوقهم الى شاطيء يافا الجنوبي من قبالة صخرة آدم وهناك لمدة ثلاثة أيام متوالية (بشهادة اثنين من قادته الميجر بتروا والقائد ميو) [٤٤] أكملت فيهم فرقة بون القتل والذبح وبلغ عدد من قتلوا ٤٤٤١ عسكريا ومدنيا سواء بالرصاص أو بالسلاح الأبيض.

---

٤٣ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ١٤٢ .

٤٤ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

غادر نابليون يافا إلى عكا حيث حاصرها ثلاثة أشهر وفشل في اقتحامها فعاد إلى يافا ليجد الطاعون قد انتشر بين جنوده. أمر بإعدام جنوده المرضى ونسف حصون المدينة وحرق السفن التي في الميناء ثم غادرها مهرولا إلى مصر [45] رحل نابليون عن يافا إلى الأبد لكن وصمة العار التي سطرها في تاريخ فرنسا بمذبحة يافا لن تمحى إلى الأبد أيضا.

إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير ١٨٣١ - ١٨٤١م

دخل فلسطين في طريقه إلى الأناضول ليفرض على الدولة العثمانية الوفاء بوعد قطعته على نفسها بإعطائه حكم عكا لقاء مساعدته لها في حربها ضد اليونان.

استولى على يافا أثناء اجتياحه لسوريا وسار مظفرا حتى وصل الأناضول فاتفقت الدولة العثمانية مع الإنجليز على إخراجه وتم ذلك في عام ١٨٤١م كما قامت ثورات في فلسطين وسوريا ضده لفرضه نظام الخدمة الإجبارية، وحينها أضطر للتخلي عن يافا وخلف وراءه كثيرا من الجنود المصريين الذين استقروا في ضواحيها أو ما يسمى سكنات مثل إرشيد، تل الريش وأبوكبير إلخ.

عام ١٨٣٧م حدث زلزال كبير في مدينة يافا هدم بعض أبراجها وعددا كبيرا من منازلها كما قُتل حوالي ثلاثة آلاف من السكان. عام ١٨٦٧م خلال عهد السلطان عبدالعزيز أنشئت طريق يافا القدس وأقيمت عليها العديد من المخافر لحماية المسافرين إلى بيت المقدس.

يعتبر عام ١٨٧٩م نقطة تحول هامة في تاريخ المدينة العمراني والاقتصادي إذ بوشر في هدم السور وطمر الخندق وبناء أحياء خارج السور.

النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد نموا اقتصاديا وازدهار في كافة الميادين، استقرت في المدينة جماعة كنيسة المسيح الأمريكية وبنوا ضاحية لهم خارج يافا على طريق نابلس سميت فيما بعد الملكان تحريفا لكلمة أمريكان، ولم يلبثوا أن باعوها إلى جماعة المعبد الألمان الذين توسعوا فيما بعد وانشأوا ضاحية سارونا.

عام ١٨٨٦م بوشر في بناء حي المنشية إلى الشمال من البلدة القديمة وحي العجمي إلى جنوبها.

عام ١٨٨٨م اكتملت أعمال إزالة السور نهائيا وانشيء شارع الحلوة (العجمي) فوق الخندق الذي كان محيطا بالمدينة خارج السور.

سنة ١٨٩٢م افتتح خط السكة الحديدية بين يافا والقدس وقد قامت بإنشائه شركة فرنسية لحساب صاحب الامتياز المدعو يوسف نافون الذي حصل عليه من السلطات العثمانية في

٤٥ - مصطفى مراد الدباغ. المرجع السابق، ص ١٥٢ - ١٦٠ .

١٨٨٨/١٠/٢٨ وقد بلغت كلفة الخط ٨.٥ - ١٠.٩ مليون فرنك فرنسي وكان طوله ٨٧ كم ويبدأ من يافا، اللد، الرملة، سَجَدْ، ديرابان، بتير والقدس.

عام ١٨٩٥ ارتبطت يافا بخطوط التلغراف الدولية.

برج الساعة

في سنة ١٩٠٠م، ١٣١٨هـ أقيم برج الساعة في ساحة المدينة المركزية التي سميت بعد ذلك بساحة الساعة، كما عرفت بساحة السراي وساحة الحناطير (العربات)، وذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على ارتقاء السلطان العثماني عبدالحميد الثاني عرش السلطنة، ولهذا البرج مثيل مطابق له تماما أقيم في مدينة طرابلس الشام (لبنان) [٤٦] وبالمناسبة فالعدو المحتل يدعو هذه الساحة ساحة الهاجانة Kekea Hagana.

عام ١٩٠٢م تفشت الكوليرا في فلسطين وأصابت مدينة يافا لكنها كانت أقل عنفا من تلك التي انتشرت عام ١٧٦٠م.

عام ١٩١٤م عين الوالي العثماني حسن بك الجابي حاكما لمدينة يافا وكان من محبي التعمير فهدم الكثير من البيوت ووسع الشوارع في البلدة القديمة وبنى جامع المنشية الكبير الذي سمي باسمه "جامع حسن بك"، كما انشأ في عام ١٩١٥م إلى الشرق من المدينة وسط بساتين البرتقال شارعاً عصرياً عريضاً تتوسطه حديقة سماه شارع جمال باشا (حاكم سوريا العثماني في ذلك الوقت). هذا الشارع لازال من أهم وأنظم شوارع يافا حتى الوقت الحاضر، وكان الإنجليز قد سموه شارع الملك جورج، أما الآن فيسميه المحتلون شارع القدس.

الاحتلال البريطاني والوجود الصهيوني

عام ١٩١٥م وخلال الحرب العالمية الأولى انتشر في يافا وباء الطاعون فهجرها سكانها بعد ان انتشرت المجاعة بينهم ولم يلبث ان احتلها الانجليز فأصابوها بطاعون لا مثيل له حتى يومنا هذا، إذ أصدر وزير خارجيتهم اللورد بلفور في ١٩١٧/١١/٢ تصريحاً باعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين، وكانت بريطانيا حتى ذلك الوقت لم يعهد إليها بمسؤولية الانتداب على فلسطين من قبل عصبة الأمم [٤٧] وبذا كان هذا الوعد مِنْ مَنْ لا يملك الحق والسلطة إلى من لا يستحقه.

---

٤٦ - أحمد زكي الدجاني، المرجع السابق، ص ٣٦ .

٤٧ - د. يوسف هيكل، المرجع السابق، ص ٢٧١ .



٤ - برج الساعة (١٩٠٠م) رمز المدينة ومن اشهر معالمها على يمين الصورة المدخل الشرقي للجامع الكبير.

بتاريخ ١٩١٧/١١/١٨ هذا اليوم المشووم دخلت القوات البريطانية الغازية مدينة يافا. عام ١٩٣٦م افتتح ميناء يافا الحديث بعد اكتمال اعمال التوسعة وطمر بركة قمر لإنشاء مستودعات الجمرك مكانها.

خلال المدة ١٩٢١ إلى ١٩٣٩ شهدت فلسطين ثورات وانتفاضات متتابعة ضد بريطانيا والصهيونية العالمية. بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية شهدت يافا ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا لا مثيل له.

الاستعمار الصهيوني

في ١٩٤٨/٥/١٥ استولى العدو الصهيوني على يافا وشرد أهلها واستباح أملاكهم فكان يوما حالك السواد في تاريخ استعمار الشعوب ومحاولة ابادتها.

عام ١٩٦٥ أغلق ميناء يافا في شهر نوفمبر على يد سلطات الاحتلال وحول إلى ميناء صيد ورياضة بعد أن ظل أكثر من أربعة آلاف عام يخدم الجنس البشري كميناء تجاري دولي.

يافا بعد الاحتلال

حين تسلم اليهود يافا كان قد بقي من سكانها ٣٦٥٠ عربيا من أصل مائة الف هم سكانها الاصليين جمعوهم في جزء من حي العجمي واحاطوهم بالاسلاك الشائكة ومنعوهم من الخروج والدخول إلا بتصريح نادراً ما يعطى لأحد. كما كان منع التجول يفرض على الجميع اعتبارا من الساعة السادسة مساء كل يوم [٤٨] بقي هذا الترتيب حتى عام ١٩٥٠م.

لكن جذور يافا العريقة الضاربة في رحم التاريخ منيعة على الإفناء لا يضيرها جرائم أجرم بني الإنسان، ولن يزيدوا عن كونهم موجة عابرة في تاريخها ذي السبعة آلاف عام.

حتما ستتحرر يوماً

"وستمحو يا نهر الأردن آثار القدم الهمجية" [٤٩]

مدينة سبقت التاريخ في الولادة

ورضعت شاعرية أسطورة حب إغريقية

ستنبعث وتفيق

كطائر الفنيق [٥٠]

هادرة عاتية

---

٤٨ - د. حسن فرعون، مقيم في يافا حتى ذلك الوقت. مقال في كتاب يافا عطر مدينة، ص ٥٩

٤٩ - الشاعر اللبناني العبقري سعيد عقل، كتاب اروع ما قيل في الوطنيات إميل ناصيف ص ٤٢

٥٠ - تقول اسطورة فينيقية ان العرب الفينقيين متشاهم من طائر يسمى الفنيق يعز على الفناء، فتك به أعداؤه مرات وفي كل مرة كان يعود فينبعث من جديد عاتيا مسيطرا.

الفصـــل الثالث

اسماء يافا المحببة لأبنائها

جيل بعد جيل، وطائفة إثر أخرى وأجناس عديدة

مرت بيافا عبر الدهور. أسرتهم جميعاً بسحر جمالها.

تسابق الرحالة والرواة من قديم الزمان في وصف مفاتنها: مع حور وسنوحي الفرعونيين

بليني الروماني، المقدسي العربي الفلسطيني ولفيف من الرسامين المبدعين

ومسك الختام غليوم الثاني الإمبراطور الألماني

اغدقوا عليها الأسماء كل يحاول التعبير عن عواطفه وإعجابه بها

اشتركوا جميعاً في صياغة قلادة من درر النعوت

والأسماء أحاطوا بها جيدها المشوق

يافـــا

يافـــي

الجميلـــة

ليس كثيراً عليها قلادة من أربعين اسماً.

اسماء يافا عبر التاريخ

الاسماء العربية

١ - يافـــي YAFI [٥١]

أجدادنا العرب الكنعانيون منذ حوالي خمسة آلاف عام أنشؤوا يافا في موقعها الحالي وأعطوها اسمها الأول الأبدي (يافي) ومعناه "الجميل". هذا الاسم لازمها مع قليل أو كثير من التحريف طيلة هذه الأحقاب وعشرات من الشعوب والأمم الغازية، مرت بيافا واندثرت وبقيت يافا شاهدا على قبورهم.

أبناء يافا في العصر الحديث استحبوا لها هذه الباقة من الأسماء :

٢ - يافـــا

استعادت اسمها العربي عام ٦٣٦م، ١٥ هـ حين حررها القائد الفذ عمرو بن العاص من قبضة البيزنطيين إبان الفتوحات العربية الإسلامية، نبيل خالد الأغا، مدائن فلسطين، صفحة ١٥٢ .

٣ - عـروس فلسطـين

عارف العارف، النكبة، صفحة ٢٦٨ .

٤ - عــروس البحـر

نسيم نجيب شقر، يافا أمام مفترق طرق، صفحة ٧ .

٥ - ام الغريـــب

جمعية يافا العربية الخيرية، النظام الأساسي صفحة ١٤ .

٦ - وزره الغريـــب

الاستاذ حافظ الدجاني وصفي الدين الطاهر، كتاب (يافا عطر مدينة) صفحة ١٥٥ .

٧ - حديقـة النجـوم

نبيل خالد الآغا، مدائن فلسطين صفحة ١٤٩ .

٨ - دم علـى حجـر

شاعرنا الشهيد راشد حسين من عرب الداخل، أم الفحم، نبيل خالد الآغا صفحة ١٥١ .

٩ - الحمامـــة

كتاب يافا عطر مدينة، الأستاذ حسن نمر يسير صفحة ٢٣٩ .

---

٥١ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق صفحة ٩٧ .

١٠ - خزانـــة فلسطـــين

المؤرخ العربي الفلسطيني المشهور (المقدسي) ٩٤٦م.، مصطفى مراد الدباغ صفحة ١٠ .

١١ - واحـــة افلتـــت مـــن الجـــنة

اصبغه عليها البحاثة مصطفى مراد الدباغ، صفحة ٩٥ .

١٢ - دمعـــة حـــب عـــلى وجـــه الخـــلود [٥٢]

مؤلف الكتاب استعار هذا الاسم بتصرف من (طاغور) شاعر الهند الأكبر الذي وصف به المعجزة الفنية (تاج محل) قبر الإمبراطورة الإيرانية الأصل (ممتاز محل) زوجة الامبراطور المغولي (شاه جاهان).

أسمـــاء اجنبيـــة المصـــدر

أما الأسماء التي فرضتها على يافا قافلة الشعوب المستعمرة فهي كما يلي :

١٣ - يابـــو YAPU

باللغة الهيرو غليفية وهو أقدم ما ورد لنا من أسماء يافا إذ وجد مكتوبا على جدار معبد الكرنك في مصر منوها بأنها كانت ضمن مجموعة من المدن السورية والفلسطينية خضعت لسيطرة الفرعون تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٠ ق.م) (الياس حنا رنتيسي صفحة ٥٦).

١٤ - ١٥ (يوبـــا)، (يـــبو)

اسمان اخران ليافا ذكرتهما المراجع الفرعونية، (د. عز الدين غربية صفحة ٢٣)

١٦ - إيابـــو

اسمها لدى سنحاريب الأشوري وجد مدونا على منشور تايلور باللغة البابلية والخط المسماري ومحفوظ في متحف لندن للتاريخ، (إلياس حنا رنتيسي صفحة ٥٦)

١٧ - يا آب بو Ya - Ap - Pu

وجد هذا الاسم على بعض آثار سنحاريب ايضا (مصطفى مراد الدباغ ص ٩٧).

١٨ - يافـــاو YAFO

التوراة ذكرتها بهذا الاسم محرفا عن الاسم الكنعاني، (د. عز الدين غريبة صفحة ٢٤).

١٩ - جوهـــو JOHO

ذكرها امير صيدا في عهد الحكم الفارسي خلال القرن الخامس قبل الميلاد (عباس نمر، يافا الحنين الأبدي صفحة ١٠).

---

٥٢ - www. angelfir. com/in/myindia/tajmahal.html

٢٠ - إيوبــــي IOPPE

كنيتها في عصر السيطرة الهلينية. يقال إن هذا الاسم مشتق من اسم (JOPPE) ابنة إله الريح الإغريقي، (الياس حنا رنتيسي صفحة ١٥٤).

٢١ - فلافـــيا يوبــي Flavia Joppe

نسبها لعائلته (فلافيوس فسبسيان) الإمبراطور الروماني الذي احتلها ودمرها وأباد الجالية اليهودية فيها لارتكابها أعمال القرصنة البحرية عام ٦٨م، (إلياس حنا رنتيسي صفحة ٢٠٦).

٢٢ - مدينــة الدعـــوة

سميت يافا بهذا الاسم لأن الرسالة المسيحية إلى العالم انطلقت منها على يد الرسول بطرس أحد حواري السيد المسيح عليه السلام، إذ دعا إلى تنصير الوثنيين واعتناق الديانة المسيحية، (الياس حنا رنتيسي صفحة ٢٢٨).

٢٣ - ٢٨ Zaffa, Jaffa, jahe, jope, jappa, joppe

هي مجموعة اسماء اصبغت على يافا خلال حروب الفرنجة (١٠٩٩ - ١٢٦٧م) (الياس رنتيسي صفحة ٥٦).

٢٩ يافـــو

الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين زار يافا عام ١٨٣٣/٣٢ وأورد الأسطورة التي تقول ان (يافث) بن (نوح) هو الذي بنى يافا، لذا سميت باسمه، وتقول الأسطورة ايضا ان نوح بنى الفلك على شاطىء يافا قبل الطوفان (الياس حنا رنتيسي صفحة ٥٤).

٣٠ - بنـــت البـــحار

هكذا سماها الأديب اللبناني الأب مرمرجي في إحدى مقالاته في مجلة المشرق اللبنانية الصفحة ٨٣٣، (الياس حنا رنتيسي صفحة ٥٨).

٣١ - الجنـــــــة

إمبراطور ألمانيا (غليوم) الثاني قضى ليلة في يافا عام ١٨٩٨ في طريقه الى القدس، ودغدغته في الصباح رائحة زهر البرتقال، فأبرق إلى صديقه الخليفة العثماني عبدالحميد (لقد دخلت الجنة قبلك) (نبيل خالد الآغا، مدائن فلسطينية، صفحة ١٥٥).

٣٢ - ميـنـــاء القـدس

اسم ليافا أطلقه الحجاج الأوربيون إلى بيت المقدس طيلة القرون الماضية (حنا ملك الجذور اليافية صفحة ٣٣).

٣٣ - يافــــه

الاسم الذي عرفت به في عهد الإمبراطورية العثمانية (١٥١٦ - ١٩١٧م) (مصطفى مراد الدباغ صفحة ٩٧).

٣٤ - JAFFA

الاسم الذي اطلقه المستعمر البريطاني.

٣٥ - درة البحــر المتوســط

د. هشام شرابي، يافا عطر مدينة، صفحة ١٦ .

٣٦ - YAPHA باللغــة اللاتينيــة

كتاب الرحلات، (كونراد جونتبرج ٠ المانيا ١٤٨٦)

يافا بمرآة الزمن، صفحة ٥١

٣٧ - IAFFA

الرحالة البلجيكي يوهان زولارت ١٥٨٦

يافا بمرآة الزمن صفحة ٥٢ .

٣٨ - La santa Vile Jaffa

يافا بمرآة الزمن ، صفحة ١٠١

٣٩ - YAFA

اطلق هذا الاسم الملازم بدفورد من سلاح البحرية الملكي البريطاني عام ١٨٦٣ اثناء تحضير خارطة للمدينة، يافا بمرآة الزمن صفحة ٨١ .

٤٠ - حسنــاء البحــر المتوســط

د. كامل السوافيري، صفحة ١٨٦ كتاب الجذور اليافية، تأليف حنا عيسى ملك.

يافا 1948

البحر الأبيض المتوسط

الميناء

البلدة القديمة

الجبلية

العجمي

المنشية

ارشيد

البرية

الهريش

كرم التوت

مقبرة الارمن

ساحة الشعلة

ساحة البصة

سكنة درويش

تل الريش

اعداد : جواد محمود العزوني

كافة خرائط الجولات استنبطت بتصرف من خارطة يافا ١٩٤٨ (السيد جواد العزوني)

الفصـــل الرابـــع

ملامح وقسمات مدينة جميلة

إذا دخلت يافا من الجهة الشرقيـة عن طريق يافا - القدس (انشئت هذه الطريق عام ١٨٦٧) وكنت تستقبل الغرب في وقفتك تجد على يمينك شاهدا تاريخيا كأنه بوابة يافا. إنه (سبيل ابو نبوت) (١٨١٠م) وهنا لابد ان تتوقف قليلاً لتتمتع بصورة بانوراميـة ليافـا بكاملها. إلى الخلف منـك باتجاه الشمال الشرقي تقف شامخة عبر الأفق منارة هامة من معالم يافا، إنها كنيسة القديسة طابيثا (وهي كلمة آرامية تعني الغزالة) وإلى جوارها الكنيسة الروسية ذات القباب المميزة الحمراء التي تعطي المنظر شخصية خاصة وقد انشئت في القرن التاسع عشر، اما طابيثا فهي امرأة صالحة كانت تدعو إلى فعل الخير وتساعد المحتاجين، ظهرت في بداية الدعوة للديانة المسيحية على يد الرسول بطرس أحد حواري السيد المسيح عليـه السلام، وقد أصبح مدفنها مكانا مقدسا لدى الطوائف المسيحية وله عيد خاص يؤمه الجميع ويحتفلون به. على يمينك باتجاه الشمال ايضا بساتين البرتقال تمتد خضراء زاهية، يتلوها سهل منبسط ثم حي البصة والملعب البلدي، ثم حي المنشية، وحي إرشيد.

أمامك في الوسط تعلو هضبة البلدة القديمة شامخة تتجاوز الافق وتعانق الاعالي، إلى الجنوب منها على يسارك تمتد أحياء سكنة الهريش ثم العجمي والجبلية، وجميعها تقع على منحدر يرتفع تدريجياً من الشمال إلى الجنوب، وتخترقه هنا وهناك مآذن جوامع وأبراج كنائس، وفي وسطه يقف شامخا كمنارة لكل ابناء يافا حيثما كانوا حاووز (خزان ماء) العجمي في أعلى نقطة من هذا المنحدر، علامة فارقة تميز مدينة يافا عن غيرها.

بينك وبين هذه الملحمة من جمال الطبيعية يستلقي سهل فسيح من بساتين البرتقال تبرقشه من الجنوب الى الشمال احياء القرية العربية، سكنة درويش، تل الريش، الرياض ثم النزهة، يصل بينها جميعا شريان مستقيم هو شارع جمال باشا بأشجار نخيله الباسقات.

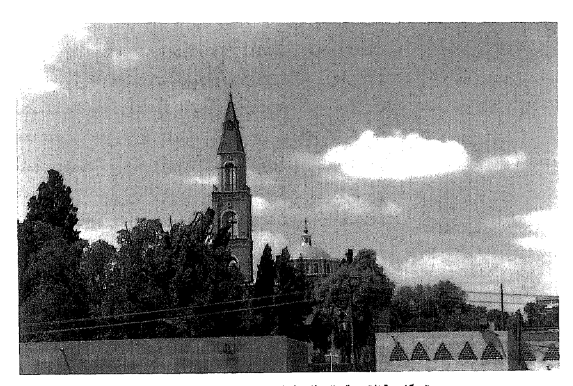
جولات في جنبات يافا

الجولة الأولى : البصة، المنشية، إرشيد

لنعد من حيث بدأنا، على يمينك باتجاه الشمال تمتد بساتين البرتقال وتفصلك عن حي البصة، يلي البصة من الشرق سكنة ابو كبير، ويحد البصة من الشمال مزيد من بساتين البرتقال ينتشر فيها حي سكني جديد يتوقف عند شارع يافا - تل أبيب الذي يفصل هذه المنطقة عن مدخل حي ارشيد وحي المنشية.



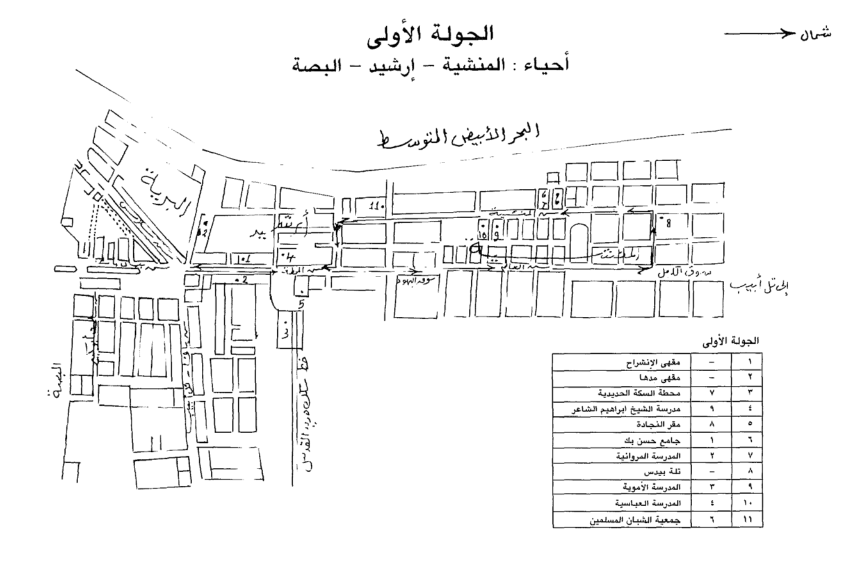
٥ - سبيل ابو نبوت (١٨١٠م) ديديان امين على مدخل يافا



٦ - كنيسة القدسة طابيثا والمسكوبية من معالم يافا الخالدة

الجولة الأولى

أحياء : المنشية - إرشيد - البصة



الجولة الأولى

١	-	مقهى الإنشراح
٢	-	مقهى مدها
٣	٧	محطة السكة الحديدية
٤	٩	مدرسة الشيخ ابراهيم الشاعر
٥	٨	مقر النجادة
٦	١	جامع حسن بك
٧	٢	المدرسة المروانية
٨	-	تلة بيدس
٩	٣	المدرسة الأموية
١٠	٤	المدرسة العباسية
١١	٦	جمعية الشبان المسلمين

حي المنشية وحي ارشيد

تتسلم شارع المحطة الذي يبدأ عند نقطة التقاء شارع بسترس وشارع جمال باشا ووجهتك باتجاه الشمال. إلى حي إرشيد الذي بوشر في إنشائه هو وحي المنشية عام ١٨٨٦, على رسلك فالشارع ضيق ومزدحم بالمارة وحافلات الخط رقم (٢) العائدة الى شركة الباصات المتحدة وعربات الحنطور ذات الحصانين وعربات الدلجنس ذات الحصان الواحد تتنافس فيما بينها وتزاحم الجمهور في هذا الشريان الرئيس.

مقهى الانشراح

في مدخل حي المنشية وعلى الجهة الغربية من الشارع كان يقوم (مقهى الانشراح) التاريخي الشهير [٥٣]، وهو أكبر وأشهر مقاهي يافا، كان يجمع الكثير من شخصيات الحي الاجتماعية والوطنية.

مقهى مدْها

مقابل مقهى الانشراح على الجانب الآخر من الشارع كان يقع مقهى أقل شهرة وفخامة من قهوة الانشراح هو (مقهى مدها)[٥٤] (بكسر الميم وتسكين الدال) لكنه من أقدم مقاهي مدينة يافا.

محطة قطار يافا القدس

شارع المحطة الذي يتفرع من شارع المنشية الى جهة الشرق مستقيم ومزدحم بالعمارات والدكاكين وقد سمي بهذا الاسم لوجود محطة القطار - يافا - القدس في وسطه، والتي افتتحت في عام ١٨٩٢ إثر اكتمال انشاء هذا الخط الحديدي على يد شركة فرنسية لتسهيل انتقال الحجيج المسيحي إلى بيت المقدس.

منظمة النجادة

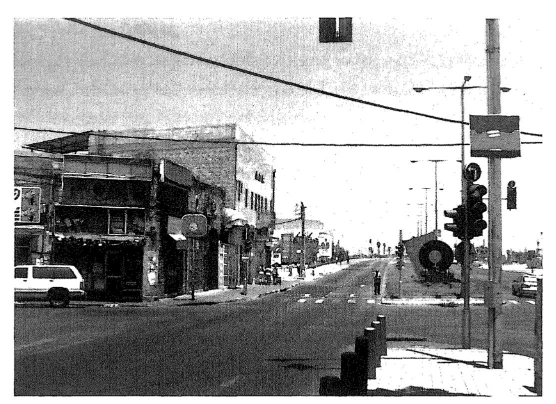
بجوار المحطة كان يقع مقر منظمة النجادة (١٩٤٥ - ١٩٤٧) التي انبثقت من جمعية (الشبان المسلمين) لتكون نواة التنظيم العسكري الفلسطيني إلا ان أحداث عام ١٩٤٨/٤٧ العسكرية داهمتها قبل أن تنضج فلم تكتب لها الحياة، وفي نفس المنطقة أيضا كان يقع مقر الكشافة الإسلامية المتجولة[٥٥].
يستمر الشارع مستقيما تقريبا ويصبح اسمه سوق اليهود إذا كان به حتى عام ١٩٤٠ بضعة دكاكين ومتاجر مؤجرة لتجار يهود ثم رحلوا عن المنطقة ولم يعودوا إليها.

---

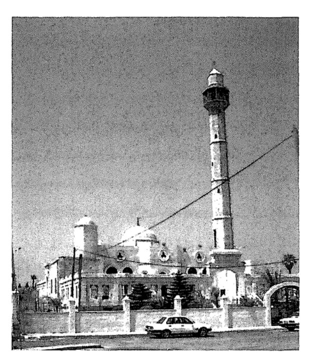
٥٣ - شفيق الحوت، مقال في كتاب (عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية) ٦٤ - ١٩٨٤، ص ٣٨

٥٤ - الباحث التاريخي علي حسن البواب، حديث شفوي

٥٥ حنا عيسى ملك الجذور اليافية، ص ٧٦ .



٧ - بداية شارع المنشية (يافا ٢٠٠١م) او ما تبقى منه اذ ان الاحتلال هدم هذا الحي بالكامل



٨ - جامع حسن بك (١٩١٠م) صامد رغم انف العدوان وبرهان على عروبة المنطقة

شارع العالم وسوق الكرمل

النصف الشمالي من الشارع يسمى (شارع العالم) عند بداية هذا الجزء من الشارع كانت تقع (قهوة اللمداني)[٥٦] وهي من المقاهي الشعبية العريقة، يلي شارع العالم (سوق الكرمل) وهو سوق خضار مختلط بين العرب واليهود إذ منه تبدأ مدينة تل أبيب.

إلى الغرب من هذا الشارع وقريبا من شاطيءالبحر يمتد شارع آخر يوازيه ويشبهه في الاستقامة والضيق والازدحام، يتجه من الشمال إلى الجنوب، ويسمى الجزء الأول منه شارع (جامع حسن بك).

جامع حسن بك

بناه والي يافا الدمشقي حسن بك الجابي عام ١٩١٤م وبجواره كانت تقع المدرسة المروانية للبنين، هذا الجامع هو البناء الوحيد الذي أبقاه العدو المحتل من كافة مباني حي المنشية وحي إرشيد التي دمرت عن بكرة أبيها، وقد حاولت عصاباته مرات عديدة تدمير الجامع وهدمه، وأخيرا أمكن بجهود القطر العربي المصري الشقيق إيقاف هذه المحاولات وإعادة صيانة وإعمار هذا الجامع واسترجاع ملامحه الهندسية الإسلامية الجميلة، فتراه الآن تحفة فنية يعتز بها، ويقوم السكان العرب بصيانته والحفاظ عليه بصورة مستديمة كلما اعتدى عليه المحتلون بين اونة واخرى.

وقد عمدت سلطات الحقد والاجرام إلى تطويقه بعمارتين شاهقتي الارتفاع لتفصله عن يافا الام وتقزمه بين هاتين العمارتين، رغم هذا التنكيل حتى بالأبنية فإن الجامع لازال معلما هاماً وشهيراً لدى عرب فلسطين يحج إليه كل من زار يافا.

قريبا من جامع حسن بك كانت هناك تلة حمراء التربة تسمى تلة بيدس إذ أقامت (عائلة بيدس) عليها قصرا ضخماً يشبه القلاع، كان علامة مميزة في المنطقة، بعدها يستمر الشارع مستقيما باتجاه الجنوب ويسمى (شارع المنشية) على الجانب الشرقي للشارع تقع مدرستا الأموية والعباسية وقريبا من نهاية هذا الشارع وعلى جانبه الغربي كانت تقوم (جميعة الشبان المسلمين (تأسست عام ١٩٢٤) [٥٧] وقد لعبت دورا هاماً في تخريج أجيال من الشبيبة العربية الوطنية، وكان لها أنشطة اجتماعية واسعة كفتح المدارس والعيادات الصحية.

الشاطىء الشمالي (المنشية، إرشيد والبرية)

شاطىء البحر يلازم حي المنشية ثم إرشيد فمنطقة البرية حتى البلدة لقديمة بخط شبه مستقيم، شاطيء تكسوه رمال ذهبية كأنها حبيبات التبر تخلو من أي شائبة إلا من أصداف بحرية مبعثرة هنا وهناك.

٥٦ - الباحث التاريخي علي حسن البواب، حديث شفوي

٥٧ - عباس نمر، يافا الحنين الأبدي، ص ٧٣ .

حي إرشيد

جنوباً من حي المنشية يقع حي إرشيد وكان يسمى قديما (سكنة) لأنه كجاره حي المنشية نشأ خارج الأسوار من قبل الجنود العرب المصريين الذين آثروا البقاء في يافا حين اضطر ابراهيم باشا إلى الانسحاب من فلسطين عام ١٨٣٤ نظرا لقيام ثورات شعبية ضده في سوريا وفلسطين لأنه حاول فرض التجنيد الاجباري على السكان، كذلك استقر جزء من الجنود العرب المصريين في سكنات درويش وأبوكبير وتل الريش.

حي إرشيد كجاره حي المنشية، حي شعبي مزدحم ببني يعرب كانوا وقودا لكل الانتفاضات والثورات الفلسطينية.

خط المواجهة مع تل أبيب

حي المنشية وإرشيد كانا أهم وأخطر خط مواجهة في أحداث عام ١٩٤٨/٤٧ بين مدينة يافا التي لم يكن لديها سوى بضع مئات من المتطوعين غير المدربين مسلحين ببنادق من عينات المتاحف والكيان الصهيوني المزود ب ٧٠ ألف مقاتل نظامي (حسب مذكرات قادتهم) وما تيسر من كرم بريطانيا من سيارات مصفحة ومدافع رشاشة ومدافع هاون ومدافع ميدان والكثير الكثير من الذخائر.

خط المواجهة تختلط فيه البنايات اليهودية الحديثة متعددة الطوابق مع دور عربية مكونة من طابق أو طابقين على الأكثر.

جرت في هذا الحي معارك ومعارك وكان من أهمها وأشرسها ما وقع في النصف الثاني من شهر نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وهنا نقتطف ماقاله المجرم السفاح (بيجين) [٥٨] حامل جائزة نوبل للسلام والذي كان في تلك المرحلة ٤٦-١٩٤٨ القائد الأعلى لعصابة الإجرام (ايرجون تسفاي ليؤمي) الأكثر همجية بين الفصائل اليهودية المتوحشة الحاقدة المتعطشة للدماء، إن تمعن القارىء في سفر (يوشع) من (توراتهم) وتعاليم (تلمودهم) وجد ان هذه الصفات الأخيرة هي قاسمهم المشترك الأعظم باعتبار أن الغالبية منهم تتشرب التوراة يوميا من المهد إلى اللحد. يقول واصفا معارك المنشية في يافا (في الوقت الذي اندفعت فيه وحداتنا لاحتلال الاستحكامات الأمامية للعدو لعلع صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز (شفنداو) وهو أقوى ناراً من (البرن) أخذ يحصد المهاجمين، ياإلهي!

---

٥٨ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق ص ٢٨١ - ٢٨٢

(هنا يبالغ هذا السفاح في وصف قوة تسليحنا وبالتالي يزيد في قيمة انتصاراتهم، المؤلف)

لقد تعلمنا من استحكامات المنشية ما تعلمته جميع الجيوش في الحرب العالمية الثانية في قتال الشوارع، وهو أنك لاتجد استحكاما أفضل من طلال البيوت الخربة المهدمة حول خطوط الجبهة وفي وسطها : لقد كان العرب يتخذون من أطلال هذه البيوت وخرائبها خطوط دفاع عن يافا، وقد نصبوا عليها مدافعهم الرشاشة وظهر لنا أن خطوط الدفاع في جبهة المنشية كانت عميقة جدا مزدوجة ومثلثة وخماسية في كل خط منها.

ويظهر انها أقيمت على أيدي خبراء بحيث إذا استطعت الوصول إلى الصف الأول منها فإن الأجنحة والاستحكامات التي تليها تصب عليك النار والكبريت وتعذر عليك الاستعداد للقفزة التالية.

لقد فشل الهجوم الأول وارتدت عنه فلول وحداتنا، لم نستطع اختراق تحصينات العدو... هاجمنا خمس مرات في يومين وليلتين، وفي المرات الخمس ردننا على أعقابنا وحملنا من ميادين المعركة أبطالاً اعزاء علينا.

وعودة مرة ثانية إلى النقطة التي انتهى عندها هذا المشوار جنوب حي ارشيد / المنشية.

الجولة الثانية : وسط المدينة

منطقة البرية

هنا تبدأ البرية (باللغة الدارجة وتعني المقبرة) وهي أرض فضاء تشكل الامتداد الجنوبي لحي ارشيد والمسلخ كما سمي في مرحلة سابقة. هذه الأرض كانت في الماضي المقبرة الإسلامية الرئيسة لبلدة يافا القديمة وفي نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين اكتظت ودرست فقامت دائرة الأوقاف الإسلامية باستصلاحها وحولتها إلى ساحة مكشوفة منبسطة واسعة

شارع الاسعاف

بني في طرف البرية الجنوبي المطل على ساحة الساعة مجموعة من الدكاكين والمحال التجارية سميت شارع الاسعاف. كما اتخذت شركة باصات يافا المحدودة جزءا منها كموقف لباصاتها التي تخدم كافة مناطق المدينة، هذه الشركة (الباصات المحدودة) تأسست عام ١٩٣٨ من اندماج ثلاث شركات كانت تعمل بين احياء مدينة يافا.

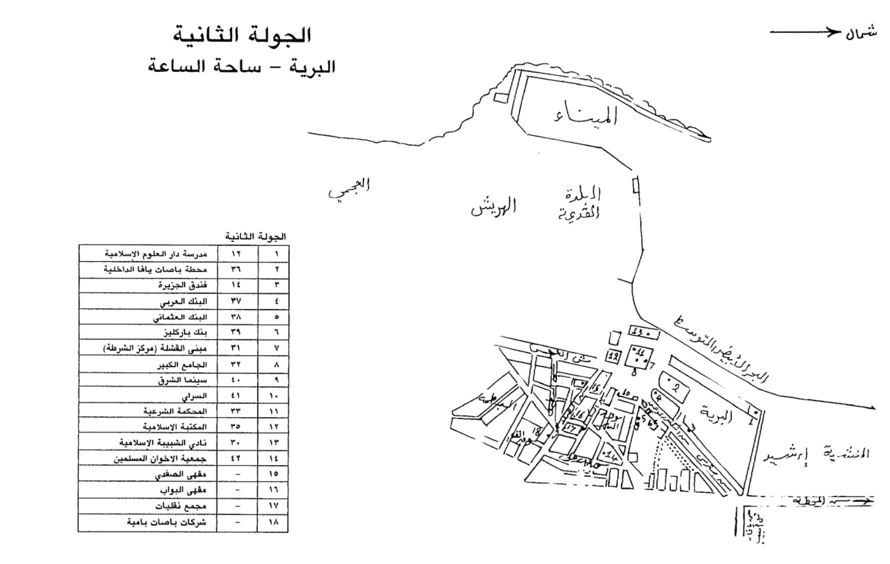
وبعد ان اتحدت أصبحت إدارة موحدة ومركز انطلاق واحد وكانت تدير ثمانية خطوط داخلية وخط خارجي يصل الى سيدنا علي مارا بقرية الشيخ مونس [٥٩].

---

٥٩ - أحمد خليل العقاد، من هو رجالات فلسطين ص ١٦٣ .

الجولة الثانية

البرية - ساحة الساعة



الجولة الثانية

١	١٢	مدرسة دار العلوم الإسلامية
٢	٣٦	محطة باصات يافا الداخلية
٣	١٤	فندق الجزيرة
٤	٣٧	البنك العربي
٥	٣٨	البنك العثماني
٦	٣٩	بنك باركليز
٧	٣١	مبنى القشلة (مركز الشرطة)
٨	٣٢	الجامع الكبير
٩	٤٠	سينما الشرق
١٠	٤١	السراي
١١	٣٣	المحكمة الشرعية
١٢	٣٥	المكتبة الاسلامية
١٣	٣٠	نادي الشبيبة الاسلامية
١٤	٤٢	جمعية الاخوان المسلمين
١٥	-	مقهى الصفدي
١٦	-	مقهى البواب
١٧	-	مجمع نقليات
١٨	-	شركات باصات بامية

بقي جزء كبير من البرية ساحة فضاء تقام عليها احتفالات الأعياد الإسلامية حيث تنصب المراجيح والسرادقات وأكشاك بيع المأكولات والحلويات، كذلك تقام سرادقات التسلية التي كانت تشمل الأراجوز وصندوق العجائب، وحلقات المصارعين والملاكمة وحاملي الأثقال، وكذلك أكشاك النيشان (التصويب ببنادق خردق) ولاتنس محال التصوير حيث يمكنك ان تتصور وأنت تقود دبابة أو طائرة او غير ذلك. وأهم من هذه كله صالات رقص النور (بفتح الواو) ناهيك عن حلقات الرقصة الوطنية (الدبكة) لكل قرية ومدينة يرافقها بيرقها (علمها) الخاص بها. كانت كرنفالا يستمر ثلاثة أو أربعة أيام يقبل عليه المواطنون من كافة مدن وقرى لواء اللد.
اما شاطىء البحر إلى الغرب من هذه المنطقة (البرية) فكان امتدادا طبيعيا لشاطىء المنشية وإرشيد مع انحراف باتجاه الغرب الجنوبي أي انحناء إلى داخل البحر.

ساحة الساعة

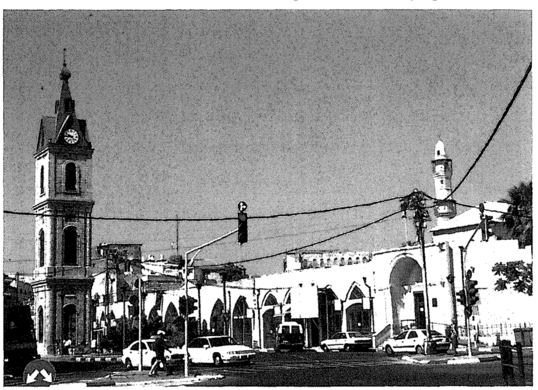
(ساحة الساعة) هي الميدان الرئيس والمركزي لمدينة يافا منذ بداية القرن العشرين، وهي ساحة مستطيلة الشكل محورها الطولي يمتد من الشمال إلى الجنوب موازيا شاطىء البحر تقريباً.
وساحة الساعة تعرف ايضاً (بساحة الحناطير) لأنها في الثلث الأول من القرن العشرين كانت مركز تجمع وانطلاق العربات التي تجرها الخيول (الحناطير) لنقل الركاب إلى مختلف أنحاء المدينة.
كذلك دعيت (بساحة الشهداء) لأن المظاهرات المعادية للاستعمار عادة ما كانت تخرج من الجامع الكبير بعد صلاة الجمعة فتصطدم بجنود الاحتلال ويتساقط الشهداء المرة تلو الأخرى في نفس الميدان.أما لماذا سميت بساحة الساعة فذلك لأن الوالي العثماني حسن بك الجابي قام بإنشاء برج سنة ١٩٠٠م في منتصف هذه الساحة ارتفاعه سبعة عشر مترا وركبت في قمته ساعة بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على تولي السلطان عبدالحميد الثاني عرش الخلافة، وجدير بالذكر ان برجا شبيها بهذا البرج أقيم في مدينة طرابلس - لبنان في نفس الوقت ولنفس الغاية [٦٠] هذا البرج أصبح العلامة السياحية أو قل التجارية التي تميز مدينة يافا كالأهرامات بالنسبة لمصر وغيرها.

٦٠ - أحمد زكي الدجاني، مدينتنا يافا وثورة ١٩٣٦، ص ٣٦

ساحة الساعة كانت القلب النابض لمدينة يافا اجتماعيا واقتصاديا وتجاريا وسياحيا وكان ملتقى كافة الفئات وقد اشتهر فيها وحولها مجموعة من المطاعم الشهيرة.
هذا الميدان سماه العدو المحتل (ساحة الهاجاناه) على أساس أن هذه المنظمة الإرهابية هي التي احتلته في أيار / مايو ١٩٤٨ .

الضلع الطولي الغربي

يسير الضلع الغربي لميدان الساعة من الشمال إلى الجنوب مستقيما بطول حوالي سبعة وثمانين مترا تقريبا ويكون موازيا لشاطيء البحر، يبدأ هذا الجانب بعمارة كلاسيكية ضخمة هي مبنى القشلة (مركز البوليس) كما كانت تدعى في العهدين الأسودين العثماني والبريطاني، وكانت وقت إنشائها أحد ثلاثة أبراج (قلاع) بناها الوالي (محمد آغا سحور) الملقب (بأبي نبوت) لتتمركز فيها الحاميات المدافعة عن المدينة وذلك في عام ١٨١٠، وظلت تستعمل كمركز للبوليس حتى نهاية عهد الانتداب البريطاني المشؤوم عام ١٩٤٨ .
يلي القشلة على هذه الجانب الغربي دكاكين تجارية تمثل الجدار الشرقي للجامع الكبير، وفي منتصف هذا الضلع يقع الباب الرئيس للجامع رغم أنه ليس بالباب الأكبر.



٩ - ساحة الساعة - الضلع الغربي وبوابة الجامع الكبير الشرقية



١٠ - ساحة الساعة الضلع الشرقي يمين الصورة بداية سوق الدير يليه مبنى البلدية القديم

الجامع الكبير

انشأ هذا الجامع الوالي العثماني (حسن آغا سحور) الملقب (بأبي نبوت) عام ١٨١٠ وقد عرف الجامع باسمه لفترة طويلة ثم شاع اسمه الحالي (الجامع الكبير) بني الجامع على موقع جامع سابق قام بإنشائه عميد آل بيبي (الشيخ محمد بيبي) [٦١] الإمام عام ١٧٣٥ وأوقف عليه الكثير من الاملاك والأراضي. لهذا الجامع مئذنتين شاهقتين الارتفاع (٥٥ مترا) وهما من العلامات المميزة لأفق يافا.

كانت البلدة القديمة في تلك الفترة تقع إلى الجنوب من الجامع الكبير وهي مركز الثقل السكاني للمدينة، لذا جاء تصميم الجامع بحيث تكون واجهته الرئيسة جهة الجنوب تجاه المدينة وكذلك البوابة الرئيسة للجامع. أقام الوالي أبونبوت ايضا سبيلا جوار البوابة باسم (سبيل المحمودية) على اسم الخليفة العثماني (محمود الثاني((١٨٠٨ - ١٨٣٩) كما قام بإكمال سور المدينة

٦١ - عباس نمر، المرجع السابق، ص ٨٦ .

الضلع الشمالي

يمتد هذا الضلع من الغرب ناحية (شارع الإسعاف) باتجاه الشرق ويشمل مقر البنك العربي، ثم يتفرع منه باتجاه الشمال الشرقي شارع (اسكندر عوض) [٦٢] الذي يبتدىء بالبنك العثماني يليه بنك باركليز. هذا الشارع كان يعتبر من أهم وأرقى شوارع يافا التجارية. على جانبيه كانت تنتشر المحال التجارية المترفة والصيدليات والعيادات وما إلى ذلك، ابتداء من منتصفه وباتجاه الشمال الشرقي يصبح اسمه (شارع بسترس) وينتهي عند نقطة التقاء شارع (جمال باشا) القادم من حي النزهة بشارع (المحطة / المنشية) وشارع (يافا - تل ابيب).

إلى جانب شارع اسكندر عوض يتفرع شارع جانبي ضيق يتجه إلى الشرق وتقع فيه دار سينما شعبية (سينما الشرق) كانت تعرض أفلام الدرجة الثالثة والأفلام القديمة جدا مثل فيلم فلاش جوردن ودك تراسي وغيرها. كنا طلابا نحضر العرض المتواصل خاصة أيام الأعياد حيث نستطيع ان نرى ثلاثة أفلام بقرشين (عشرين فلساً).



١١ - شارع اسكندر عوض - بسترس الشريان التجاري الهام

٦٢- الباحث التاريخي الأستاذ (علي حسن البواب). حديث شفوي، مستندا على أبحاثه في وثائق المحكمة الشرعية لمدينة يافا للفترة من ١٧٩٩ إلى ١٨٩٩ أفاد (ان هذه المنطقة كانت بيارة مملوكة من قبل السيد ديمتيري صليبا الذي كان مدينا لفرنسي يدعى سيكس افرام، ولما عجز عن سداد الدين باع البيارة مناصفة للسيدين اسكندر عوض ونجيب بسترس من لبنان فقاما بإنشاء مبان تجارية كل في حصته عام ١٨٩٠ . لذا جاء اسم الشارع باسميهما.

الضلع الطولي الشرقي

عودة إلى ساحة الساعة نجد أن الضلع الطولي الشرقي وطوله حوالي ٧٥ مترا يبدأ ببناية ضخمة مكونة من ثلاثة طوابق ذات طابع كلاسيكي هي (عمارة السراي) لذا كان لهذا الميدان اسم رابع (ساحة السراي) التي بنيت في أواخر العهد العثماني (عام ١٨٩٥) لتكون مقر الحاكم بدلاً من مقره السابق في البلدة القديمة في عمارة آل (السعيد).

تليها بنفس الحجم والفخامة والطراز عمارة البلدية القديمة التي تحولت إلى مقر (اللجنة القومية) المشرفة على أعمال المقاومة في عام ٤٧ / ١٩٤٨ .

عمارة السراي تم تدميرها في ٤ كانون الثاني ١٩٤٨ بواسطة سيارة ملغومة أتى بها اليهود وسهل لهم البريطانيون إيقافها في زقاق يحيط بعمارة السراي فدمروها واستشهد فيها العشرات من خيرة شباب ومثقفي مدينة يافا فكانت ضربة معنوية نزلت كالصاعقة على أهلها.

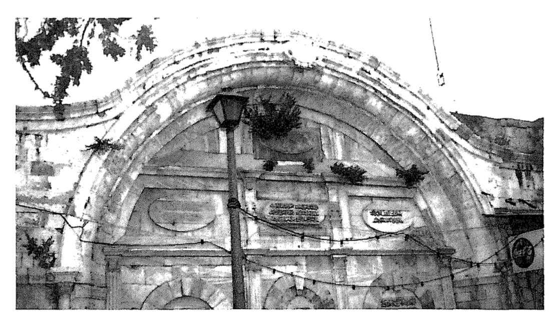
بعد عمارة البلدية السابقة تنتشر دكاكين ومحال تجارية ومطاعم من أشهرها مطعم فول (فتح الله). هذه الدكاكين تعود ملكيتها الى (سوق الدير) الذي يمتلكه (دير الروم الأرثوذكس) ويقع مدخله قبل نهاية الضلع الشرقي للساحة.

في هذا الجانب الشرقي يقع (مقهى وملهى الظرفية) كطابق ثاني مكشوف على ظهر الدكاكين التجارية، هذا الملهى اكتسب سمعة وشهرة كبيرتين وآمه (بتشديد الميم) الكثير من الفنانين من مصريين وغيرهم ممن كانوا يتوقفون في يافا كأول محطة في رحلاتهم إلى بلاد الشام.

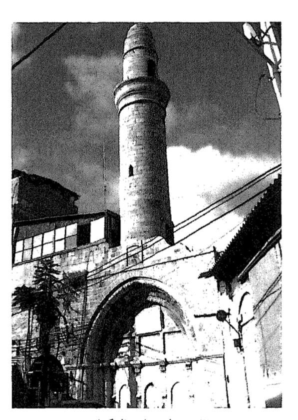
شارع السكسك

يقع هذا الشارع مباشرة بعد فتحة سوق الدير في الضلع الشرقي لساحة الساعة ويمتد باتجاه الشرق ويزدحم بمحال بيع الحبوب والغلال والمواد التموينية، قبيل نهايته يقوم على الجهة الشمالية منه (جامع السكسك) و(سبيل السكسك) ويعودان باسميهما إلى العائلة اليافية العريقة المعروفة بهذا الاسم، وقد اصبح هذا الجامع على يد العصابات الصهيونية مصنعا للبلاستيك وهو معروض الآن للبيع لمن يدفع اكثر. في نهاية القرن التاسع عشر كان بجوار الجامع خان تتردد عليه قوافل الحجاج وتجار الخضروات والفواكه وقوافل الخيل والدواب.

(شارع السكسك) ينتهي عند (شارع الصلاحي) حيث يتحدان ويمتدان تجاه الشرق إلى (ميدان البلدية) وسط (شارع جمال باشا) ثم يتجاوز الميدان باتجاه الشرق ويصبح اسمه (طريق يافا القدس) وينتهي عند (سبيل ابو نبوت) بوابة يافا التي بدأنا استكشافنا منها.



١٢ - سبيل المحمودية واجهة الجامع الكبير المطلة على شارع الميناء



١٣ - سبيل وجامع السكسك

الضلع الرابع الجنوبي لساحة الساعة

كان هذا الضلع يزدحم بمحال بيع المواد التموينية ويخرج منه باتجاه الجنوب (شارع العجمي) الذي يمتد شبه مستقيم حتى نهاية المدينة في حي (الجبلية).

بعد مسافة قصيرة يتفرع من شارع العجمي جهة الشرق (شارع الصلاحي) وكان يسمى في السابق شارع (كروسة القدس) وسمي فيما بعد باسم عائلة الصلاحي العريقة. هذا الشارع يزدحم كخلية نحل بدكاكين البقالة واللحوم والخضروات والاسماك وكذلك المقاهي الشعبية الشهيرة ومنها (قهوة حسن البواب) في منتصف سوق الصلاحي امام مجمع النقليات، و(قهوة الصفدي) وهو مقهى صغير راق يقع في الجهة الغربية من سوق الصلاحي وكان ملتقى كبار التجار ثم (قهوة داود) وكانت ملتقى تجار البرتقال. في هذا الشارع كانت تقع مكاتب شركة (باصات بامية) (يافا غزة) وهي من كبريات شركات المواصلات وقريبا منها كان يقع سوق الخضار المركزي، بعدها يلتقي هذا الشارع مع شارع السكسك في اتجاههما شرقا الى ميدان البلدية ثم طريق (يافا - القدس).

شارع الميناء وسوق البلابسة

أما الزاوية الغربية الجنوبية لساحة الساعة فتشهد تفرع (شارع الميناء) وسوق البلابسة. الزاوية الغربية الجنوية لساحة الساعة يبدأ منها شارع الميناء اللذي يتجه الى الغرب باتجاه البحر والميناء، ويعتبر ايضا المدخل الرئيسي للبلدة القديمة. في وسط هذا الشارع على الناحية الشمالية منه يقع الباب الرئيسي للجامع الكبير وبجواره (سبيل المحمودية) ذي الهندسة الاسلامية الجميلة.

يتفرع من شارع الميناء ويتجه الى الشرق في خط شبه مواز له سوق البلابسة وهو حد البلدة القديمة الشمالي وكان يشتهر ببيع الاقمشة والملابس وقد اكتسب اسمه لوجود عدد كبير من التجار من مؤسسي هذا السوق من مدينة بلبيس في مصر.

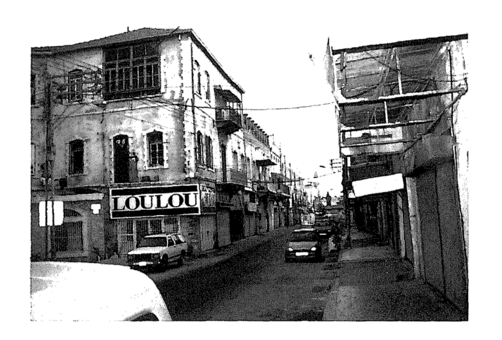
بعد انتهاء موقع الجامع تقوم مجموعة من المباني يشغل أحدها مبنى (المحكمة الشرعية) و(مبنى الكتب الإسلامية العامة)، وكذلك مطعم كباب (الرازي) وهو يطل على البحر ويعتبر من أشهر مطاعم يافا كذلك يقع هنا مبنى (نادي الشبيبة الاسلامي) الذي تأسس سنة ١٩٢٣ رفيق جمعية الشبان المسلمين في رسالتها، وبجوار النادي تقع (قهوة المدفع) الشهيرة التي تمثل معلما تاريخيا جميلاً، وقد أخذت اسمها لوجود مدفع عثماني بجوارها كان يطلق في المناسبات الكبرى وكذلك طيلة شهر رمضان معلنا مواقيت الإفطار والإمساك وكذلك أيام العيدين الاسلاميين الفطر والأضحى، وقد أصبح مع الزمن معلماً من معالم يافا [٦٣].

(سوق البلابسة) يمتد وينتحي زاوية شبه قائمة ليصبح كورنيش البحر ويسمى عندها (شارع الميناء) ويقودنا الى ميناء يافا العتيد.

٦٣- بيان نويهض الحوت، فلسطين - القضية - الشعب - الحضارة ص ١٢٨ .
(تقليد إطلاق المدافع في الأعياد الدينية الإسلامية ورثه الفلسطينيون من عهد المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م).
* الباحث علي البواب حسن حديث شفوي



١٤ - سوق الصلاحي



١٥ - شارع السكسك

الجولة الثالثة : البلدة القديمة

عودا إلى الصورة البانورامية لمدينة يافا قرب سبيل ابو نبوت، لقد انتهينا من التعرف على الجناح الشمالي للمدينة (احياء المنشية وإرشيد والبرية) واحطنا بساحة الساعة وما جاورها في الجهة الغربية.

نحن نتطلع إلى القلب (البلدة القديمة) مهد يافا الأول وخزان تاريخها وكل ما يحتضنه من عبق الذكريات والأحداث بعمق عشرة آلاف عام. الهضبة تعلو حوالي خمسة وثلاثين مترا فوق جارها الأبدي البحر، ترتطم أمواجه مترامية عند قدميها شوقاً وتقرباً. أمواج البحر هذه عبر العشرة آلاف عام الماضية حين وطئت قدما الانسان الأول هذه الهضبة كانت ولازالت تتسابق وتتصارع لترتمي عند قدميها.

لقد لفظت امواج بحر يافا ملايين الأقدام الغريبة وستتلفظ كل الغرباء وتبقى أمينة لأهلها، هذا يذكر الكاتب بحديث قرأه قبل سنين وجيزة في صحيفة يومية أردنية قيل أنه جرى بين الدكتور (نبيل شعث) لدى زيارته لمدينة يافا بعيد اتفاقات أوسلو وبين دليله الصهيوني، كان الحديث كالتالي او معناه (أترى يادكتور نبيل لقد غيرنا الكثير في يافا وسوف نغير الباقي) فرد الدكتور شعث بقوله (إلا أمواج البحر فلن تتمكنوا من تغيرها).

خط الأفق لهذه التلة المدينة يزدان بأربع منائر تتطاول لتعانق السماء : على الكتف الشمالي هناك مئذنة (جامع البحر) التي قد لاتراها بوضوح من موقعك هذا. في القمة يعلو برج (كنيسة مار بطرس) (١٨٨٨م) الى عنان السماء وهي الكنيسة التي بنيت على بقايا قلعة من أقدم قلاع يافا، إلى الجنوب من القمة تظهر مئذنة (جامع الطابية) بثوبها الأبيض القشيب وإلى أقصى الجنوب من الهضبة تقف (منارة ميناء يافا) ترشد العائدين. الفنار الذي استرشدت به السفن منذ آلاف السنين لازال واقفاً ينتظر عودة أبناء المدينة من المنافي والتشريد.

الجولة الثالثة

البلدة القديمة

شمال

حوض الميناء

حاجز الأمواج

باب البوغاز

صخرة أندروميدا

العجمي

البلدة القديمة

مقبرة الأرمن

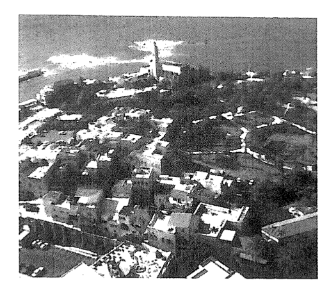
البحر الأبيض المتوسط

البلدة القديمة منطقة هدمت عام 1936

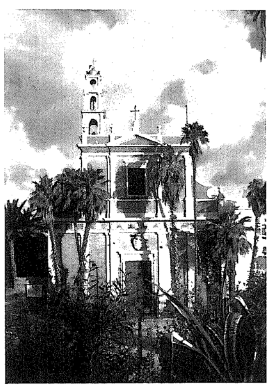
البرية

الجولة الثالثة

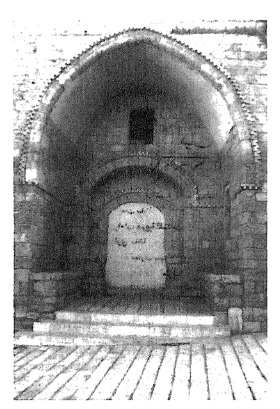
١	٤٧	النادي العربي
٢	٦٣	ادارة الجمارك
٣	٦٥	كنيسة القديس سمعان
٤	٦٧	جامع الطابية
٥	٦٩	جامع البحر
٦	٦٦	الفنار
٧	٧١	مطابع ورق وخشب البرتقال
٨	٦٨	كنيسة الأرمن



١٦ - بانوراما جويه للبلدة القديمة



١٧ - كنيسة القديس مار بطرس



١٨ - مصبنة دمياني من روائع يافا الفنية



١٩ - حوض الميناء استقبل سفن الفراعنة، الاغريق وكل من جاء بعدهم

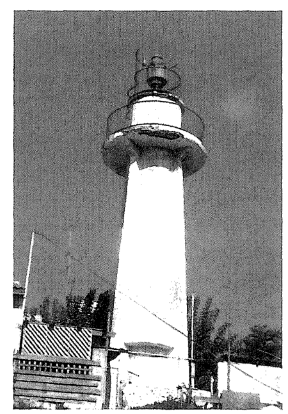
البلدة القديمة كانت تضم حتى عام النكبة احياء (الطابية، القلعة والنقيب) وفي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك حي رابع يقع شرقي (حي النقيب) هو (حي الفلاحين) حيث كان موئلا لعائلة من أشهر العائلات تاريخياً ألا وهي (عائلة الحشاش) [٦٤]*.
أسفل هذه المنارات تنتشر قباب هنا وهناك هي بقايا قليلة من مدينة تزدحم بمئات البيوت والمساكن تزاحم بعضها البعض لا يفصل بينها سوى أزقة متعرجة ضيقة كما هو الحال في كافة المدن التاريخية.

نسف البلدة القديمة بالديناميت

بريطانيا الدولة المنتدبة التي كلفتها عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى مهمة ومسؤولية رعاية فلسطين وتطويرها حتى تصبح جاهزة للاستقلال، هذه الدولة التي كانت عظمى استكثرت بيوت يافا والعائلات التي تؤويها وضحكات الأطفال، فقامت يوم ١٨ حزيران ثورة ١٩٣٦ بنسف ثلث المدينة (٢٠٠ بيت) بالديناميت وقنابل الطائرات لإفساح المجال لإنشاء شوارع وطرق كما ادعت والحقيقة ان البلدة القديمة كانت مأوى للثوار وعصية على جنود الاحتلال فكان لابد من نسف شرايين فيها لتسهيل اقتحامها.
ثم جاء السرطان الصهيوني بعد نكبة عام ١٩٤٨ فأكمل المهمة وتاريخه مشهود له بالحرق والنسف والتدمير [٦٥] (يشوع ٢١/٦) فقام بنسف المزيد من البيوت ولم يبق إلا نسبة ضئيلة حولها إلى حي سياحي وسكن للفنانين.
لم يبق اليوم من تلك الدور الفارهة العريقة إلا القليل بعضها عملوا منه مسرحا والبعض الآخر متاحف ولم لا فلم ينتموا قط إلى تلك الديار.
اذا أتيح للقارىء الالتفاف لى الجانب الغربي من البلدة القديمة المطل على البحر فسيرى البيوت مبنية كمدرجات فوق بعضها البعض تزدان بأسقفها من الكرميد الأحمر، منظر جميل آخاذ، خاصة لركاب السفن الشراعية القادمين من أوروبا بعد أسابيع من السفر وسط لجج اليم. في أسفل التل يقع (الميناء) الميناء جلاب الخير والرزق وسبب تواجد يافا في موقعها الذي هي فيه.
هذا الميناء يعتبر من أقدم موانىء البحر المتوسط، بوشر في بناء رصيفه الحديث عام ١٧٤٠م ثم تتابعت أعمال توسعته جيلا بعد جيل [٦٦] هو ويافا توأمان لولاه ما كانت يافا ولولا يافا ما كان.

---

٦٤ - البواب علي حسن، حديث شفوي
* الحشاشون طائفة شيعية صوفية إسلامية ظهرت في عهد الفاطميين في مصر، القرن الحادي عشر الميلادي، على يد المدعو حسن الصباح الذي انتقل إلى ايران وفيها انتشرت دعوته، مجلة الهلال - القاهرة عدد كانون ثاني / يناير ٢٠٠٢ ص ٥٠ .
٦٥ - د. محمد علي الخولي، اليهود من كتابهم، ص ٢٤ .
٦٦ - د. عز الدين غريبة، المرجع السابق، ص ٦٠ .



٢٠ - فنار يافا (ينادیكم)



٢١ - الفنار العثماني

صورة بانورامية لوسط وجنوب يافا

الصورة البانوراميـة تقودك إلى الجهة الجنوبيـة للبلدة القديمة إلى الجنوب منها تنخفض الأرض انخفاضا ملموسا لتكون (ساحة الخضر)، يتلوها حي (سكنة الهريش)، ولايلبث سطح الأرض ان يرتفع من جديد مكونا (هضبة العجمي) الأقل ارتفاعا من البلدة القديمة ولكنها أعلى من بقية أنحاء يافا، حي العجمي يمتد فسيحا إلى الجنوب وينتهي في (حي الجبلية) الذي يعتبر النهاية الجنوبية لمدينة يافا حيث تحده مستعمرة بيت يام.

بينك وبين هذه الهضبة تنبسط الأرض سهلة مستوية وتمتد أحياء سكنة درويش، تل الريش، القرية العربية، حي الرياض، النزهة متدرجة من الجنوب إلى الشمال تجمعات سكنية وسط بحر آخر.البحر الأول الغربي هو البحر المتوسط، اما البحر الثاني فشرقي أخضر اللون بيارات برتقال يافا وكرومها التي نوه بها الزوار والحجاج الأجانب منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، هذه البيارات أصبحت منذ الأربعينات من القرن العشرين تزدحم بالأحياء السكنية والضواحي (السكنات).

لاشك في أنه قد أعجبتك وأسرتك الصورة البانورامية ولكن لابد من ترك موقعنا هذا والتوغل داخل الأحياء كما فعلنا سابقا للتعرف على جنبات ومعالم مدينة يدعونها ولعا وحباً (عروس البحر)، (عروس فلسطين) و(يافا عالبال).

الجولة الرابعة : العجمي الجبلية

شارع العجمي

لنعد إلى نقطة بدايتنا الأخيرة ساحة الساعة قلب يافا النابض.

بوشر في هدم السور وطمر الخندق اللذين كانا يحيطان بالبلدة القديمة عام ١٨٧٩م واكتمل في ١٨٨٦م، حينها بوشر في إنشاء شارع العجمي، وقد سموه أول ما انشىء (شارع الخمارات) كذلك كان به مقبرة لليهود.[٦٧] كنا قد توقفنا عند الضلع الجنوبي من ساحة الساعة حيث يبدأ شارع العجمي وسرنا فيه قليلاً ووجهتنا إلى الجنوب وخلفنا ساحة الساعة، يليها باتجاه الشرق أول شارع يتفرع من شارع العجمي هو (شارع الصلاحي) نستمر في السير باتجاه الجنوب على الجانب الشرقي للشارع يقع النادي العربي وهو تجمع للشباب المثقف كان له دور مميز في حياة يافا الثقافية، اسسه لفيف من الشباب اليافي المثقف عام ١٩٤٣ . للمساهمة في الواجبات الوطنية والاجتماعي فكان ينظم المحاضرات السياسية التثقيفية ويصدر النشرات وينظم دورات مسائية لمكافحة الأمية. شارع العجمي يبدأ في الارتفاع بالتدريج.

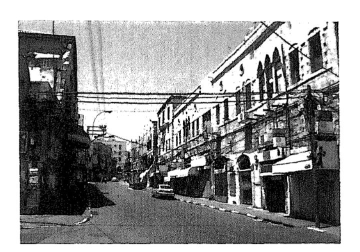
٦٧ - حسن نمر يسير، مقال في كتاب (يافا عطر مدينة) المرجع السابق، ص ٢٣٩ .

الجولة الرابعة

حي العجمي

الجولة الرابعة

١		المستشفى الفرنسي
٢		المدرسة الانجليزية بنات
٣		مدرسة الفرير بنين
٤		كنيسة الخضر
٥		المدرسة الارثوذكسية بنين
٦		مدرسة الراهبات بنات
٧		حواصل التيان - جريدة فلسطين
٨		كنيسة البرتستانت
٩		المستشفى الانجليزي
١٠		كنيسة اللاتين / النادي الانضوني
١١		كنيسة ودير الاقباط
١٢		فندق كليف هوتيل
١٣		سينما أبولو
١٤		كلية الثقافة
١٥		مدرسة حسن عرفة
١٦		جامع العجمي
١٧		الكينات
١٨		مدرسة النهضة الاسلامية
١٩		شط جون الانجليز
٢٠		مستشفى الحكومة
٢١		مسبح السرياني
٢٢		مستشفى الكرنتينا
٢٣		مقبرة الجبلية
٢٤		جامع الجبلية
٢٥		قهوة احميد
٢٦		اذاعة الشرق الأدنى



٢٢ - بداية شارع العجمي كانت خندقا حتى اواخر القرن التاسع عشر



٢٣ - شارع الملك فيصل وفي نهايته يظهر جسر شارع العجمي

على غرب الشارع يقع مبنى المستشفى الفرنسي وإلى الخلف منه كنيسة الخضر ويقعان أسفل البلدة القديمة من الجهة الجنوبية حيث تمتد ساحة الخضر يقابلها على الجانب الشرقي للشارع المدرسة الانجليزية للبنات، مدرسة الفرير للبنين ومدرسة الراهبات للبنات وثلاثتها صروح بنائية كلاسيكية جميلة ولكنها وهذا الأهم منارات تعليم وتثقيف أسهمت في بناء المستوى الثقافي المميز الذي كان يتمتع به بنات وأبناء مدينة يافا.

وسرعان ما نصل إلى مجموعة من الدكاكين التجارية ذات طابع كلاسيكي خاص تقع على الجانب الشرقي للشارع، إنها (حواصل التيان) هكذا كان اسمها الشائع، والتيان اسم للعائلة اللبنانية التي كانت تمتلكها [٦٨]. وفي الطابق الثاني لهذه المجموعة كانت مكاتب جريدة فلسطين إحدى أكبر صحيفتين يوميتين وأقدمهما إطلاقا إذ أسست عام ١٩١١م من قبل عيسى العيسى ويوسف العيسى.

حي البطمة

هذه المنطقة تدعى (حي البطمة) ويخترقها شارع بنفس الاسم وقد كان فيما سبق يسمى زقاق البطمة لوجود شجرة بطم (سدر) فيه، يبدأ من الميناء مارا بمقبرة الأرمن فيقسمها نصفين ثم يستمر باتجاه الشرق الى أن ينضم الى شارع الصلاحي قبيل سوق الخضار المركزي، حتى الثلاثينيات من القرن العشرين، كان شارع البطمة هو الشارع الرئيس بين ميناء يافا وداخل فلسطين.

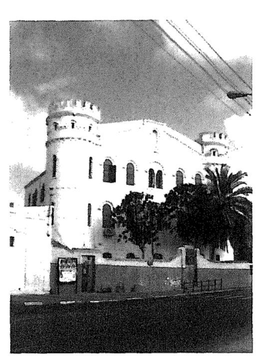
سكنة الهريش

خلف المقبرة الى الغرب تقع سكنة (حي الهريش) وهو أول حي بني خارج البلدة القديمة باتجاه الجنوب وغالبية سكانه من العرب المسيحيين اخذ اسمه من أحد الرواد الأوائل الذين سكنوه وهم عائلة الصائغ بطرس الهريش (١٨٧٥) والأرجح انهم من أصل مصري

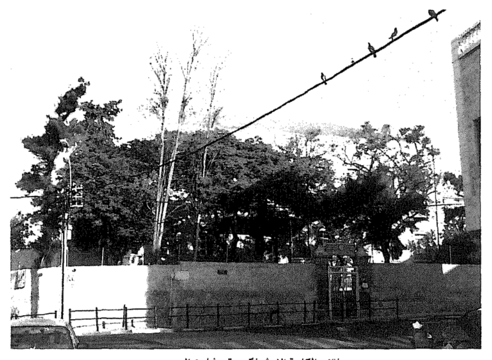
٦٨ - مولت انشاء الدكاكين ببيع أراضي وادي الحوارث البالغة مساحتها ٣١ ألف دونم لليهود في الثلاثينيات الأولى من القرن العشرين. (راجع يوسف هيكل فلسطين قبل وبعد، ص ١١٨)


٢٤ - شارع العجمي (الحلوة) مدرسة تراسنطة


٢٥ - شارع العجمي - كلية الفرير



٢٦ - مدرسة الراهبات شارع العجمي



٢٧ - الكلية الارثوذكسية - شارع العجمي

شارع الملك فيصل

"حي الهريش" يخترقه شارع آخر واسع حديث نفذ في نهاية الثلاثينيات هو شارع الملك فيصل الذي يبتدىء من الميناء ثم يخترق شارع العجمي بنفق سفلي ويمتد ليلتقي بشارع جمال باشا في حي النزهة وينتهي اخيرا في طريق يافا القدس.

يزدان هذا الشارع في كلا الجانبين بالعمارات الحديثة متعددة الطوابق وكان القصد من إنشائه هو تخفيف الازدحام في شارع البطمة وتحويل النقل الخارجي للمستوردات والصادرات إلى خارج منطقة الاسواق الوسطى (الصلاحي والدرهلي).

بعد ان تتجاوز نفق شارع الملك فيصل تمتد مقبرة الأرمن على غرب الشارع وبعدها ينتهي حي الهريش من جهة الجنوب بشارع يتفرع من الجانب الغربي لشارع العجمي وتقوم في أوله (كنيسة البروتستانت) و(المستشفى الانجليزي) وكلاهما من عمارات يافا الكلاسيكية عريقة الطراز. في نهاية الشارع يقع (فندق كليف) هوتيل الذي كان ملتقى الطبقة الراقية وموئل كبار الزوار في سني الثلاثينيات وكان ذا موقع مشرف على قمة رابية تطل على شاطىء البحر المسمى (بركة قمر) الذي طمر القسم الأكبر منه في عام ١٩٣٦ لتوسعة مستودعات الميناء. وكذلك يطل هذا الفندق على (شاطىء العجمي) شاطىء يافا العريق الذي كان ملاعب ومتنزه جيل الثلاثينيات وبداية الاربعينيات.

أما على جانب شارع العجمي الشرقي فيقع (النادي الأنطوني) ذو فرقة الكشافة المشهورة باسمه والتي كانت تعد واحدة من أشهر خمس فرق كشفية في مدينة يافا.

إلى الخلف منه شرقا تقع كنيسة (طائفة اللاتين) ومن خلفها ينتصب (دير الأقباط) قصرا منيفا تحيط به بيارة برتقال واسعة، على الجانب الشرقي لشارع العجمي باتجاه الجنوب من النادي الأنطوني تقع (المدرسة الإنجليزية) للبنات.

على غرب الشارع يظهر شارع يمتد باتجاه الغرب ويأخذ معه اسم شارع العجمي.

شارعنا الذي نسير فيه يصبح اسمه شارع الحلوة. وقد كان في السابق يدعى شارع كرم التوت لأنه يمر في المنطقة التي كانت بها بساتين التوت، وبعد ان توقفت الزراعة استبدل اسم المنطقة باسم حي العجمي.

تلة العرقتنجي [٦٩]

عند المدرسة الانجليزية للبنات على الجانب الشرقي للشارع يظهر تل يعلو على كل ما حوله من أراض وسمى (تل العرقتنجي) على اسم مالكه الاصلي امين العرقتنجي*. هذه العائلة "العرقتنجي"

---

٦٩ - إلياس الحايك. مقال في كتاب يافا عطر مدينة. المرجع السابق. ص ٢٠٣ .

* حديث شفوي مع السيد حسين ياسين رئيس الطاقم المهني للتقرير الاحصائي (يافا - مدينة الميناء) وقائع ومعطيات حول وضع سكان يافا العرب القدس ٢٠٠٢م ص ٤٩ .



٢٨ - شارع العجمي - حواصل التيان دفعت ثمنها فلسطين ٣١ الف دونم وادي الحوارث تسربت للعدو



٢٩ - شارع العجمي (الحلوة) قرب موقع سينما ابولو



٢٠ - بيوت العجمي - تل العرقتنجي منزل هشام شرابي (مقدمة الصورة)



٢١ - بيوت العجمي - تلة العرقتنجي - منزل السيد الفرد روك

اللبنانية الأصل كما ذكر حنا عيسى ملك في كتابه (ذكريات العائلات اليافية بين الماضي والحاضر) كانت أول من بنى بيتا خارج البلدة القديمة وحتى لاتكون وحيدة في تلك المنطقة أعطوا بطرس الحايك قطعة أرض ليبني بيتا في جوارهم.
يشق هذا التل شارع فسيح عرض يمتد الى الشرق حتى قمة التل ثم ينحدر شرقا وينتهي بمجموعة درجات تصله بشارع الهباب الذي يقع في حي النزهة.
يتميز هذا الشارع بأنه كان يحوي مجموعة من أرقى المساكن الفردية (الفلل) في مدينة يافا، وكان من سكانه وملاكيه عائلات الفرد روك، البيطار، الخوري، الجلاد، هشام شرابي، الدكتور المسكوبي وعائلة المؤلف القليوبي، وكذلك الدكتور قيالة، وغيرها من كرام العائلات بعد هذا التل باتجاه الجنوب تقع ساحة مكشوفة واسعة تسمى (أرض ابونجيب) وكانت وقفا لأحد الأديرة وفي طرفها الجنوبي الشرقي شجرة جميز معمرة باسقة.
نغذ السير في شارع الحلوة باتجاه الجنوب ولايلبث ان يظهر على جانبي الشارع شرقا وغربا شارعان،الشارع الأول يتجه إلى الغرب ويقع في بدايته مركز بوليس العجمي

سينما ابولّو ومنطقة دوله

الشارع المتجه إلى الشرق يبدأ بعمارة سينما (أبولّو) قبالة مركز بوليس العجمي وهي أقدم دور السينما في مدينة يافا، وقد توقفت عن العمل في أواخر الثلاثينيات، الشارع يستمر شرقا وسط بيارات البرتقال والمنطقة تعرف باسم منطقة (دوله) وهو اسم عائلة عريقة في المدينة، هذا الشارع ينتهي لدى التقائه بشارع جمال باشا في حي النزهة ويكون على نهايته من جهة الجنوب مستشفى الدكتور (فؤاد الدجاني) وهو أول مستشفى خاص يمتلكه مواطن عربي. أما على شمال هذا الشارع فتقوم مدرسة العامرية الابتدائية والثانوية.

كلية الثقافة ومدرسة حسن عرفه

نعود إلى الشارع الذي يتجه إلى الغرب، فبعد مركز بوليس العجمي يستمر مستقيما مارا (بكلية الثقافة) الأهلية التي يمتلكها المربي الفاضل الأستاذ شفيق الأنصاري، بعد مسافة ليست بالقصيرة ينحني الشارع بزاوية قائمة ليغير اتجاهه من الغرب إلى الجنوب وهنا تقع مدرسة حسن عرفة الثانوية الحديثة الفخمة.
هذه المدرسة قام بإنشائها بالكامل على نفقته الخاصة في نهاية الثلاثينيات أحد تجار البرتقال ومن الشخصيات اليافية البارزة المرحوم حس عرفه فسميت باسمه.



٣٢ - حي العجمي نظره من الجنوب إلى الشمال



٣٣ - شارع الحلوة استعاد عروبته بعد خمسين عاما

إلى الخلف من هذه المدرسة باتجاه البحر كانت هناك مقبرة إسلامية قديمة ازدحمت بالقبور ودرست إلا الجزء الغربي الأعلى منها الذي كان قمة مطلة على البحر.

أقيم على هذه القمة مقام وجامع العجمي [٧٠] لشيخ ديني ذي شهرة كبيرة هو الشيخ ابراهيم العجمي، ويعتبر من الفقهاء والعدول، سكن بالقدس الشريف (حوالي ١٣٣٤م تقريبا) وعلى اسم هذا الولي الصالح سمي الحي بكامله (حي العجمي) وهو أكبر أحياء يافا. شارع (العجمي) يسير فيه خط حافلة رقم (١) الذي يبدأ من الموقف العام في شارع الإسعاف / ساحة الساعة وينتهي عند مستشفى الحكومة في بداية حي الجبلية.

شواطىء يافا

إسرائيل تعلن الحرب على ال (أنا... والمكان... والزمان)

شاطيء العجمي

بجانب مدرسة حسن عرفة يخرج شارع فرعي باتجاه الغرب مارا بمقام الشيخ العجمي ومنتهيا بدرج (حوالي ٥٠ درجة) توصل الى شاطىء العجمي العريق.

من المحزن حقا ان سلطات الاحتلال الصهيوني قد ارتكبت ضد مدينة يافا جرائم كثيرة لكن أكبرها هي قيامها بردم شاطىء العجمي وتعبئته بتلال بشعة قذرة من ركام مبانينا وبيوتنا التي مازال الجميع يحتفظ بمفاتيح أبوابها.

شاطىء العجمي ذو صخور عديدة تمتد داخل البحر وكان لكل واحدة منها اسمها الخاص لدى أبناء يافا فهذه صخرة الزيرة وهذه... وهذه..الخ.

كان هذا الشاطىء بالنسبة لأهل يافا أكثر من مجرد شاطىء او متنزه، كان صديقا عزيزا للجميع كأنه أحد أفراد العائلة، عليه وبه كبرت أجيال وكبرت معه الذكريات.

ثم جاءت اسرائيل... فقتلته واختفى أثره وانداح معه جبال من الذكريات الحميمة.

إن قيام إسرائيل قد كلف الجنس البشري بعامة والشعب العربي الفلسطيني بخاصة الكثير الكثير من تراثه الأخلاقي والإنساني وكذلك الجغرافية التاريخية حتى صار الواحد منا يشك أن بعض بني البشر لازالوا ينتمون إلى الانسان الوحشي التندرتال الذي سبق الإنسان العاقل.

لقد تحجروا Fossilized بعقلية ونفسية ما قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام (عقلية يشوع والتلمود ومن تفرع منها).

٧٠ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

بعد اكتمال المخطوطة الأولى من هذا الكتاب بثلاثة أشهر وأثناء التحضير لمواد الملحق (رقم ٣) عن المذابح التي اقترفتها الصهيونية الأثمة ضد الشعب الفلسطيني اطلع المؤلف على الكتاب القيم (من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين مجازر وممارسات ٣٦-١٩٨٣) لمؤلفه البحاثة الأستاذ غازي السعدي، لفت انتباهه ما ورد في الصفحة ١٧ من الكتاب المذكور على لسان المدعو عازر سميلانسكي الكاتب الإسرائيلي، وهو يصور نتائج العنف والإرهاب الصهيوني، تصويرا رائعاً فيقول وهو يقف أمام البيوت والقرى العربية التي دمرت ومسحت من الوجود (ماذا كان اسم هذا المكان؟ قبل سنوات قليلة كان هنا مكان وله اسم، لقد ضاع المكان، وماذا بقي؟ اسم بدون مكان.. ثم وسريعا محي الاسم... والان ليس هناك مكان وليس هناك اسم لقد حرثت الأرض.. لايوجد حزن هنا، وإنما صمت فقط... وليس هناك جدران ولا أبواب لتحملق فيك، ولا حجارة تصرخ فيك، ولا شبابيك مفتوحة كالعيون الدامعة.. ليس هناك غموض، ولا أصوات ترافقك وأنت تسير).

عزيزي القارىء

رجاء أعد قراءة فقرتي السابقة التي تبدأ (ثم جاءت اسرائيل.. فقتلته واختفى أثره..) ولك أن تستنج ما شئت.

زار مؤلف هذا الكتاب تلك الشطوط (اصطلاح يافا يعني : شواطىء) العجمي، جون الانجليز، وغيرها فوجدها مدفونة تحت ملايين الأطنان من الركام والحقد على الجنس البشري.

لقد رأى في أكوام الردم والتلال البشعة القذرة مقابر لذكريات وعواطف أجيال نشأت وعاشت على تلك الشطوط.

قالها وأصبحت تقال من بعده (لقد قتلوا العلاقة بين الأنا... والمكان... والزمان)، وأهمها جميعا الزمان لأنه يمثل تراكم التراث الإنساني والحضارة الإنسانية لمن يُقدّرُ التراث والحضارة.

لكنهم عبثوا بهذا كله.

عزاؤنا ان الأجيال الجديدة من شابات وشبان عرب يافا الذين إلتقاهم المؤلف في أول زيارة له بعد اثنين وخمسين عاما من التهجير، قد نبتت وترعرعت وبدأت تنمو أمينة لتلك الجذور التي خلفناها وراءنا إثر النكبة التي فرضت علينا من قبل الذين يدعون أنهم ورثة السيد المسيح بعد ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف سنة بعد ميلاد السيد المسيح رسول التسامح.

نكبة وليست كالنكبات أغراب يجيئون ويقتلعون شعبا بأكمله من وطنه ويطمسون تراثه ويزورون التاريخ.

لكن الزمن قلاب

الكينات

بدأت مسيرة هذه الرحلة في شارع العجمي بموقعه الجديد ولابد أن نسير فيه حتى نهايته. يسير الشارع مستقيما تقريبا موازيا لشاطىءالبحر ويعلو عنه حوالي عشرة أو عشرين مترا. بعد مدرسة حسن عرفة وليس ببعيد عنها تقابلنا (الكينات) ومفردها (كينا) باللهجة العامية اليافية وهي ثلاث أو أربع اشجار كاليبتوس تقع على رصيف الشارع العام عند موقف (الحافلة رقم ١) وأصبحت هذه الأشجار علامة فارقة للمناطق التي تجاورها.

مدرسة النهضة الإسلامية

بعد الكينات تقع على شرق الشارع مدرسة (النهضة الإسلامية) وهي إحدى مدرستين أهليتين (الثانية دار العلوم الإسلامية في المنشية)، أنشأهما المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة قائد البلاد في تلك الأيام المرحوم (الحاج أمين الحسيني) لتكونا مصانع تفريخ أجيال من الشبيبة الوطنية.

وقد حدث ذلك فعلاً ...

كان قدر مؤلف هذا الكتاب وحسن حظه أنه لم ينشأ فقط في عائلة تولي التعليم والثقافة الوطنية جل عنايتها كالكثير من عائلات الطبقة الوسطى في تلك الأيام (سنين الثلاثينيات) بل إنه أيضاً منذ نعومة الأظفار أودع بين أيد من العناصر الوطنية الفذة من معلمي مدرسة النهضة الإسلامية.

فهذه المدرسة وشقيقتها (دار العلوم الاسلامية) كانتا تستقبلان الأساتذة الذين تستغني عنهم دائرة المعارف (التربية والتعليم) لحكومة الانتداب بسبب سلوكهم ونضالهم الوطني، وفي هاتين المدرستين كانت هذه الفئة من الأساتذة تدرس الوطنية والإخلاص والانتماء جنباً إلى جنب مع الحساب والرسم والجغرافيا.

للتاريخ نذكر أسماء كوكبة من هذا الجيل من بناة الوطن من معلمين أفذاذ : الأستاذ المرحوم حمدي الدجاني مدير المدرسة، الأساتذة عبداللطيف كمال، أحمد العيماوي، إبراهيم جاد الله، حازم جودة، محمد نجم، إسماعيل طوباسي وغيرهم آخرون ممن لاتعيهم الذاكرة.

كان من تقاليد هذه المدرسة أنه في صباح كل يوم خميس أن تطول وقفة الأصطفاف (الطابور) الصباحية قبل دخول الصفوف الدراسية ويستعاض عن التمارين الرياضية بخطب وأشعار يلقيها الطلبة والأساتذة، ويذكر المؤلف انه حفظ من أخيه واخواته في البيت أجزاء من قصيدة (فؤاد الخطيب) الشاعر العربي السوري :

لمن المضـــــارب في ظلال الوادي	ريا الرحـــــاب تغص بالرواد
الله أكـــبر تلك أمـــة يعـــرب	نفـــرت من الأغـــوار والأنجــاد
لبـيك يا أرض الجـزيرة واسـمعي	مـاشـئت من شـدوي ومن إنشـادي
ولقـــد برئت إليك من وطنيـــة	شـلاء ليست تجاوز مـوطن الميلاد

وبعد ان ألقاها ذات خميس (في الصف الرابع أو الخامس الابتدائي) ووسط تصفيق شديد، سمع الاستاذ عبداللطيف كمال مدرس الرياضيات يقول له : (من أين لك هذه القصيدة النارية)؟

قصة للتاريخ وما أكثر قصص التاريخ التي مرت بغالبية أبناء شعبنا.

ويستحب الاستطراد ثانية ليطلع القراء على تقليد جرى عليه طلاب هذه المدرسة من أعمار (١٠-١٢ سنة)

كانوا إذا صرفوا من المدرسة مبكرين عن موعد الغذاء، يذهبون فرادى ومجموعات إلى شاطىء العجمي ليسبحوا في البحر متخذين السروال الداخلي للسباحة فإذا حان موعد الغذاء وافترق كل إلى بيته، وضعوا السروال - الأبيض عادة) على رؤسهم لكي يجف ويتمكن تخبئته اذ لو اكتشف مبتلاً (لأكلوا قتلة) علقة كالمعتاد من أمهاتهم.

عودة إلى رحلة الاستكشاف حيث يستمر شارع العجمي في مسيرته تجاه الجنوب وعلى جانبيه مبان سكنية من طابق أو طابقين ومحال تجارية

شاطىء جون الإنجليز / الكازخانه

بعد مسيرة حوالي ألف متر تقريبا يتفرع من شارع العجمي شارع أسفلتي يتجه بانحراف جهة الجنوب الغربي وينتهي عند شاطىء ثالث من شواطىء يافا البحرية، شاطىء رملي تحيط به الصخور من جانبيه الشمالي والجنوبي على شكل هلالي ويعتبر من أجمل شواطىء يافا.

كان يسمى (جون الإنجليز) وكلمة (جون) العامية تعني (الخليج) ورسميا اسمه Jaffa Club اقتطعته سلطات الاحتلال بالاضافة إلى مبنى مستودعات الوقود العثماني (الكازخانه) الذي حولته الى ناد وأقامت حول شاطئه سياجا من اسلاك وحصير وخصصته للعائلات البريطانية وقواتها المسلحة* هذا الشاطىء كان له قديما اسم آخر هو (شاطىء الكازخانه) والسبب انه كان يستعمل لتفريغ المواد البترولية وخاصة الكاز وتخزينها في مستودعات اسمنتية قبالة الشاطىء ومن هنا جاء اسم كاز خانة أي مستودع الكاز إلا أن لهذا الشاطىء تجربة شخصية مر بها المؤلف يجدر به ان يوثقها في هذا المقام للتاريخ.

* اثناء الحرب العالمية الثانية قامت سلطات الاحتلال بانشاء شاطىء آخر كبير جدا خارج يافا قبالة صخرة آدم على طريق مصيف روبين ليسع الأعداد الهائلة من قوات الحلفاء كما كانوا يسمون انفسهم.

أسلحة الجيش البولندي [٧١]

قريبا من نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ كان الإنجليز قد أحضروا آلافا من اللاجئين المدنيين من بولندا وأسكنوهم مؤقتا في معسكرات في فلسطين حتى نهاية الحرب حيث أعيدوا إلى بلادهم، أثناء وجودهم في فلسطين كان البعض منهم شبانا وشابات بنفس عمر المؤلف آنذاك أربعة عشر أو خمسة عشر عاماً يترددون على هذا الشاطىء وتم التعرف على البعض منهم.

وفجأة رأيناهم يصطحبون الكثير من الشبان البولنديين الذي كانوا كما عرفنا فيما بعد، جنودا متطوعين في جيوش الحلفاء، وقال لنا البعض منهم يومها أن الحكومة البريطانية قد سرحتهم في فلسطين ومعهم كامل أسلحتهم التي تسربت سرا أو علنا إلى المنظمات اليهودية. هكذا أخبرونا (وجهاً لوجه) وإن المؤلف يدون هذه الحادثة كما سمعها منهم بكل أمانة للتاريخ.

مواسم الخير والعطاء

أجدادنا القدماء وصفوا فلسطين بأنها (أرض تفيض لبنا وعسلا) وقد صدقوا في هذه المقولة أيما صدق.

فلسطين أرض خصبة معطاء فهناك موسم الحصاد، حصاد القمح والشعير، وكان الكنعانيون يحتفلون به احتفالا خاصا وله إله يعبد يسمونه (لحاما) [٧٢] شادوا له معبدا جنوبي القدس وسموه (بيت إيلي لحام) أي بيت الإله لحاما. وهذه تطورت مع الزمن إلى (بيت لحم).

وهناك (موسم البرتقال) يقع في خريف كل عام وهو موسم خير يعم كل فلسطين وقد خصص له فصل خاص به في هذا الكتاب.

كذلك هناك موسم (قطاف الزيتون) وهو العمود الفقري لاقتصاديات المزارع الفلسطيني في المناطق الجبلية، ضف الى ذلك موسمين خاصين بيافا والمناطق الساحلية :

موسم السردين (السريدا)

يذكر المولف أنه في بداية الخريف من كل عام (أيلول / سبتمبر، وتشرين أول / أكتوبر) يبدأ موسم صيد السردين وهو سمك صغير يسميه اليافيون أيضا (سريدا) بطول شبر يغزو الشواطىء اليافية على شكل أسراب يصل السرب الواحد منها بطول مئات الأمتار.

---

٧١ - أكرم زعيتر، المرجع السابق، يروي الاستاذ أكرم زعيتر وهو من المؤرخين الفلسطينيين في الصفحة ١٥٥ من هذا الكتاب القيم رواية أخرى في هذا الصدد إذ يورد ان (اليهود اغروا كثير من الضباط البولنديين بالفرار من الجيش بأسلحتهم والاستفادة منهم ومن أسلحتهم في تدريب اليهود والالتحاق بقواتهم).

٧٢ - حنا عبدالله يوسف جقمان، المرجع السابق، ص ٣٢.

وعادة ما تخرج إلى (عرض البحر) أي داخل البحر فلوكتان (زورقان) بلا أشرعة، مزودتان بمجموعة من المجاذيف، اثنين إلى اربعة لكل فلوكة. وفي عرض البحر تُنشر بينهما شباك الصيد بطول حوالي عشرين متراً تقريباً. ثم يبدأ التجديف باتجاه الشاطىء والشباك تجمع في داخلها كمية صخمة من أسماك السردين قد تصل مئات الكيلو غرامات أو حتى طناً أو أكثر أو أقل قليلا.

حين يصل الزورقان إلى الشط (خط البر والماء) يتوقفان ويبدأ البحارة في شد الشباك إلى الشاطىء وماتحويه من أسماك وجرت العادة أن يهب كافة المارة لمساعدتهم في شد الشباك إلى اليابسة وتفريغها من السردين، الذي كان ينقل ويوضع في سلال كبيرة من البوص أو أكياس إلى سيارة شحن صغيرة نسبيا نسميها (نصف تراك) من نوع BEDFORD لتنقل السمك إلى الأسواق، وكما جرت العادة أيضا فإن كل من حضر العملية يأخذ حصة مجانية من السمك يضعها في كيس أو صفيحة وكنا صغارا لانجد شيئاً من هذا فنعبىء حصتنا في السراويل وقد فعلها المولف لمرة واحدة وأكل قتلة (علقة) بسببها.

كانت صفيحة السردين تباع بخمسة قروش في الموسم وتزكم يافا لمدة شهر أو أكثر برائحة السمك والشواء، إذ كان يوضع في صوان مع الزيت والليمون ويؤخذ إلى الأفران (صواني في الفرن) وغيرها من طرق تجهيزه.

موسم الفر (السمان)

ينعم أهل يافا والشواطىء الجنوبية حتى رفح وكذلك شواطىء العريش في سيناء بموسم خير آخر خاص بهم.

كل خريف تهاجر ملايين الطيور البرية من نوع الفري (السمان) من اوروبا الشرقية عبر بلاد اليونان إلى شواطيء شرقي البحر المتوسط الجنوبية بدءاً من يافا.

حين تصل اسراب (رفوف كما يسميها اليافيون) هذه الطيور الى الشواطىء تكون مرهقة منهكة من الرحلة الطويلة فترتمي على أطراف اليابسة حيث يكون صيادون محترفون قد نصبوا لها شباكاً بطريقة فنية تسقط الطيور داخلها ولاتستطيع فكاكا.

في الصباح الباكر يأتي الصيادون يجمعون هذه الطيور بالآلاف ويضعونها في أقفاص خاصة تصنع من جريد النخيل وكانت تباع في أسواق يافا كل ١٠ - ١٥ طيرا بمبلغ خمسة قروش (خمسين فلسا).

وقد يسعد الحظ البعض فيكون بين الطيور أصناف أخرى جميلة الألوان كالصفرية والعروسة وغيرها. كذلك كثيرا ما يتساقط السمان داخل المدينة في الشوارع والبيوت فيتسابق الصبية لالتقاطه، كان اهل يافا يستمتعون كل خريف بمحصول الفر يجلبه لهم البحر او ما قالوا (البحر جلاب) و(البحر ارزاق).

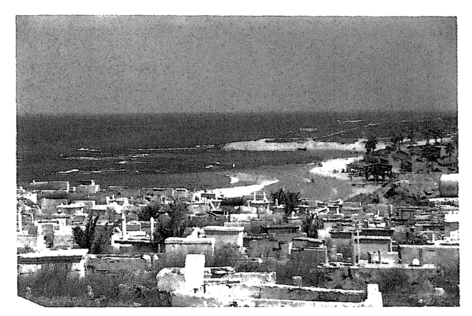
نعود القهقري إلى شارع العجمي الذي يغذُ الخطى صعودا إلى هضبة (قهوة إحميد) ومستشفى الحكومة وكانا يعتبران علامة فارقة لنهاية منطقة (العجمي) وبداية منطقة (الجبلية)

مقهى إحميد

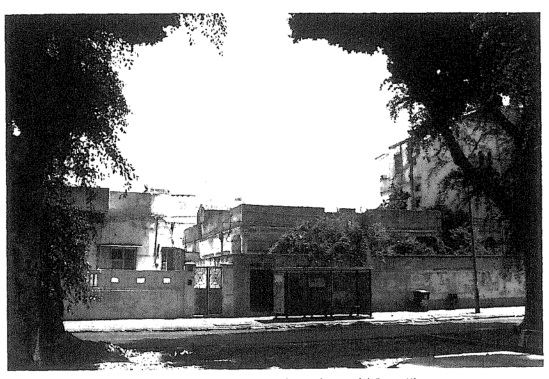
كان هذا المقهى يقف بمفرده على سطح هضبة تطل على شاطىء البحر من علو حوالي عشرين مترا. حيث يضيق الشاطىء بعد جون الإنجلير ويصبح خط الماء قريبا من أسفل تلال الهضبة.
كان الموقع خاصة ساعة الغروب جميلا اخاذا. كان المقهى يكتظ برواده من أفراد الطبقة المتوسطة كل مساء يقضون الوقت في لعب النرد وشرب الارجيلة والاستماع للراديو يذيع الأخبار وأغاني عبدالمطلب وأم كلثوم وأسمهان وليلى مراد وعبدالوهاب وفريد الأطرش.
كان والد المؤلف (الحاج أديب ابراهيم قليوبي) وكنيته التي اشتهر بها (أبو رشاد) يرتاد هذا المقهى كل مساء مستبدلا الملابس الأفرنجية (البدلة الأوروبية) بالملابس العربية (القمباز) والعباءة. هناك كان يقابل ذوي الحاجات لخدمتهم كمختار لحي العجمي وهي عادة ما تتعلق بتصديق شهادات تقدم لمختلف الدوائر الرسمية، بالإضافة إلى مهامه الأخرى كمختار للحي. إذا ما غابت الشمس في البحر أمام رواد المقهى يقوم أحد الشباب من عائلة الزراري فيؤذن لصلاة المغرب ويقوم الوالد ليؤم الناس في الصلاة على قطعة أرض من الفضاء الواسع حول المقهى وقد تطوع رواد المقهى فسهلوا سطحها وأحاطوها (بمدماك) طوب لتحديد موقع الصلاة والمحراب، بعد صلاة المغرب يجلس يخاطب الحضور من المصلين في حديث ديني قد يطول أو يقصر حسب الأحداث لأن الناس كانت تترك كل شيء لتقترب من الراديو وقت سماع الأخبار خاصة وأنه حتى نهاية عام ١٩٤٥ تقريبا كانت أجهزة الراديو موجودة في بيوت عدد قليل من الناس.
جلسة المقهى تنتهي عادة لغالبية الرواد بعد صلاة العشاء يعود كل إلى أهله.

شاطىء السرياني

بعد مستشفى الحكومة يصبح اسم الشارع شارع الجبلية وينحدر منه شارع فرعي إلى البحر لينتهي عند شاطىء (السرياني) وقريباً منه كان يقع مستشفى الكرنتينا الحكومي.
شاطىء السرياني (المسبح) الرابع من شواطىء يافا جنوب الميناء كان يتمتع بشاطىء رملي مستدير أيضاً حيط به صخور من جانبيه الشمالي والجنوبي وكان به بئر ماء عذبة على بعد حوالي عشرة أمتار من مياه البحر المالحة وبعمق حوالي ثلاثة أمتار تقريباً.
هذا الشاطيء كان يتمتع بمساحة واسعة وقد جرت العادة أن تقوم الأندية المختلفة بإقامة معرشات مؤقتة من الخشب والحصير لأعضائها لاستعمالها لأغراض السباحة. في صيف ١٩٤٦ قام البعض من طلبة مدرسة العامرية بإنشاء مثل هذا المعرش إلا أن هذه العادة انقطعت منذ عام ١٩٤٧ .



٢٤ - مسبح شاطيء السرياني وحده نجا من الطمر والدفن بعد معركة قضائية



٣٥ - بيوتنا في حي العجمي لازالت صامدة بعد خمسين عاما

مقبرة الجبلية الإسلامية (مقبرة الكازاخانة)

عالياً فوق هضبة شاطىء السرياني كانت ولازالت تقوم مقبرة الجبلية الإسلامية. وقد قامت اليد التي (قصت اجنحتنا لا بل والأرجل والرقاب فعاثت في جنبات هذه المقبرة) ناهيك عن خمسين سنة من الإهمال المتعمد.

ونستعير من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي جزءاً من قصيدته (الأندلسية)[٧٣] الخالدة التي يقول فيها :

(يا نائح الطلح اشباه عوادينا	نأسي لواديك ام تأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدا	قصت جناحك جالت في حواشينا
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا	إن المصائب يجمعن المصابينا)

وعزائي أن جيلا عربيا سيأتي ويقطع تلك اليد الصهيونية الآثمة.

إذاعة الشرق الدنى [٧٤]

في نهاية خط حافلة رقم (١) وكذلك نهاية شارع الجبلية كان يقع مقر إذاعة الشرق الأدنى التي أنشأتها بريطانيا في مدينة جنين في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية (١٩٤١) ثم نقلتها بعد عام ونصف إلى يافا لتبقى هناك حتى عام ١٩٤٦، حيث نقلت إلى القدس لمدة سنتين ومنها إلى قبرص.



٣٦ - مقبرة الجبلية الاسلامية (اهمال خمسين عاما)

٧٣ - احمد شوقي، الشوقيات، ج٢ ص ١٠٤ .

٧٤ - نبيل خالد الآغا، المرجع السابق، ص ١٥٧ ، وكذلك كتاب (يافا الحنين الابدي) لمؤلفه عباس نمر، المرجع السابق.

هدفت الحكومة البريطانية إلى إنشاء إذاعة باللغة العربية حيادية المظهر قوية الإرسال والبرامج لتعم العالم العربي بسحابة دعاية لدول الحلفاء ومجهودهم الحربي.
لكن هذه الإذاعة قامت بدور هام في جعل يافا بحق وحقيق عاصمة هامة من العواصم الثقافية في العالم العربي فكانت مرتعا خصبا لجيل الأربعينات ومنهلاً عذباً للثقافة والفنون.
إدارتها كانت من خيرة شباب فلسطين المثقف سواء اداريين او فنيين او ادباء منهم على سبيل المثال لا الحصر الاساتذة فهمي شما، صبري الشريف، محمد بيبي، موسى الدجاني، انطون صابات، سمير ابوغزالة، صبحي ابولغد، جورج دحبوره ومسك ختامهم عصام حماد أما برامجها ومواردها فقد استقطبت قادة الفكر والثقافة والأدب والفنون في العالم العربي.
زار يافا الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، توفيق الحكيم، عباس محمود العقاد، أحمد حسن الزيات، محمد كرد علي، إبراهيم المازني، وعمر أبو ريشة وغيرهم من كبار كتاب ومثقفي مصر والبلاد العربية الأخرى، كما صدح في أرجائها ملوك الطرب والغناء منهم محمد عبدالمطلب ومحمد عبدالوهاب وفريد الأطرش وشهيرات الغناء العربي، كما أن نفس الكلام ينسحب على كبار الممثلين والممثلات، أما كبار مقرئي القرآن فكان منهم أبو العينين شعيشع ومنصور الشامي الدمنهوري.
كان لهذا كله أكبر الأثر في إثراء مدينة هي بالأساس ثرية نسبيا بتقاليدها الثقافية.
أما وقد انتهى مشوار شارع العجمي والحافلة رقم (١) فلنا أن نعود أدراجنا إلى نقطة انطلاق هذا الخط حيث انفصل عن شارع الحلوة.

الجولة الخامسة : العجمي الجبلية شاطىء الدعدع
شارع الحلوة

هذا الشارع كان اسمه في السابق شارع كرم التوت لأنه يمر في المنطقة التي كان بها بساتين توت القز فسميت كرم التوت. وبعد أن توقفت هذه الزراعة ضمت المنطقة إلى حي العجمي، الشارع اكتسب اسمه هذا لأنه يمر في منطقة كانت تسمى سكنة الحلوة (١٨٠٠ - ١٨٣٠) وأصبحت فيما بعد جزءا من حي العجمي
يبدأ شارع الحلوة صعودا باتجاه كرم التوت ويخدمه خط الحافلة رقم (٦) الذي يبتدىء مشواره ايضا في ساحة الساعة وينطلق جنوبا حتى حدود المدينة الجنوبية آخر حي الجبلية.

حاووز العجمي

على غرب الطريق يتفرع شارع (عاشور) وفي أعلى نقطة من هذه الهضبة يقف خزان ماء أسمنتي عال جدا يقزم كل ما حوله ويشاهد من مسافات بعيدة في ضواحي يافا ذلك هو (الحاووز) كما يسميه

الجولة الخامسة

العجمي - الجبلية

شمال

البحر الأبيض المتوسط

الجبلية

ضاحية الرياض

كرم التوت

الحاووز

الجولة الخامسة

م	ص	الموقع
١	٨٨	كلية الثقافة
٢	١٠٠	مدرسة شعبان سرور الخاصة
٣	١٠١	مدرسة طارق بن زياد
٤	١٠٢	خزان ماء كرم الزيتون (الحاووز)
٥	١٠٣	نادي التنس
٦	١٠٥	قصر الشيخ علي
٧	١٠٤	مقهى التيوس
٨	-	النادي الارثوذكسي
٩	-	منزل احمدعبدالرحيم
١٠	١٠٨	المدرسة الايوبية بنين
١١	-	مقهى احميد
١٢	١١٠	مستشفى الكرنتينا
١٣	١١١	جامع الجبلية
١٤	١١٢	اذاعة الشرق الادنى
١٥	١١٣	مدرسة الرياض
١٦	١١٤	شاطىء الشباب ومسبح الدغدع



٣٧ - حاووز (خزان ماء) العجمي عملاق بين منارات افق يافا

اهل يافا، قد أصبح كبرج الساعة معلما من معالم يافا المشهورة . أنشأته في ١٩٤٢ بلدية يافا ويستمد ماء الشرب من بئر عميق في منطقة البصة وشبكة أنابيب تزود كامل المدينة بالمياه منذ عام ١٩٢٦ .

حول الحاووز تنتشر وبشكل متدرج مئات البيوت اليافية ذات الطابق والطابقين وجميعها تتباهى بملامح الهندسة الشرقية من أقواس فوق الشبابيك والأبواب والشرفات وهذه وتلك مبالغ في طولها لتتناسب وارتفاع الطابق الذي لايقل عن أربعة أمتار للتهوية والتبريد في فصل الصيف. أما أرضيتها فكانت تبلط ببلاط ملون بأشكال هندسية كأنها سجادة شرقية،

والأسقف جميعها كانت ولازالت مغطاة بالجمالونات الهرمية والكرميد الأحمر فتكون المنطقة كلها كأنها لبست رداء أحمر قشيباً يزداد جمالاً حين تنظرإليه من خارج يافا مثلاً، وتراه مزروعاً وسط مساحات شاسعة من خضرة بيارات البرتقال.

الحاووز (خزان الماء) معطل في الوقت الحاضر إذ أن سلطات الأحتلال إمعاناً في تقطيع اوصال يافا عمدت إلى فصل شبكة مياهها ووصلتها بشبكة مياه تل أبيب تحت إشراف شركة (ميكوروت).
مقابل الحاووز على الجانب الشرقي من شارع الحلوة كان يقع نادي التنس الذي كان يضم في عضويته ابناء الأغنياء ولم يكن المؤلف من بينهم.
بعد نادي التنس بمسافة ليست بالبعيدة يلتقي شارع الحلوة بشارع عبدالرؤوف بيطار الذي عينه الإنجليز رئيساً لبلدية يافا خلفاً لأخيه عمر البيطار المعين من قبلهم أيضاً.

كرم الزيتون

لايفوتنا ان نذكر في هذا المقام ان هذه المنطقة من حي العجمي كانت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعرف باسم كرم الزيتون لأنها كانت غابة غاصة ببساتين هذه الشجرة المباركة وقد سبق أن ذكرنا ما قاله الزوار والأجانب من أن يافا تلوح للزائر وكأنها جزيرة وسط بحر من الخضار الزبرجدي : بيارات برتقال، كروم الزيتون والأعناب فكأنها دوحة تمتد على مدى البصر.

كرم التوت

اما اسم كرم التوت [٧٥] فقد أطلق على جزء من هذه المنطقة، زرعه مستثمرون لبنانيون في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر بأشجار التوت، ابتدأت الزراعة في حوض نهر العوجا ثم انتشرت إلى ضواحي يافا الجنوبية (التي اصبحت تسمى العجمي لاحقا) وذلك بقصد إنتاج دودة القز والحرير، إلا أن التجربة فشلت لأنه في ١٩ اذار ١٨٨٦ حل صقيع شديد بالمنطقة استمر مدة ثلاثة اسابيع رافقة برد ورعود فتلفت غالبية الأشجار. تلي ذلك تأخر الأمطار في موسم الخريف فجفت الآبار وهلكت بقية البساتين.

قصر الشيخ علي

في الزاوية التي يلتقي فيها هذان الشارعان (عبدالرؤوف البيطار والحلوة) يقوم قصر ضخم أخضر اللون هو منزل (علي الشيخ علي) أحد كبار تجار الحمضيات في فلسطين، كان يعتبر من معالم يافا المميزة، وبعد عام النكبة احتلته منظة (الشاباك) الشرطة السرية للعدو واتخذته مقرا عاما لها وتشغله في الوقت الحاضر المحكمة العسكرية.

٧٥ - الياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٢٢ .



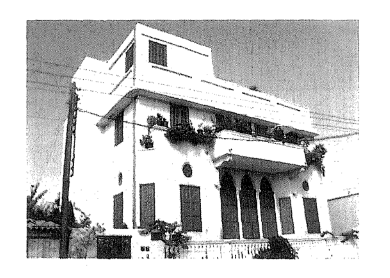
٢٨ - أحد البيوت اليافية من الداخل

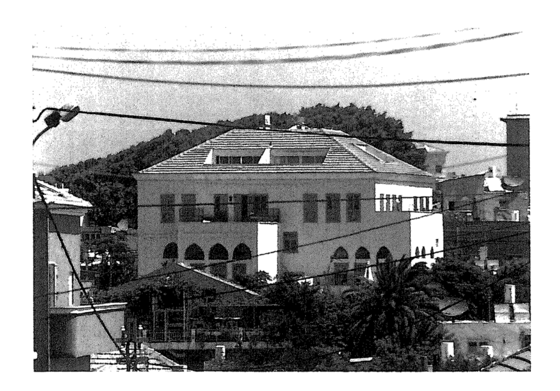


٢٩ - بعض ما خلفناه، بيت على تلة العرقتنجي



٤٠ - ٤١ - شيء من تراثنا المعماري





٤٢ - ٤٣ بيوت يافا الجميلة





٤٤ - قصر علي الشيخ علي

مقهى التيوس

على غرب الشارع بعد قصر الشيخ علي بمسافة قصيرة يقع مقهى من أشهر مقاهي فلسطين كان اسمها قهوة الكبوب على اسم مالكه ولكنه اشتهر باسم قهوة التيوس ودعي قبل ذلك ولفترة قصيرة باسم (قهوة التنابل) [٧٦] كما ذكرت بعض المصادر انه كان في البدء يدعى قهوة القزاز[٧٧].

يقع المقهى على جانب الشارع مباشرة حيث يتفرع منه شارع آخر يمتد باتجاه الغرب وتحيط به حديقة واسعة تتوسطها شجرة جميز تاريخية باسقة وفي وسط الحديقة نافورة ماء يزدحم الزبائن حولها معظم أيام السنة.

تنسم هذا المقهى شهرة كبرى بسبب اسمه ودخل الفلوكلور اليافي والفلسطيني باكثر من شكل واكثر من رواية وكان بحق من أشهر معالم يافا.

أما قصته فلها أكثر من رواية : قيل انها سميت قهوة التيوس لأن غالبية روادها كانوا أحد فئتين : الأولى متقاعدون وكبار السن من الموظفين والمواطنين الذي ليس لهم عمل يشغلهم فيقضون معظم وقتهم في المقهى بين لعب الطاولة (النرد) وتدخين الأرجيلة وسماع الراديو والأخبار لأن الراديوات كانت قلة في تلك الأيام. وكانوا في الأعم يستمعون إلى أخبر الحرب

٧٦ - سعد الدجاني، كي لا ننسى يافا، المرجع السابق، ص ١٦٢ .

٧٧ - ليلى نسيبه، مقال في كتاب يافا عطر مدينة، المرجع السابق، ص ١٦٤ .

العالمية الثانية كما يذيعها (يونس البحري) المذيع العراقي ذو الصوت الجهوري من إذاعة برلين. حالما تنتهي نشرة الأخبار يسأل أحدهم الآخر (ابو حسن إيش الأخبار؟؟).

وفئة ثانية هم شغيلة صنعة البرتقال الذين يقتصر عملهم على ثلاثة أشهر الشتاء من كل عام فيحققون دخلا يكفيهم طوال السنة، فكانوا يصرفون وقتهم في التردد على المقهى. وقد قيل على سبيل التنكيت عن هؤلاء أن أحدهم طلب أرجيلة ولما جيء بها وقعت جمرة النار في بركة النافورة فما كان منه إلا أن التقطها وأعادها إلى موقعها فوق الأرجيلة وباشر التدخين كأن شيئا لم يحدث.

على ناصية القهوة الشارع المتفرع باتجاه الغرب يصعد صعودا شديداً. ومن المحزن جدا ان الاحتلال دمر هذا المقهى التاريخي وبنى مكانه (في وسط العجمي) عمارة عديدة الطوابق تسيطر على كل ما حولها وهذا يذكرنا بعمارة مصنع البيرة قبالة حي الجبلية.

النادي الأرثوذكسي

في نهاية صعود هذا الشارع يقع النادي الارثوذكسي على الناحية الشمالية للشارع. هذا النادي أسس في عام (١٩٢٤) وعبر عمره المديد نما وتطور ونضج مؤسسة عربية يعتز بها. نشاطاته الثقافية كانت ذات برامج متكاملة. أما منزلته الرياضية فقد كان هذا النادي والنادي الرياضي الإسلامي يتنافسان دوما على مركز البطولة في كرة القدم بين كافة أندية يافا ويتفوقان عليها جميعها، اجتماعيا كان يضم فئة من مثقفي المجتمع اليافي، حين حلت النكبة في فلسطين أمكن الاستفادة من امواله المودعة في البنوك في إنشاء النادي الارثوذكسي في مدينة عمان عام ١٩٥٢ الذي نما وتطور ليتبوأ مركز الصدارة بين مثيلاته من المؤسسات الاجتماعية في الأردن.

على الناحية الجنوبية من هذا الشارع يوجد منزل ضخم هو منزل السيد محمد عبدالرحيم احد كبار تجار البرتقال في يافا ومن أهم وأكرم الشخصيات الوطنية التي قامت بدور هام في مصير البلاد خلال أعوام ١٩٤٨/٤٧ .

هذا الشارع يستمر غربا منحدرا انحدارا شديداً باتجاه البحر ويلتقي شارع العجمي عند قهوة إحميد أي عند النقطة التي يصبح فيها اسم شارع العجمي شارع الجبلية.

إلى الجنوب من بيت عبدالرحيم تقع مدرسة الايوبية الحكومية للبنين وهي من مدارس يافا الحديثة.

مشرع أبنية الرياض

في القسم الأخير من شارع الحلوة قامت شركة إنشاءات حديثة (بمشاركة تاجر من أكبر تجار الأخشاب في فلسطين السيد مصطفى أبوزيد) [٧٨] بإنشاء حي سكني حديث سموه حي الرياض وحين اكتملت مبانيه بدأت الحركات العسكرية عام ١٩٤٧ فاستلم اتحاد طلبة يافا العرب إحدى الفلل لصيانة وتصنيع الذخائر لحساب اللجنة القومية، تسلم العدو المشروع كاملاً غير مستعمل.

حي الجبلية

يقع هذا الحي في أقصى جنوب يافا ويتكون من مبان متواضعة وقد بدأ حيا ريفيا كضاحية جنوبية تنتشر مساكنه وسط بساتين البرتقال وكانت هذه المساكن بمقابل وتحت رحمة مبان يهودية في مستعمرة بيت يام البعض منها أعد خصيصا لهذا اليوم كمصنع البيرة ذي الطوابق الثلاث الذي كان فيه مدفع صهيوني رشاش يسيطر على كافة انحاء حي الجبلية وبعض اجزاء حي العجمي وقد قام المؤلف بإسعاف اثنين من البحارة أصيبا في زورقهما أمام مسبح السرياني برصاص هذا الرشاش.

شاطىء (مسبح) الدعدع

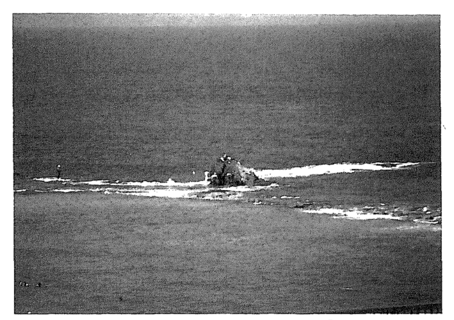
شارع الحلوة يميل منحدرا نحو الغرب الجنوبي إلى أن يصل إلى شاطىء البحر حيث تنتهي رحلة الحافلة رقم (٦) وهناك يقوم مسبح الدعدع وقد سمي باسم مالكه السيد محمد الدعدع وقد كان في الأصل كرم (بستان) اشجار مثمرة ثم تحول في الثلاثينيات من القرن العشرين إلى مسبح ومقهى وهو أكبر وأحدث شواطىء يافا وكان ذا شهرة في كافة أنحاء فلسطين، وقد كان يسمى أيضا (شاطىء بئر الضبع)،

هذا الشاطىء الرملي سلس كبير الاتساع يحده من جهة الشمال حيد صخري يمتد حوالي مائة متر داخل البحر، أما على الناحية الجنوبية وعلى بعد بضع مئات الأمتار تقف صخرة (حجر آدم) عالية فوق سطح الماء بثلاثة أمتار، وكانت تعتبر علامة فارقة لابتداء طريق البحر إلى مصيف روبين.

الشاطىء مقابل هذه الصخرة وإلى مسافة سبعة كيلومترات الى مصب نهر روبين واسع منبسط تغطيه طبقة عميقة من الرمال الذهبية وكان مطروقا بكثرة في الصيف أثناء موسم روبين في الثلاثينيات بقوافل الجمال تنقل المصطافين بالمظاهر التقليدية والجمال مزينة الى المصيف المشهور (يقول المثل اليافي" روبنّي اي خذني الى روبين أو طلقني)

---

٧٨ - احمد خليل العقاد، المرجع السابق، ص ٢



٤٥ - حجر (صخرة آدم) شهدت مذبحة نابليون بونابرت في اهالي يافا اذار (١٧٩٩م)



٤٦ - زنابق يافا البرية (النرجس البحري)

الحديث عن مصيف وموسم روبين وتقاليده يحتاج الى بحث خاص مطول، إلا أن نقطتين هامتين لابد من الاشارة اليهما في هذا المقام :

النقطة الأولى : أرض مذبحة الشهداء : إن الأرض قبالة صخرة آدم يسميها الناس أرض مذبحة الشهداء حيث ساق نابليون بونابارت سيء الذكر عام ١٧٩٩ حوالي ٤ آلاف من الجنود العثمانيين هم حامية يافا ونفذ فيهم مذبحته المشهورة حسب ماجاء تفصيله في الفصل المخصص لذلك.

أما النقطة الثانية فهي ان شاطىء الدعدع لم يكن معلما مشهورا مشهودا فحسب ولكنه كان يجسم تقليدا يافيا أصيلا من حيث التصاق اهل هذه المدينة بالبحر التصاقا وثيقا يصبغ حياتهم في كل مراحلها فتيانا، شبانا وشيبا، ومن لم يقم بزيارة هذا الشاطىء فكأنه لم يتعرف إلى وجه أساسي من أوجه يافا.

كان المتنزهون يتجمعون في جنباته الواسعة كل يوم جمعة ويتزاحمون على الشاطىء رغم اتساعه ويقضون اليوم بأكمله بين السباحة ورياضة كرة الشاطىء والأكل من مشوياته الشهية، أوكيزان (جمع كوز) الذرة الصفراء مشوية أو مسلوقة وكذلك حلوى شعر البنات والتفاح الحامض مغطى بطبقة سكرية حمراء اللون واخيرا فاكهة الصبر.

زنابق يافا البرية (النرجس البحري) SEA DAFFODILS

شيء واحد لايستطيع مؤلف هذا الكتاب ان يحرمك منه عزيزي القارىء بمناسبة الحديث عن مسبح الدعدع مهما طال الحديث.

إلى الجنوب من هذا المسبح وإلى مسافة تسعين كم حتى مدينة غزة تجاور الشاطىء وتحدب عليه كثبان رملية صافية بلون الذهب تتلاعب بهاالرياح وتسفيها من مكان لآخر، غطاؤها النباتي قليل متباعد إلا من ملايين نعم ملايين الأبصال البرية التي تعرف باسم النرجس البحري واسمها العلمي [٧٩] Pancratium Maritimum وهي من عائلة الأبصال، ذات زهرة بوقية كبيرة بحجم اليد لونها أبيض تزهر صيفا وذات رائحة زكية تعطر الجو وتملؤه بشذاها لمسافة أمتار.

كنا نتلذذ بجمع إبط (باقة) منها ونأخذها إلى البيت فتصل مع الأسف وقد ذبلت غالبيتها.

شيء واحد يجب على المؤلف ان يحذرك منه عزيزي القارىء ألا وهو أن لاتقرب زهرتها كثيرا من أنفك لتشم رائحتها إلا إذا كان معك مرآة حيث أن طلع هذه الزهرة غزير جدا يصبغ وجهك باللون الأصفر.

هذه الزنابق البرية وصخرة آدم وتل يونس إلى الجنوب في منتصف الطريق إلى روبين جعلت ليافا معالم فريدة في نوعها قل أن ينساها المرء إن تذوقها ولو لمرة واحدة.

---

٧٩ - Post, George E. : Flora of Syria, Palestine & Sinai
كذلك د. محمود جبريل الجنيدي الخبير والباحث في النباتات البرية في شرق البحر المتوسط، حديث شفوي

مستعمرة بيتيام [٨٠]

هنا قبالة صخرة آدم تقع هذه المستعمرة اليهودية وقد أسسها العدو عام ١٩٢٦ على أراض أميرية (ملك الدولة) متنازع عليها مع الأوقاف الإسلامية، ومع ذلك ضربت الحكومة البريطانية باحتجاجات العرب عرض الحائط وسمحت بإنشاء المستعمرة وكان اسمها في البداية بيت فيجان. تربتها كثبات رملية متحركة ولاتصلح للزراعة.

سلطات الاحتلال بعد النكبة وسعت هذه المستعمرة وحولتها إلى مركز صناعي وسياحي هام وأصبح الشاطىء قبالة صخرة آدم لايقل عن شاطىء تل أبيب في الاتساع ودرجة الإقبال عليه.

الجولة السادسة

حي النزهة - شارع جمال باشا

عزيزي القارىء لقد تجولنا حتى الآن في ثلاثة أرباع مدينة يافا وزرنا تسعة من أحيائها الأحد عشر. كنا دوما نبدأ من نقطة مركزية هي سبيل ابو نبوت وبعدها ساحة الساعةونستعرض الحي تلو الآخر ابتداء من الشمال والتدرج حتى أقصى الجنوب ونحن الآن في أقصى جنوب يافا في حي الجبلية لذا لم لا نكمل جولتنا مبتدئين من أقصى الجنوب إلى الشمال بعكس الجولات السابقة؟ فليكن هذا وهيا بنا.

شارع النزهة

من قرب حي الرياض الجديد ننطلق عبر شارع فرعي من الغرب إلى الشرق وسط بيارات البرتقال ويكون أمامنا إلى الشرق سكنتا درويش وتل الريش وهما منطقتان سكنيتان ريفيتان. كان يخدم هذه المنطقة خط الحافلة رقم (٤) مبتدئا من (شارع الصلاحي).

شارعنا هذا يمر بجوار مقبرة (طاسو) الإسلامية وقد كانت في الأصل بيارة برتقال تمتلكها عائلة طاسو اللبنانية (١٨٦٠م) يمتد عريضا واسعا باتجاهين يفصل بينهما جزيرة وسطية، لا يقل عرض هذا الشارع الكلي عن عشرين مترا وقد بدأ يغير اتجاهه بصورة عمودية ليصبح متجها من الجنوب إلى الشمال وبقي محتفظاً بنفس الجزيرة الوسطية، والاتساع، وقد أُكمل العمل في هذا الشارع عام ١٩٤٦ ، في ثلثه الأول وعلى الجانب الغربي منه تقع مدرسة اليرموك الابتدائية، وهنا

---

٨٠ - أنيس الصايغ، المرجع السابق، ص ٥١ .

٥	٩٥	مدرسة حسني الأسمر الخاصة
٦	٩٤	مصنع ماسبيرو للسجائر
٧	٩٢	مدرسة الزهراء بنات
٨	٩٠	نادي الاتحاد
٩	٥٠	عمارة بلدية يافا
١٠	٥١	سينما فاروق
١١	٥٢	سينما الحمراء
١٢	٥٣	خزان ماء البصة
١٣	٥٤	ملعب البصة البلدي
١٤	٤٩	فندق كونتيننتال
١٥	٤٤	دائرة الصحة العامة
١٦	٢٩	مقر حاكم اللواء
١٧	٢٨	جريدة الشعب
١٨	٢٧	جريدة الدفاع
١٩	٢٦	سينما نبيل
٢٠	٢٥	محطة باصات يافا القدس
٢١	٢٤	مركز البريد
٢٢	٢٣	سينما الرشيد
٢٣	٢٢	محكمة الصلح
٢٤	١٨	فندق القدس
٢٥	١٧	المخابرات العامة CID
٢٦	١٦	المدرسة الانجليزية العليا بنات
٢٧	١٥	فندق رمسيس
٢٨		مصانع واجنر
٢٩		مطاحن دعدعس

تبدأ العمارات السكنية تظهر وسط بيارات البرتقال إلى أن نصل إلى نقطة اتصاله بشارع دولة القادم من مركز بوليس العجمي وعند نقطة تلاقيهما يقوم مستشفى الدكتور فؤاد الدجاني كما ذكر سابقاً، عند هذه النقطة يتغير اسم الشارع ويصبح شارع جمال باشا. يخدم هذا الشارع خط الحافلة رقم (٣) .

شارع جمال باشا

أنشأ هذا الشارع حسن بك الجابي والى يافا العثماني في عام ١٩١٥ وسماه باسم والي دمشق سفاح الثورة العربية الكبرى (جمال باشا) وكذلك سمي في عهد الانتداب البريطاني شارع الملك جورج، هنا تختفي بيارات البرتقال وتحل محلها العمارات ذات الطابقين والثلاثة لساكنيها من التجار والموظفين من الطبقة الوسطى، وقد سمي هذا الحي حي النزهة وكان حديثا اوروبي الطراز والهندسة.

المدرسة العامرية للبنين ومدرسة الزهراء للبنات

على مسافة قصيرة غرب الشارع نشاهد أولا بناية المدرسة العامرية الثانوية للبنين وهي عصرية حديثة بوشر في بنائها عام ١٩٣٦ [٨١] وهي أول مدرسة ثانوية كاملة للبنين في لواء اللد حيث كان الطلبة الأوائل من كافة مدارس اللواء ينضمون إليها لإكمال مرحلة الدراسة الثانوية.
قبالتها عمارة بنفس الهندسة واللون هي مدرسة الزهراء الثانوية للبنات.
المدرستان العامرية وشقيقتها الزهراء لم تكونا مجرد مدرستين ثانويتين حكوميتين، بل كانتا الوحيدتين في كافة مدن وقرى لواء اللد (يافا، اللد، الرملة، ومايتبعهما من قرى) وينوف عدد سكان هذه المنطقة عن مائة وأربعين ألف نسمة.
سياسة حكومة الانتداب البريطانية احتفظت لنفسها بإدارة شؤون المجتمع العربي الفلسطيني بينما أطلقت يد الوكالة اليهودية في تأسيس وإدارة وتطوير كافة المرافق والخدمات للكيان اليهودي في فلسطين منذ اليوم الأول للانتداب.
بالنسبة لسياسة تعليم العرب وضعت الدولة المستعمرة خطة تحصر التعليم بموجبها بسقف لايزيد عن التعليم الابتدائي (سبع سنوات حتى الصف السابع الابتدائي) إلا أنها في نهاية

٨١ - احمد زكي الدجاني، المرجع السابق، ص ٩٣ .



٤٧ - مدرسة العامرية الثانوية



٤٨ - مدرسة الزهراء الثانوية

الثلاثينات من القرن العشرين اضطرت تلبية لتذمر الشعب ومطالباته فأنشئت هاتين المدرستين ثانويتين كاملتين لتلبية حاجات جهازها الإداري وكذلك ذرا للرماد في العيون بأنها تطور المجتمع العربي الفلسطيني.

وكانت القاعدة أن يجمع الطلاب الأوائل الذين انهوا الصف السابع الابتدائي من كافة مدارس لواء اللد في هذه المدرسة (العامرية) ليدخلوا الصف الاول الثانوي ولذلك كان هؤلاء الطلاب نخبة مختارة من كافة طلبة المنطقة.

كما أن انتشار الوعي الوطني والاجتماعي وفر لهذه المدرسة مجموعة اساتذة من ألمع الشباب العربي الفلسطيني ومن أوفرهم وطنية وإخلاصا.

نعمت يافا بالإستاذ علي شعث مديرا فذا للمدرسة والأساتذة : أحمد السبع، عبدالله الريماوي، الشهيد شفيق أبو غربية، حسن الدباغ، محمد العدناني، أديب الخوري، فوزي الكيالي، زهدي جار الله، أديب جرار، إبراهيم مطر، محمد الفتياني وآخرون أفاضل فاتني أسماؤهم.

هذه الكوكبة من الوطنيين المثقفين صقلت الطلاب وخلقت منهم جيلا قياديا مثقفا ثقافة وطنية باهرة. وكان القدح المعلا في هذا الشأن للأستاذ الشهيد شفيق عليان عبدالعزيز ابوغريبة (من أبناء مدينة الخليل وقد استشهد عام ١٩٤٨) الذي أوْقف حياته على التثقيف القومي وتحضير الطلاب للصدام المتوقع بيننا والصهيونية، قام بإنشاء حلقات محدودة العدد من الطلبة يستقبلهم في بيته (إذ كان أعزبا) حيث كان يعقد لهم ندوات تثقيفية وطنية، لذا لاغرو أن أصبحت العامرية مصدر الشرارات الوطنية والمظاهرات والاحتجاجات واكتسبت بهذا كراهية "مستر فيريل" مدير المعارف البريطاني. منذ بداية الأربعينات. كانت العامرية تفرخ وتقود التظاهرات والإضرابات لكافة مدارس يافا الأهلية والحكومية لدرجة أن "المستر فيريل" عاقب الطلاب بإغلاق المدرسة فتولينا نحن الطلاب المتقدمون في الصفوف إدارة المدرسة وتعليم طلاب الصفوف الأدنى. كما أمر بحل فرقة الكشافة عقابا آخر لنا. بعد اسبوع من الإغلاق اضطر لفتح المدرسة وإلغاء الإغلاق.

في تلك الأيام لم تكن الأحزاب السياسية قد تكونت في المجتمع العربي الفلسطيني اذا كان الأساتذة والطلاب جميعا قوميين عربا مع ظهور بوادر لأفكار يسارية.

لاغرو أنه في هذه الظروف أثمرت جهود هؤلاء الاساتذة القادة فتخرج على أيديهم خير طليعة شبابية عربية فكان منهم المرحوم محمد لصوي (يسار)، د، ابراهيم ابولغد، د. محمد ابو زناد، سعد

الدين العناني، شفيق الحوت، د. رجائي بُصيلة، معد كيالي، ناجح أبو غزالة، فاروق قدومي (ابو اللطف)، طاهر ناصر الدين، د.جودت حجاب، نهاد هيكل، ابراهيم العابودي البرغوثي، اكرم كيالي، رجائي بُصيْله والشهيد مطيع عامر ومؤلف هذا الكتاب، وغيرهم كثيرون ممن حملوا لواء النهضة العلمية والوطنية في شتى أقطار العالم العربي بعد النكبة.

من العامرية ايضا انبثق في عام ١٩٤٧ اتحاد طلبة يافا العرب ثم اتحاد طلبة عرب فلسطين كمحاولة بدائية لتنظيم صفوف الطلبة في تنظيم نضالي يسهم في معركة المصير عام ١٩٤٨/٤٧ (لمزيد من التفاصيل يراجع ملحق رقم ٣ في ذيل هذا الكتاب).

نعود الى سيرتنا، حيث يستمر شارع النزهة بعماراته السكنية والتجارية الحديثة حتى ساحة (دوار البلدية) الواسع ذي الحديقة الوسطية والنوافير الجميلة. قبيل هذا الدوار يلتقي شارع جمال باشا بشارع الملك فيصل الآتي من الميناء.

جامع النزهة

مابين الشارع العام ومدرسة النزهة يقوم جامع النزهة وهو جامع حديث الطراز بني في نفس المرحلة التي بنيت فيها المدرستان تقريبا.

الجانب الشرقي من شارع جمال باشا يمتد حتى دوار البلدية بعماراته السكنية من طابقين وثلاث طوابق.

اما الجانب الغربي فيزخر بأكثر من مؤسسة عامة بعد جامع النزهة كانت تتواجد مدرسة حسني الأسمر الخاصة.

فندق الكونتيننتال

بعد تقاطع شارع الملك فيصل بشارع جمال باشا يقع هذا الفندق الذي كان يعتبر من أحدث وأرقى فنادق المدينة.

شارع الدرهلي

كان يمتد موازيا لشارع جمال باشا وإلى الغرب منه ويزدحم بالمحال التجارية والمهنية ويزينه (سبيل الدرهلي) على اسم العائلة اليافية العريقة.

ساحة البلدية

هذه الساحة الفسيحة بحديقتها الوسطية ونوافيرها المشهورة حيث يلتقي شارع جمال باشا بشارع الصلاحي. الذي يمتدباتجاه الشرق مستقيما عريضا ليكون طريق يافا - القدس.

على الجانب الشرقي لهذه الساحة تقع عمارة البلدية الفخمة عديدة الطوابق حديثة التصميم، من هذه الساحة عادة كانت تخرج المظاهرات الوطنية للاحتجاج أو الاحتفالات.

مقهى الحلواني

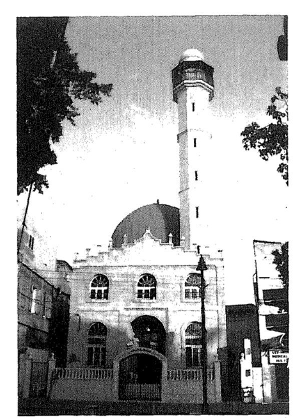
من مقاهي يافا الحديثة، وكان يقوم في الطابق الأرضي لمبنى البلدية يشرف على منظر ساحة البلدية الجميلة بحديقتها ونوافيرها.

سينما فاروق وسينما الحمراء

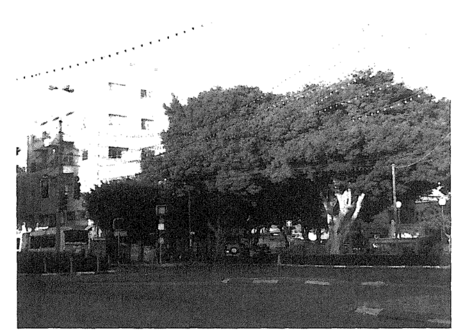
بعد مبنى البلدية وعلى جانبها الشمالي تقع (سينما فاروق) وتليها مباشرة (سينما الحمراء) التي كانت مملوكة لشركة عربية مساهمة وتعتبر بمقاييس تلك الفترة من أرقى دور السينما العربية إطلاقا، خاصة وأن هيكلها الخارجي مكسو بالرخام الأبيض الناصع، اما كراسيها فكانت مغطاة بالمخمل الفاخر.



٤٩ - شارع النزهة احدث شوارع يافا (١٩١٥م)



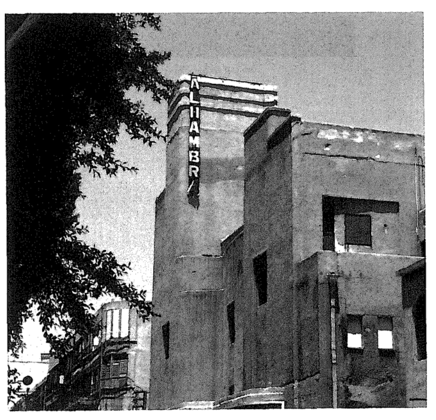
٥٠ - جامع النزهة



٥١ - مبنى بلدية يافا - شارع جمال باشا



٥٢ - شارع جمال باشا - يمين الصورة مبنى البلدية ومن بعده سينما فاروق وسينما الحمراء



٥٣ - شارع جمال باشا - سينما الحمراء كانت صرحا من رخام عاشت به حضارة صهيون

ملعب البصة البلدي

خلف هذا المجمع وليس ببعيد عنه يقع خزان ماء البصةوملعب البصة الرياضي وقد أنشأه النادي الرياضي الإسلامي بتبرعات أهلية بموافقة بلدية يافا وكان به مدرج يتسع لحوالي عشرة آلاف متفرج [٨٢] وعلى أرض هذا الملعب كانت تجري مباريات كرة القدم الكبرى بين أوائل الفرق الفلسطينية وتجتذب الجماهير الغفيرة.

حول هذا الملعب ومن خلفه إلى الشرق تعود بيارات البرتقال لتحتضن هذه المنطقة كالأم الرؤوم. يمتد الشارع مستقيما باتجاه الشمال وسرعان ما يظهر على جانبه الغربي عمارة دائرة الصحة العامة، الجزيرة الوسطية منذ بداية شارع جمال باشا تكتظ بنخيل الواشنطونيا الذي يرتفع امتاراً عديدة ليعطي الشارع منظراً آخاذاً.

النادي الرياضي الإسلامي (تأسس عام ١٩٢٦) [٨٣]

يقع هذا النادي بعد عمارة دائرة الصحة بمسافة قصيرة، وقد كان له دور أساس ورائد في الحركة الرياضية بخاصة والثقافية بعامة في مدينة يافا، إذ يعتبر من نوادي الدرجة الأولى.

مقهى ومسرح الباريزيانا

كان يقع بعد النادي الإسلامي بقليل وفي نفس الجانب من شارع جمال باشا، خلال سني الثلاثينيات كانت سيدة الغناء العربي السيدة (ام كلثوم) تقيم في هذا المسرح حفلاتها الغنائية إلا أن العمارة التي كان بها هذا المقهى هدمت في نهاية الثلاثينيات وأقيم مكانها عمارة الشيخ (عبدالقادر المظفر) الضخمة.

شركة باصات يافا - القدس

يستمر شارع جمال باشا في الامتداد بشكل مستقيم باتجاه الشمال إلا أن الجزيرة الوسطية تتسع بشكل كبير إذ يقوم على الجانب الشرقي من الشارع محطة ومكاتب (شركة باصات القدس - يافا) التي كانت تسير رحلات منتظمة بين المدينتين.

---

٨٢ - عبدالرحمن الهياب، مقال في كتاب يافا عطر مدينة، ص ٢٠١ .

٨٣ - عبدالرحمن الهياب، مقال في كتاب يافا عطر مدينة، المرجع السابق، ص ٢٠١ .

طريق سلمة / سكنة ابوكبير

قبل مكاتب شركة الباصات الوطنية يخرج شارع باتجاه الشرق يقود إلى قرية سلمة وسكنة أبوكبير.

مكاتب صحيفة الدفاع

خلف مقر شركة الباصات كانت تقع مكاتب (صحيفة الدفاع) اليومية كبرى صحف فلسطين وأكثرها شهرة والأولى من حيث الانتشار والتأثير.

سينما نبيل [٨٤]

بجانب مكاتب صحيفة الدفاع كانت تقوم أحدث دار سينما في مدينة يافا، هي (سينما نبيل) التي كانت تعرض أفلاماً أجنبية راقية منتقاة. مالك هذه السينما هو السيد علي المستقيم الذي كان معروفا عنه أنه على علاقة طيبة مع سلطات الانتداب البريطاني.

فندق رمسيس

هذا الفندق يعتبر أحدث فندق أنشىء في مدينة يافا ومن أكثرها رقيا، وكان يقع على ناصية شارع جمال باشا مع شارع يافا - تل ابيب الذي يعتبر الطريق الرئيس بين المدينتين.

مركز البريد الرئيسي

عمارة مركز البريد الرئيس الحديثة، كانت تقع على الجانب الغربي من شارع جمال باشا بعد عمارة النادي الرياضي الإسلامي، من الجدير بالذكر أن مدينة يافا ارتبطت بالشبكة الدولية التلغراف منذ العام ١٨٩٥ . الأرض التي تقوم عليها عمارة البريد كان بجوارها بيارة يملكها (آل مراد) في شارع جمال باشا الحالي وهي التي أقيم علهيا هرم من جماجم ضحايا المجرم السفاح المملوك ابو الذهب* عام ١٧٧٥ .

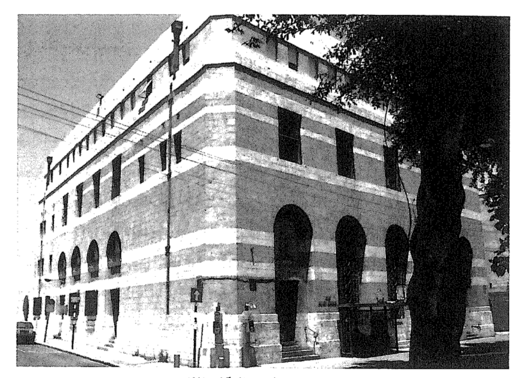
---

٨٤ - شفيق الحوت، مقال في كتاب يافا عطر مدينة ص ٢٦ .

* محمد بك ابوالذهب بن عبدالله قائد عسكر محمد علي بك الكبير والي مصر (١٧٧١ - ١٧٧٥) الذي انقلب على سيده وتآمر مع الدولة العثمانية ضده، اجتاح يافا مرتين الأولى لحساب محمد بك الكبير، والثانية لحسابه الشخصي عام ١٧٧٥, وبعد حصار شديد استسلمت له يافا فنكل جنده بالسكان وقتلوا من النساء والأطفال والرجال مابين ١٢٠٠ - ٥٠٠٠ شخص، وجمعوا رؤوسهم على شكل هرم في هذه المنطقة. المصدر، مصطفى مراد الدباغ، المصدر السابق، ص١٤٥ .



٥٤ - كان اسمها سينما نبيل



٥٥ - مبنى البريد المركزي ١٩٤٨

سينما الرشيد

تقع على جانب مركز البريد الرئيس وبعده مباشرة (دار سينما الرشيد) التي كانت تعرض الأفلام الأجنبية الحديثة أيضا.

مقهى أبو شاكوش

من أقدم وأشهر مقاهي المدينة وكان ملتقى رجال الأعمال والمشاهير، ويقع مقابل مركز البريد على الناحية الشرقية من الشارع. كان يسمى أيضا مقهى البوسطة، وكان يستقبل الفنانين من مصر والبلاد الاخرى، أبوشاكوش من العائلات اللبنانية التي استقرت في مدينة يافا قبيل الحرب العالمية الأولى [٨٥].

مقهى ليون ومقهى بريستول

كلاهما من المقاهي الشهيرة الراقية، كانا ملتقى التجار ورجال الأعمال ويقعان في المنطقة بين شارع (جمال باشا) و(شارع بسترس).

شارع يافا - تل أبيب

(أبيب) هي الكلمة العبرية التي تعني الربيع وعلى ذلك فاسم المدينة المعرب هو (تل الربيع) وقد أقيمت عام ١٩٠٩ [٨٦] كحي سكني متواضع في منطقة رملية جرداء (٦٠ بيت ومدرسة) إلا ان تدفق الأموال والرجال من يهود العالم جعلها تخطو بسرعة كبيرة لتصبح مدينة أوروبية كبيرة واتصلت بحي متواضع في يافا كان مخصصا لليهود انشىء عام ١٨٨٦ وكانت تقع على شاطىء البحر إلى الشمال من حي المنشية الشعبي.

أما شارع يافا - تل أبيب فقد كان في الأساس هو طريق يافا - نابلس مار بقلقيلية وطولكرم، إلا ان تكثيف حركة الاستيطان جعل مدينة تل أبيب تتمدد باتجاه الشرق وتحوله جزءا منها.

مدرسة البنات الانجليزية العليا

هي أول نقطة هامة في هذا الشارع بعد انطلاقه من مدينة يافا.

---

٨٥ - حنا عيسى ملك، ذكريات العائلات اليافية بين الماضي والحاضر، ص ١٢ .

٨٦ - نبيل خالد الآغا، المرجع السابق، ص ١٥٩ .

حي الملكان

يلي المدرسة حي أوروبي صغير أسسه في البدء جماعة (كنيسة المسيح) الأمريكية وهي جمعية دينية، وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولم يلبثوا أن باعوه إلى جمعية (المعبد الألماني) وهي جمعية دينية ألمانية. لكن اسمه (الأمر كان) ظل مسيطرا في أذهان الناس وتحول مع الزمان إلى (الملكان).

الجالية الألمانية التي استقرت في هذا الحي لم تلبث أن اتسعت وأنشأت مستعمرة (سارونا) على طريق ملبس.

فندق القدس

يقع هذا الفندق الكلاسيكي العريق وسط حي الملكان وكان في الأساس قصرا خاصاً، وفي عام ١٨٩٨ نزل فيه قيصر ألمانيا الإمبراطور (ولها (غليوم) الثاني)، وصحا ذات يوم على أريج زهر البرتقال فسأل عن المصدر فأعلموه الخبر اليقين، فما كان منه إلا أن أرسل إلى صديقه (السلطان عبدالحميد) برقية يقول له فيها : لقد دخلت الجنة قبلك (يقصد يافا) فذهب الاسم على ألسنة الناس وأصبح مثلا شائعا. بعدها تحول القصر إلى فندق يستضيف كبار الشخصيات.

السي آي دي (المباحث الجنائية العامة) CID

كانت تقع إلى الشمال من فندق القدس وتعتبر الباستيل البريطاني هدية إلى الشعب العربي الفلسطيني الذي ابتلي بوصايتهم عليه كي يطوروه ويدربوه حتى يصل إلى مرحلة الاستقلال الكامل كما نصت على ذلك وثيقة الانتداب التي فرضتها عصبة الأمم.

في هذا المقر كان يتم اعتقال وتعذيب الشباب العربي الوطني المناضل، وكم من مهجة سحقت خلف تلك الجدران؟

مقاهي / ملاهي شارع يافا - تل أبيب

ملهى (غنطوس)، ملهى (عبدالمسيح)، وملهى (لورنس) هذه الملاهي الثلاثة تقع قرب منطقة الملكان يتتابع من الغرب الى الشرق، وكانت مزيجا من المقاهي والملاهي أقرب إلى الأوروبية منها إلى الشرقية والأخير كان أقربها من حيث الموقع إلى مصانع واجنر.

مصانع واجنر

تقع في الثلث الأخير من هذا الشارع وقد أنشأها الألمان بهدف تدريب وتخريج طبقة عمال ميكانيكيين مهرة تساعد في تطوير البلاد.

خلفها كانت تقع مطاحن دعدس وزخريا وهكذا فالشارع بمجمله كان خليطا من الأملاك العربية والأجنبية.

السكنات والضواحي

السكنات والضواحي كانت أحياء خارج البلدة القديمة في يافا تقع بين بيارات البرتقال وقد عُمرت ابتداء من حوالي عام ١٨٥٠ حين غادر ابراهيم باشا القائد المصري يافا وخير جنده بين الرجوع إلى مصر معه أو البقاء في يافا، وقد اختار البعض منهم البقاء وأسموا المناطق التي سكنوها بأسماء مدنهم وقراهم في مصر. فكانت سكنة ابوكبير، وسكنة درويش، سكنة تل الريش، سكنة العراينة، سكنة السبيل، سكنة تركي.

سكنة إرشيد، (على اسم مدينة رشيد في مصر) وسكنة الهريش كانت من اوائل الأحياء التي بنيت خارج سور المدينة وأصبحتا فيما بعد حيين من أحيائها.

هذه السكنات كانت في الأعم الأغلب من الضواحي التي يسكنها متواضعوا الدخل وكانت عادة تفتقر لكثير من الخدمات العامة.

الجولة السابعة

معالم يافا الساحلية الشمالية

مقبرة عبد النبي

إلى الشمال من حي المنشية وقبل ابتداء احياء تل أبيب، كانت تقع هذه المقبرة الإسلامية القديمة. بعد نكبة ١٩٤٨ هدم العدو المحتل حي المنشية بأكمله كما ذكر سابقا ولم يبق إلا على جامع حسن بك. أما مقبرة عبد النبي فقد قام اليهود في نهاية القرن العشرين بتجريف هذه المقبرة بأساليب وألاعيب تتناسى وتتجاهل المقاييس الحضارية والأخلاقية لبني الإنسانية قاطبة. وأقاموا فندقا سياحيا على جثث أجدادنا، إلا أن هبة شعبية عارمة أجبرتهم في آخر لحظة أن يستبقوا جزءا يسيراً من هذه المقبرة.

وكان من أقوال مسؤول بلدية تل أبيب - المشرف على تنفيذ التجريف (من يعرف ان كانت هذه العظام التي تظهر مع الجرافة هي عظام انسان ام حيوان) ! هذه حضارة اليهود وواحة الديمقراطية الغربية مع نهاية القرن العشرين.

جريشة، العوجا، اليركون

ثلاثة أسماء شعبيـة شائعة من بضعة عشر اسما لنهر العوجا الذي ينسـاب شمال تل - أبيب مباشرة ويعتبر من أهم ضواحي ومغاني مدينة يافا.

هذا النهـر ينبع في موقع رأس العين ويجري ستة وعـشرين كـيلومتـرا إلى البحـر، يعتـبر الرفـيق الأبدي ليـافـا منذ أن وُجـدت. اسـمـه الأصلي الكنعـاني (اليـرقـون) أي الميـاه الصـفـراء بسـبب الغـرين والطمي الذي تحمله مياه هذا النهر. أما الأسماء الأخرى فقد اكتسبها عبر تاريخه الطويل.

هذا النهـر يتدفق شـريان حياة خـيرة خـصبـة في السهل السـاحلي الفلسطيني وقـد غـيـر المزارعون الفلسطينيون جنباته إلى جنات خضراء من بساتين البرتقال.

جزيرة الواسطة

اثناء جـريانه باتجاه الغـرب يتـفـرع الى فرعين مـكونا جزيـرة صغـيـرة في وسطه تـسمى (جـزيـرة الواسطة)، وهي الجزيرة الوحيدة والمجهولة للغالبية منا داخل فلسطين.

شلالات جريشة

قبـيـل وصوله البحر ببـضـع كـيلومترات تتكون في وسطه شـلالات طبيعيـة تنحدر حوالي خـمسة امتار وتكسبه منظرا جميلا أخاذا. وقد اقـام اجدادنا خلف الشلال سداً ومنافذ للماء فتكونت بحيرة عرضها اثنى عشر مترا تقريبا وطولها باتجاه الشرق حوالي ثمانين مترا.

استـغل آباؤنا مسـاقط المياه هذه وركـبوا عليـها طواحين لطحن الحـبوب، ومن هنا جـاء أحد أسـماء هذا النهر (جريشة) أي الجاروشة.

على ضفافـه كـان أهل يافا يقضون أيام العطل وخـاصة تلك التي تحل مع بعض الأعياد كـعـيد الفصح وعـيـد العنصرة والأعـيـاد الإسلاميـة فكانت جنباته تضج بالفـتـية والشبـاب والضحكات والسعـادة، وكـان هناك الكثير من الزوارق النهرية يستأجرها المصطافون لممارسة الرياضات النهرية.

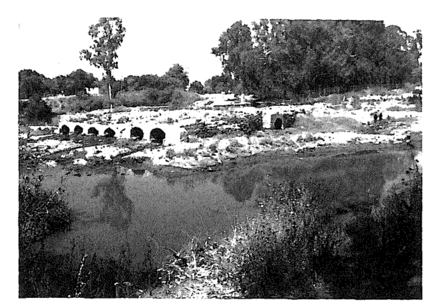
مقام سيدنا علي بن عليل [٨٧]

إلى الشمال من نهر جريشة وعلى بعد ثمانية عشر كيلومترا تقريبا من مدينة يافا، يقوم مقام ولي الله (علي بن عليل) المشهور لدى العامة باسم (بن عليم)* على تلة مجاورة لشاطىء البحر، عند مصب نهر المالح. المقام يسمى (قرية الحرم) هذا الولي واسـمه أبوالحسن بن عليل وشهرته ابن عليم يتصل نسبة بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد توفي عام ٤٧٤ هـ.

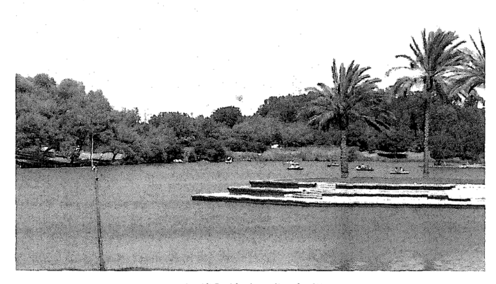
---

٨٧ - محمد حسن شراب، معجم اسماء المدن والقرى الفلسطينية، ص ١١١ .

* مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق ص ٤١٨ .



٥٦ - نهر العوجا - بقايا شلالات جريشة



٥٧ - نهر العوجا - نزهة الاعياد

له موسم في الصيف يزوره المسلمون للتبرك وايفاء النذور والتنزه. فالمنطقة مشهورة بجمالها الطبيعي.

السرطان الصهيوني

بعد عام النكبة اصبح المقام مهجورا. لم يكتف المحتل بكل المساحات التي استولى عليها، حقده ومخططاته تطلعت الى اجتثاث كل ما يدل على الوجود العربي. وهنا جاء دور مقام بن عليل. وبدأت محاولاته لاحتلال المقام وهدمه عام ١٩٨٩ . فتجمعت الجماهير العربية من كل أنحاء الوطن واحتشد بضعة ألوف من المتطوعين قاموا بأعمال التنظيف والصيانة وأدوا صلاة الجمعة في المقام تلك السنة وتكررت سُنّةُ زيارة المقام بين فترة واخرى للحفاظ على هويته. كما تكونت جمعية اهليه للحفاظ على المقام سميت جمعية سيدنا علي برئاسة السيد سليمان المجادله.

ارسوف

مدينة اثرية تقع الى الشمـال من قرية (الحرم) وهي كنعانية الأصل وقد عرفت في العهد اليوناني باسم (ابولونيا) واشتهرت وتطورت في عهد حروب الفرنجة وتبادلتها الأيدي إلى أن حررها الظاهر بيبرس نهائيا بعد تحرير يافا. آثارها تشمل بقايا السور والقلعة وتمتد مساحة واسعة، وقد نسب اليها المشاهير والصُلاّحُ والتقاة.

الجولة الثامنة

المعالم الساحلية الجنوبية

تل يونس الأثري

يقع في منتصف المسافة بين يافا وروبين تل أثري قرب شاطىء البحر يرتفع حوالي خمسة وعشرين مترا وفي قمته بقايا كنيسة بيزنطية.

النبي (يونس بن متي)

هذا الولي مقدس لدى المسلمين والمسيحيين، ورد ذكره في التوراة باسم (يونان بن أمتاي) (حوالي ٨٢٥ ق.م).

تقول رواية التوراة إن الله أمره بالتوجه إلى نينوى لهداية أهلها. لكنه جاء إلى يافا ومنها ركب

البحر قاصدا ترشيش (يعتقد أنها في غرب البحر المتوسط) ثم تعرض مركبه لعاصفة هوجاء وتبعاً لعادة سائدة في تلك الأيام وقعت عليه قرعة اللاحين فتخلصوا منه ورموه في البحر لعل تخفيف الوزن ينجيهم.

يقال أيضا إن حوتا ابتلعه وألقاه على شاطىءالبحر جنوبي يافا (حوالي ٥-٦كم)في موقع التل الذي نحن بصدده ومن هنا اصبح اسمه (تل يونس) كذلك يقدم القرآن الكريم رواية شبيهة الأحداث.

في قمة التل توجد كنيسة أثرية أقيمت في عهد البيزنطيين ثم جددت في عهد حروب الفرنجة. يعتبر هذا التل علامة فارقة على طريق القوافل الساحلية بين يافا وروبين. شاطىء البحر في تلك المنطقة رملي فسيح جميل جدا لن تجد فيها حجرا او صخرة. على اليابسة قريبا من الماء تزدحم قطعان (السلاطعين) ومفردها سلطعون بعشرات الألوف وجحورها ذات الفتحتين مدخل ومخرج تطرز الشاطيء مد البصر. المنطقة بكاملها من التلال الرملية الساحلية لا يسكنها إلا الطيور البرية وأبصال الزنابق البحرية سابقة الذكر والبعض من اشجار الكاليبتوس متناثرة هنا وهناك.

مصيف روبين

هذا الشاطىء المعروف باسم "مصيف روبين" الشهير ويقع على مسافة حوالي عشرة كيلومترات جنوبي يافا. ورد وصفه بالتفصيل في الفصل المخصص للمواسم والأعياد من هذه الكتاب.

النبي روبين

مقام هذا النبي يقع على الضفة الجنوبية قريبا من مصب نهر روبين في البحر المتوسط. نهر روبين يبدأ مسيرته وديانا تجمع مياه الأمطار من منطقة القدس ما بين بيت جالا جنوبا وحتى قرية بيت حنينا شمالا. تتجمع هذه الوديان في منطقة وادي الصرار ويسير النهر حوالي ستة وعشرين كيلومترا حتى مصبه في البحر. مجراه المستديم صيف شتاء يبلغ طوله بضعة كيلومترات، وقد كان في الأزمنة القديمة عميقا تدخله المراكب الشراعية البحرية باعتباره ميناء (يبنا) التاريخي.

يتغذي النهر من ينابيع عذبة المياه تقع قرب تل السلطان الأثري وتنتشر في المنطقة بعض مواقع الاستيطان البشري الموغل في القدم.

أراضي حوض روبين مكونة من تلال رملية تتخللها مواقع من الأراضي الزراعية المروية وتنتشر فيها أشجار الكافور البرية (الكينا) وبعض الأعشاب النجيلية.

مساحة زمامه حوالي ثلاثين ألف دونم تتناثر فيها بساتين البرتقال فتضفي جمالاً أخاذاً على

المساحات الشاسعة من الرمال الذهبية المحيطة بها.

هذا الموقع يعتقد أن له ميزة دينية منذ عهد الكنعانيين واستمر كذلك حتى العهد الاسلامي.

مزار النبي روبين مكون من قباب متواضعة مبْنيُ داخلها قبر كتب عليه (لا إله إلا الله) روبين ولي الله). بناها في القرن الثالث عشر الميلادي الشيخ شهاب الدين بن رسلان وتقول المصادر الدينية الإسلامية أن لاصلة لهذا النبي بنبي اليهود الذي يحمل اسم (راؤبين) بن يعقوب، إذ أن النبي روبين من مواليد شمال سوريا [٨٨] نزح إلى نابلس حوالي ١٦٥٦ق.م ثم ارتحل إلى مصر وتوفي فيها.

قضاء يافا

يضم قضاء يافا ثلاثة وعشرين قرية عربية، وقريتين ألمانيتين وهي : أبوكشك، إجليل الشمالية، إجليل القبلية، بيار عدس، بيت دجن، جريشة، الجماسين الشرقي، الجماسين الغربي، الحرم، الخيرية، رنتيه، السافرية، سلمه، السوالمة، الشيخ مونس، العباسية، فجة، كفر عانة، المسعودية، المويلح، يازور.

مساحة القضاء : ٣٣٤,٨٧ كم مربعا، امتلك اليهود منها ٣٨٪ (عام ١٩٤٥).

اما السكان فيبلغون ٣٧٣٨٠٠ نسمة (١٩٤٥) هذا القضاء بقراه وأراضيه وموارده وسكانه يعتبر جزءا مهما وعزيزا من الوطن الفلسطيني، إلا أنه خارج نطاق هذا الكتاب.

أما القريتان الألمانيتان فهما سارونا وقد أسست في عام ١٨٧٢ وتقع بين يافا وتل أبيب، وقرية ولهلما (١٩٠٢) وهناك أيضا الملكان (١٩١٣) التي أصبحت من أحياء يافا.

---

٨٨ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

الفصـــل الخامــــس

يـــافــــا

مهد المسيحية ومن حواضر الإسلام

الفصل الخامس

يافا

مهد المسيحية ومن حواضر الإسلام

نظرة شمولية فاحصة

يافا ذات مركز خاص

يافا ذات مركز خاص في كلتا الديانتين السماويتين المسيحية والإسلام.
بالنسبة للديانة المسيحية تتبوأ يافا مركز الصدارة باعتبارها التربة التي نبتت فيها بذرة الدين المسيحي والمهد الذي انطلقت منه الدعوة للتبشير بهذا الدين.
أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد كانت موئل كوكبة من الأنبياء والصالحين وكبار الثقات الدينيين، وكان لها دورها المهم كحاضرة من حواضر القوة الإسلامية منذ الفتح العربي الإسلامي.
في العصور الحديثة وابتداء من الربع الأخير من القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من القرن العشرين حتى عام النكبة الكبرى قامت المؤسستان الدينيتان المسيحية والإسلامية بدور بالغ الخطورة وعظيم الأهمية في تطور وبناء المدينة على المستويات الإقتصادية والثقافية والرياضية.

يافا من حواضر الإسلام

منذ أن هلت العقيدة الإسلامية على فلسطين في عام ٦٣٦م مع الفتوحات العربية الإسلامية الكبرى وموجة القبائل العربية المساندة لها تقلدت يافا مركزاً هاماً في المجتمع العربي الإسلامي الجديد في ما سمي جند فلسطين أي ولاية فلسطين، هذا المركز أهلها له كونها الميناء الرئيس لمدينة الرملة عاصمة الولاية ومصدر نمائها وازدهارها.
يرتبط اسمها بلفيف من الأنبياء والصالحين وعلماء الدين والأئمة ذوي الأهمية الدينية الخاصة، كما تزخر جنباتها بالجوامع والأضرحة والمزارات المشهورة محلياً وفلسطينياً.

المساجد الإسلامية

المساجد ومكتباتها الغنية وماانبثق عنها من معاهد وأندية وجمعيات ذات مسميات دينية إسلامية لكنها في جوهرها كشقيقاتها المسيحيات، هدفها وغاياتها تطوير وإنماء المجتمع العربي اليافي، لذا كانت المساجد ركنا أساسياً في تنظيم الجماهير اليافية وتوجيه نشاطاتها وفعاليتها.

وكان لها دور سياسي وثقافي بارز ومن هذه المساجد المسجد الكبير في يافا. كانت تندلع منه المظاهرات والاحتجاجات والانتفاضات الشعبية وكان نقطة تجمع واستقطاب للقوى الجماهيرية لا في يافا فحسب، بل كانت تؤمه الوفود من كافة مدن وقرى اللواء وكذلك من بقية انحاء فلسطين.

في الجوامع أيضا كانت تعقد الندوات التثقيفية السياسية ويتبارى الخطباء في خطبهم الحماسية بقصد توعية الجماهير خاصة بعد صلاة الجمعة الاسبوعية، كما كانت توزع فيها المنشورات السرية الوطنية وكان الجامع يمثل المعقل الحصين الذي يلجأ إليه طريدو قوات الاحتلال وعسفه.

كان في المساجد كذلك مجالس للعلم وللتعليم وحلقات للتدريس عوضت النقص الشديد في المدارس النظامية، وكم من مدرسة وطنية انبثقت عن المؤسسة الدينية الأسلامية.

وكان البعض منها يزهو بمكتبات عامرة تزدان بالكثير من المخطوطات النادرة والثمينة.

وما نادي الشبيبة الإسلامية وجمعية الشبان المسلمين والكثير من جمعيات الرعاية الاجتماعية إلا فروع يانعة من شجرة المؤسسة الدينية الإسلامية وارفة الظلال والنشاطات، جدير بالذكر ان هذه المؤسسات كانت ترفد المجتمع اليافي بالمعلمين والمثقفين من خريجي المعاهد الدينية في فلسطين ومصر (جامعة الأزهر) عبر أكثر من قرن من الزمان.

من أهم هذه المساجد ما يلي :

١ - مسجد يافا الكبير [٨٩]

من المساجد المشهورة في فلسطين، يقع في ميدان يافا الرئيس (ساحة الساعة) على موقع جامع سابق في نفس المكان. أنشأه عميد عائلة بيبي اليافية الشيخ محمد البيبي الإمام في عام ١٧٣٥ وأوقف عليه أوقافا إسلامية، انشأ الجامع الحالي الوالي محمد آغا سحور الشهير بأبي نبوت عام ١٨١٠ وألحق به مكتبة قيمة وزاد في الأملاك والأراضي الموقوفة باسمه. هذا المسجد كان مسرح ومبعث الحركات الوطنية في مدينة يافا بلا منازع منذ العشرينات الأولى من القرن العشرين وحتى نهاية الانتداب البريطاني الاجرامي.

مكتبته عامرة ببضعة آلاف كتاب منها الكثير من المخطوطات القيمة النفيسة.

لهذا الجامع مئذنتان شاهقتا الطول، رشيقتان كأني بهما تقفان ديدبان حراسة أمام البلدة القديمة وشاهدان على عراقتها وأصالتها.

---

٨٩ - عباس نمر، المرجع السابق، ص ٨٦ .

٢ - مسجد حسن بك

بني هذا المسجد والي يافا الدمشقي الأصل حسن بك الجابي وسمي باسمه عام ١٩١٤ ، وقد صمم ونفذ على طراز الهندسة الإسلامية الجميلة وكانت تحيط به حدائق غناء وبه طابق سفلي مخصص للمحتاجين والنزلاء والأغراب. حاولت السلطة الصهيونية المحتلة إزالة هذا المعلم التاريخي، لكن صمود أهل يافا حال دون ذلك. كان لهذا الجامع دور هام في معركة الدفاع عن المدينة عام ١٩٤٨/٤٧ لقربه من خط التماس بين يافا وتل أبيب.

٣ مسجد الطابية

يقع في البلدة القديمة، وهو أقدم مساجد يافا ويقال أنه بني في السنين الأولى للفتح العربي الإسلامي ويقوم بجوار فنار المدينة وهو جامع صغير متواضع البناء.

٤ - مسجد الشيخ رسلان (٩٠)

من أقدم مساجد البلدة القديمة، يقوم قريبا من الفنار قرب دير اللاتين، وقد أسسه العالم الصوفي شهاب الدين أبو العباس بن أرسلان بيتا له ثم أصبح مسجدا بعد وفاته في عام ١٧٧٠م. وقد كان إماماً وعالماً مشهوراً تصوف ثم ارتحل إلى القدس وتوفي فيها.

٥ - جامع العجمي (٩١)

انشىء هذا المزار والجامع في القرن الرابع عشر الميلادي، ويضم قبر ولي من أولياء الله الصالحين، هو الشيخ ابراهيم العجمي يقع الجامع على رابية تطل على البحر قرب البلدة القديمة واطلق نفس الاسم على الحي الذي انشىء حوله. كانت هناك مقبرة اسلامية قرب المزار لكنها درست وتبرع أحد تجار يافا السيد حسن عرفة لبناء مدرسة حديثة في موقع المقبرة.

جوامع عديدة أخرى

إضافة إلى ماذكر أعلاه هناك ثلاثة مساجد آخرى داخل البلدة القديمة هي : مسجد البحر، جامع الدباغ، ومسجد حسن باشا، اما خارج البلدة القديمة فهناك سبعة جوامع اخرى : مسجد ارشيد، جامع السكسك، جامع النزهة، جامع الوحدة، جامع الجبلية، جامع سكنة درويش وجامع الشيخ مراد.

وبذا يكون مجموع مساجد يافا خمسة عشر مسجدا.

---

٩٠ - سعد يوسف الدجاني، كي لاننسى يافا، المرجع اسلباق، ص ٩١ .

٩١ - احمد زكي الدجاني، المرجع السابق، ص ٢٨ .

الأعياد الدينية الإسلامية

العيدان الدينيان الأساسيان لدى الطائفة الإسلامية هما :

١ - عيد الفطر :

يقع في نهاية شهر الصوم (رمضان) (الشهر التاسع في السنة الهجرية) يبدأ بعد أن يثبت رؤية (هلال شوال) (الشهر العاشر الهجري) بالعين المجردة، يستمر العيد ثلاثة أيام ويبدأ بصلاة العيد جماعة في المساجد ثم زيارة المقابر والتصدق على الفقراء. جرت العادة - وهي فرعونية الأصل - ان تزين القبور في هذا اليوم بجريد (سعف) النخل فتأخذ المقابر لونا اخضر جذابا.

يلي ذلك زيارة الأهل وخاصة أولى الأرحام من بنات وأخوات وعمات وخالات. عادة يرافق الصغار اباءهم في هذه الزيارات طمعا في (العيدية) وهي هدية من النقود. في هذه الأثناء تكون ربة البيت مشغولة بإعداد طعام الغذاء لأول أيام العيد وعادة ما يكون طبقا فاخرا إما خروف بالكامل أو ضلعة محشية بالرز واللحم والصنوبر والزبيب.

احتفالات العيد هي بالأخص للصغار بناتا وأولادا حيث يلبسون الثياب الجديدة ويتسلحون بالعيديات (الفلوس) وينطلقون الى مواقع احتفالات العيد.

هذه كانت تقام في ساحة البرية وسط يافا وفي ساحة المدرسة الأيوبية بين العجمي والجبلية وكذلك قرب مقبرة العجمي.

في هذه المواقع الثلاثة كانت تقام المراجيح بأنواعها والسرادقات وأماكن بيع الحلوى والمأكولات والمرطبات وكل أدوات اللعب والتسلية. وتشترك الفرق الصوفية ببيارقها وطبولها وفرق المبارزة (السيف والترس) والمصارعة (التبان) وكذلك فرق الرقص الشعبي (الدبكة) يستمر العيد ثلاثة أيام متتالية ينعم الصغار خلالها بالاحتفال النهاري بينما يمضي الكبار سهرات الليل لدى الأصدقاء والأقارب.

٢ - عيد الأضحى :

يأتي في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة (الشهر الثاني عشر الهجري) يبدأ بالصلاة المعتادة في المساجد ثم سنة الأُضحية اتباعا لنهج النبي إبراهيم عليه السلام حين حاول التضحية بابنه إسماعيل إطاعة لأمر ربه حسب الرواية الإسلامية فإفتداه الله بكبش سمين.

الفاطميون والأعياد الأخرى

وهناك أيضا العديد من الإعياد الدينية الإسلامية الأخرى وغالبيتها ابتدع في عهد الفاطميين ومنها [٩٢].

٣ - عيد بداية العام الهجري

يحتفل المسلمون باليوم الأول من (محرم الشهر الهجري الأول) من كل سنة هجرية وهي التي تؤرخ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة للتبشير والدعوة للدين الإسلامي هناك، يشتمل الاحتفال على صلوات دينية تقام في المساجد وزيارة الأقارب وإهداء حلوى خاصة بهذه المناسبة تدعى (المشبك).

٤ -عيد المولد النبوي الشريف

يحتفى بمولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع أول (الشهر الثالث الهجري) من كل عام. وقد جرت العادة على إقامة حلقات الذكر للسيرة النبوية في المساجد والبيوت وقراءة قصة النبي محمد (صلعم) كما وردت في موروث الأحاديث عن صحابة رسول الله.

٥ - احتفال ليلة الأول من رجب

يحتفل ببداية هذا الشهر القمري (الشهر السابع الهجري) احتفالا دينيا شيقا.

٦ - احتفال غرة شهر رمضان

يقيم المسلمون احتفالا خاصا ببدء شهر رمضان، شهر الصوم والعبادة (الشهر التاسع الهجري) يقتصر الاحتفال على إقامة الصلوات وخاصة صلاة التراويح بعد أداء صلاة العشاء. وتبدأ مع أول ليالي رمضان المناسبات الاجتماعية والزيارات والإكثار من أكل الحلويات.

٧ - احتفال يوم عاشوراء

يحتفي المسلمون وخاصة فئة الشيعة منهم في العاشر من محرم (أول أشهر السنة الهجرية) بذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي، سيد الشهداء، في كربلاء العراق وذلك سنة إحدى وستين هجرية. إذ تقام نشاطات دينية كثيرة.

---

٩٢ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٤٦١ .

أعياد ومواسم دينية واحتياجات استراتيجية

في عهد دولة المماليك (وهناك خطأ شائع يقول عهد صلاح الدين الأيوبي) ابتدعت الدولة مجموعة من الأعياد والمواسم والاحتفالات صبغتها بالصيغة الدينية ولكنها لمصلحة استراتيجية دفاعية.

مثل هذه الاحتفالات رتبت بحيث تقع قريبة من تواريخ بعض الاحتفالات الدينية المسيحية. إذ كان أبناء الطائفة المسيحية يتجمعون من كافة الجهات زمن حروب الفرنجة لاحتفالات معينة ولذلك نظمت احتفالات دينية إسلامية مقابلة ومماثلة زمنيا يتجمع فيها المسلمون بأعداد كبيرة كي لايفاجىء اي من الطرفين الطرف الآخر عسكريا.

من هذه الأعياد :

أ - عيد (خميس الاموات)

ويقابله عيد الفصح المجيد في مدينة يافا حيث تتم الاحتفالات ليوم واحد ويعمد المسلمون إلى ممارسة عادة صبغ البيض والتجمع على شاطىء العجمي للاحتفاء بالعيد.

ب - موسم النبي موسى [٩٣]

يقع في نفس الفترة الزمنية لعيد الفصح ولكن في مدينة القدس حيث يقوم المسلمون باحتفالات كبيرة بهذه المناسبة ويحضر إلى المدينة المسلمون من كافة المدن والقرى ثم يتوجهون إلى موقع مقام النبي موسى على طريق أريحا، وقد بني عام ٨٦٦هـ لأسباب سياسية حيث يقضون أسبوعا في الاحتفال بهذا الموسم وتكون هناك مباريات بين فرق القرى والمدن للرقص الشعبي والأهازيج (الدبكة). يتمتع هذا (الموسم) بشعبية كبيرة خاصة وانه قد أوقف عليه أملاك كثيرة في القدس لتحضير وجبات مجانية لكافة الزوار مهما يبلغ عددهم).

ج - موسم النبي صالح [٩٤]

يحتفل المسلمون بهذا الموسم في مدينة الرملة في يوم الجمعة الذي يلي عيد الفصح، حيث تحضر الجماهير الغفيرة من يافا وقراها واللد والرملة للمشاركة بهذا الاحتفال الذي يذخر بالكثير من فرق الرقص الشعبي والفرق الصوفية وألعاب السيف والترس وماشابه ذلك ولهذا الموسم حلوى خاصة تباع اثناء يوم الاحتفال وتعرف (بحلاوة النبي صالح) وكذلك هناك الكعكبان والحلاوة المطاطية وحلوى شعر البنات.

---

٩٣ - حسن محمد عوض، من تراثنا في السهل الساحلي الفلسطيني (في السافرية) ص ١٢٧ .

٩٤ - نفس المرجع إياه ص ١٢٧ .

د - موسم سيدنا الخضر / القديس جاورجيوس

يعقد في مدينة اللد ويشترك المسلمون والمسيحيون في الاحتفاء بهذا العيد.

هـ - موسم النبي ايوب [٩٥]

النبي أيوب عليه السلام من الأنبياء الذين يؤمن بهم المسلمون ويقال أن الله ابتلاه بالكثير من الأمراض ليختبره إلا أنه صبر على كل ما أصابه حتى أصبح يضرب به المثل فيقال (صبر مثل صبر أيوب).

في هذا اليوم كان المسلمون يجتمعون قرب جامع العجمي للاحتفال بهذه المناسبة ثم صار الاحتفال أمام مستشفى الحكومة قرب مقهى إحميد حيث تقام المراجيح وفرق الرقص الشعبي، كذلك ينزل الكثيرون الى البحر للاستحمام لاعتقادهم ان النبي أيوب شفي (بإرادة الله) من أمراضه بعد أن نزل البحر واستحم فيه.

و - موسم زيارة مقام سيدنا علي بن عليل

يعتبر علي بن عليل من أولياء الله الصالحين وينسب بنسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لذا يزوره اليافيون وأبناء القضاء في موسمه الذي يقع في شهر أيلول من كل عام للبركة وإيفاء النذور وختان الأطفال والتنزه.

موسم النبي روبين [٩٦]

لهذا المزار موسم احتفال شهير يمتد خلال شهر أيلول. وقد أصبح من أهم أعياد يافا الشعبية حيث تؤمه الجماهير من المدينة نفسها والقرى المجاورة ومدينتي اللد والرملة.

وقد أصبح موسم اصطياف خاص له تقاليده وعاداته التي تميزه وتكسبه شهرة واسعة. وعادة ما يبدأ الموسم باحتفال ديني ومسيرة جماهيرية تبدأ من الجامع الكبير وتشمل فرق الكشافة والجماعات الصوفية وكبار رجال الدين، والكل يحمل بيارقه واعلامه بما فيها علم النبي روبين الذي يحمل على أحد وجهيه (لا إله إلا الله روبين نبي الله) وعلى الوجه الآخر (سنجق عموم شباب يافا).

كما تشترك في المهرجان الفرقة الموسيقية الشعبية اليافية الشهيرة (فرقة الحاج جمعة).

---

٩٥ - سعد يوسف الدجاني، كي لاننسى يافا، ص ١٣٢ .

٩٦ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص٥٠١ ، ٥٠٢ .

بعدها يبدأ سكان يافا بالانتقال إلى مصيف روبين متخذين الجمال المزينة بالأجراس والأعلام وسيلة انتقال ثم تطورت الأحوال وأصبحت السيارات تنقل المصطافين عبر طريق يافا غزة.
خلال أسبوع تقوم مدينة بكاملها من الخيام والسرادقات وتنتشر المقاهي والمطاعم في منطقة (المخاضة) على ضفتي النهر وتنظم دائرة الأوقاف الأسواق الشعبية وأماكن اللهو كالسينما الصيفية والمسارح المتنقلة وفرق الرقص الشعبي وسباق الخيل.
شهر بكامله يُمضيه اليافيون وأبناء القضاء في هذا المصيف متحللين من القيود الروتينية.
كما تنظم دائرة الأوقاف الأكل المجاني لمن يشاء من عائدات أوقاف الأراضي الزراعية التابعة للمزار.

أعياد الربيع

بدأت الاحتفالات بأعياد الربيع منذ العهد الكنعاني إذ إتخذ الكنعانيون البيضة رمزاً لعودة الحياة في الربيع بعد موتها في الشتاء. كانوا يقيمون عيدا خاصاً بالربيع خلال شهري آذار / مارس ونيسان / إبريل من كل عام، يحتفلون خلاله ببدء موسم الربيع ويقومون بصبغ البيض واستهلاكه مسلوقا كجزء من هذه الاحتفالات. ومع مرور الزمن تطور هذا العيد فاكتسب عندهم مقاماً وقداسة دينية كما هو الحال في الحضارات الفرعونية، الصينية ، الهندية، الفارسية، اليونانية والرومانية، قد دأب اليافيون مسلمين ومسيحيين على الاحتفال بهذا العيد في موسم الربيع وممارسة عادة صبغ البيض أيضاً (عيدي خميس الأموات، والفصح المجيد).

يافا مهد المسيحية

بيت لحم مولد المسيح عليه السلام وناصرة الجليل ربوع شبابه وميدان انبعاثه مبشرا وداعيا للدين الجديد دين المحبة والسلام والمساواة بين بني الإنسان. القدس القبلة التي يتوجه إليها جمهور المؤمنين برسالته وموقع تضحيته الكبرى وافتدائه للجنس البشري (حسب الرواية الدينية).
أما يافا فهي مهد الدعوة المسيحية، فيها انطلق الرسول بطرس يدعو البشر لاعتناق دين التسامح والإخاء. لذا تحوز يافا موقعا خاصا بنفوس المؤمنين بهذه العقيدة، في جنباتها [٩٧] عاشت ابنة يافا الفتاة العربية الكنعانية (طابيثا) الفتاة الصالحة التي كانت تواسي المحتاجين والمظلومين وتفعل الخير ماقدرت عليه بكل طاقاتها ووقتها.
وفي حي من أحياء يافا في بيت رجل صالح هو (سمعان الدباغ) (في البلدة القديمة حيث يقوم جامع الطابية حاليا)، مكث الرسول بطرس من حواري السيد المسيح عليه السلام، جاء يافا حاملا

---

٩٧ - الياس حنا رنتيسي. المرجع السابق، الصفحات ٢٢٣ - ٢٢٩ .

لواء الدين الجديد جاهرا به غير هياب ولا وجل من سخط عشيرة اليهود وطغيانهم.
مَنّ الله عليه بمعجزتين حسبما تذهب الرواية الدينية المسيحية، حفزتاه ان ينشط في مسيرته الدينية الجهادية التي اختارها لنفسه.
الأولى : جاءه المعجبون بالقديسة طابيثا يرجونه لا بل ويمتحنونه ان يدعو ربه ليعيد الحياة لقديستهم المحبوبة التي اختطفتها يد المنون.
لبى الرسول بطرس النداء ودعا الله أن يعيد إليها الحياة. وكان المعجزة بقدرة الله. إذ استفاقت طابيثا ودبت الحياة في أوصالها فأقبل الناس على الإيمان بالدين الجديد.
أما المعجزة الثانية : فكانت رسالة رؤيا أوحى بها الله حسب الرواية الدينية المسيحية ايضا، إلى الرسول بطرس اثناء نومه أن إنهض وادع الوثنيين إلى التوحيد والايمان بالدين الجديد.
الدين الجديد أسقط بهذه الرؤيا مقولة (شعب الله المختار) وبشر ان بني الإنسان جميعا هم خلقة الله متساوون أمام الرب خالقهم.
من هذا المنطلق : الإخاء والمحبة والسلام حمل الرسول بطرس لواء الدعوة الجديدة فجاءت بلسما يعالج جراحات وأمراض المجتمع البشري بكل تجاوزاته ضد كرامة الإنسان وحريته. بدأت الدعوة بتبني العبيد والمستضعفين لها وانتهت باعتناقها من قبل أباطرة الرومان أكبر قوة في ذلك العصر.

العصر البيزنطي (٤٣٢ - ٦٣٦م)

في عام ٣٢٦م اعتنق الديانة المسيحية الإمبراطور قسطنطين الأول وكذلك أمه الإمبراطورة هيلانة، كان هذا الحدث من أهم وأخطر الانقلابات في تاريخ العالم إذ أصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة وبذلك رفع الاضطهاد عن جمهور المؤمنين المسيحيين أينما كانوا ونالت الديانة الجديدة دعما غير محدود.
بنت الأمبراطورة هيلانة كنيسة على اسم القديس بطرس في موقع طابيثا، وكنيسة ثانية قرب بيت سمعان الدباغ في البلدة القديمة وأغدقت عليهما الأموال فجاءتا تحفة معمارية وفنية رائعة. وكانتا أول كنيستين خارج نطاق الديانة اليهودية، كذلك ازدهرت يافا بإقبال المؤمنين على زيارة القدس عبر مينائها.
حروب الفرنجة وهي في الأساس هجمات تجارية تسعى للحصول على مصادر البخور والحرير والتوابل من الشرق لكنها ذات لبوس ديني، هذه الحروب شوهت وجه يافا الجميل عبر كر وفر المهاجمين والمدافعين، وتهدمت الإنجازات الحضارية الجميلة. مع بداية الاستقرار منذ القرن الثامن عشر أعيد بناء الكثير من هذه المآثر لكنها لم تكن بمستوى المباني الأولى.

أهم المواقع الدينية المسيحية في مدينة يافا :

لن يفوتنا في هذا المقام أن نستعرض أهم المواقع ذات الصفة الدينية المسيحية المميزة في يافا وهي كالتالي :

الكنائس والأديرة :

الكنائس المسيحية والأديرة تجدد وجودها اعتبارا من نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وقد عبر هذا التجدد عن نفسه في بنايات حديثة عريقة الهندسة فارهة المظهر ولازمها في أغلب الحالات إنشاء مدارس تتدرج مع مرور الزمن من ابتدائيات بسيطة إلى مدارس ثانوية كاملة حملت لواء الثقافة الحديثة واللغات وأغنت بها المجتمع اليافي.

وموازيا لهذا النشاط ارتبط بالبعض من الكنائس الهامة في يافا تقليد اجتماعي هام ألا وهو تأسيس الأندية والجمعيات الطائفية التي لم تكن طائفية في أغلب نشاطاتها.

النادي الارثوذكسي في مدينة يافا بملاعبه الرياضية وفرقته الكشفية بموسيقاها الصداحة ونشاطاته الثقافية والفنية ومكتبته العامرة، ناهيك عن فرقه الرياضية وخاصة فريق كرة القدم من فرق الدرجة الأولى في فلسطين كلها، كان ركنا هاما من أركان تطوير وإثراء المجتمع العربي اليافي. كذلك الحال بالنسبة للنادي الأنطوني التابع لكنيسة مار أنطون اللاتينية.

أهم كنائس البلدة القديمة

١ - كنيسة اللاتين (كنيسة القديس بطرس) [٨٩]

بنيت عام ١٨٨٨م داخل البلدة القديمة في حي الطابية في الطرف الشمالي الغربي، مطلة على الميناء. وهذا الموقع هو مكان القلعة التاريخية للبلدة القديمة، بناء الكنيسة كلاسيكي رشيق، واجهته الأمامية بالطوب الأحمر وهي تستلفت الأنظار بجمالها.

٢ - دير الروم الأرثوذكس

بوشر في بنائه عام ١٧٥٥م في البلدة القديمة. كان يعتبر نزلا للحجيج الروم سابقا

٣ - دير الأرمن

بني في البلدة القديمة عام ١٦٦٣م لاستضافة الحجيج.

٩٨ - إلياس حنا رنتيسي، المرجع السابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٦، وكذلك عباس نمر، المرجع السابق ص ٩٠ .

كنائس خارج البلدة القديمة

أما خارج البلدة القديمة وخاصة على جانبي شارع العجمي فقد تم إنشاء الكنائس التالية :

كنيسة الخضر (طائفة الروم الارثوذكس)، كنيسة ودير الموارنة (١٩٠٨)، كنيسة دير الروم الكاثوليك (١٩٣٣)، كنيسة ودير الفرنسيسكان (١٩٣٤)، كنيسة مار بطرس الإنجيلية (١٩٢٣)، الكنيسة الألمانية (الملكان)

كذلك هناك كنيستان هامتان هما :

كنيسة طابيثا (المسكوبية)

بنيت عام ١٨٩٤م بإشراف مهندسين روس. تتربع هذه الكنيسة على رابية خضراء إلى الشرق من مدينة يافا قريبا من طريق القدس وسبيل ابي نبوت، تزهو بقبابها الروسية حمراء اللون وتعتبر بحق معلما من معالم يافا الجميلة.

كنيسة ودير الأقباط

قصر منيف يدل على أصالة بانيه ومصمميه، أقيم وسط بيارة برتقال قرب تلة العرقتنجي لاستضافة الحجاج الأقباط من مصر العربية، أما البابا شنودة الحبر الأكبر لهذه الطائفة فيمتلك قصراً آخر في قلوب كل العرب مسلمين ومسيحيين لمواقفة الوطنية الفريدة الفذة.

مجموع الكنائس والأديرة في مدينة يافا خمسة عشر كنيسة وديرا.



٥٨ - كنيسة ودير الاقباط قرب تلة العرقتنجي قصر في قلوب كل العرب

هذه الكنائس بأبراجها وقبابها إضافة إلى مآذن الجوامع تشكل منارات حضارية تتلاحم في رسم لوحة باهرة لهذه المدينة بوجهها العربي المسيحي الذي يثري وجهها العربي الإسلامي ويتكامل معه.

الأعياد الدينية المسيحية

للطائفة العربية المسيحية بعامة وفي مدينة يافا بخاصة مجموعة كبيرة من الأعياد والمناسبات الدينية يكاد عددها يصل إلى حوالي سبعين عيداً ومناسبة [٩٩].

تختص فئة قليلة من هذه الأعياد والمناسبات بالأحداث الرئيسة والهامة ذات العلاقة بنشوء العقيدة الدينية المسيحية. أما الغالبية فهي التي تحتفي بالمناسبات العديدة التي عانى فيها مؤسسو هذه العقيدة ومعتنقوها الأوائل من الظلم والاضطهاد والتعذيب الذي مارسته الطائفة اليهودية غداة ظهور الدين الجديد و بإيحاء منها ومساعدتها للحكام الوثنين من رومان وفرس في ذلك العهد.

عمد المؤلف لدى تحرير هذا البحث إلى استعمال الأسماء والاصطلاحات والتعابير الدينية شائعة الاستعمال لدى اتباع الطائفة المسيحية وكذلك الحال بالنسبة لمعتقدي الديانة الإسلامية. والقصد من ذلك ان يتعرف كل طرف على الاصطلاحات والتعابير التي يستعملها ويتبناها الفريق الآخر كجزء من ثقافتنا الوطنية العامة.

الأعياد الدينية الرئيسة

١ -عيد الفصح المجيد (القيامة) [١٠٠]

لعل هذا العيد هو الأهم في الديانة المسيحية يأتي بعد ثمانية وأربعين يوماً من الصيام والامتناع عن أكل كل ماهو من أصل حيواني وفيه يتذكر المؤمنون (آلام ربنا وإلهنا ومخلصنا المسيح المقدسة الخلاصية الرهيبة). يقع هذا العيد في فصل الربيع من كل عام.

يذكر ان هذا العيد كان نتيجة لقيام اليهود بالقبض على السيد المسيح عليه السلام واقتياده إلى الحاكم (بلاطس البنطي) طالبين إعدامه وصلبه. لكن الحاكم رفض طلبهم وادعاءاتهم لأنه لم يجد فيه شيئاً خاطئاً. فاهتاجوا وصرخوا (أصلبه دمه علينا وعلى أولادنا)، فما كان من الحاكم إلا أن أمر بماء فغسل يديه وقال ما معناه إني بريء من هذه الفعلة ووافق على صلبه.

والاحتفالات بعيد الفصح المجيد كانت تشمل مواكب لرجال الدين وفرق الكشافة حيث يحمل سعف (أوراق) النخل الفتية وتكون عادة صفراء اللون.

يبدأ الاحتفال في الكنائس وينتهي عند شاطىء البحر في حي العجمي، من ضمن ممارسات هذا العيد صبغ البيض المسلوق بألوان وزخارف جميلة.

---

٩٩ - إلياس شفيق نينو، من سير القديسين. ج ١ .

١٠٠ - المرجع السابق، ص ١٦٠ .

يتلازم هذا العيد مع احتفال يقوم به المسلمون ويسمونه خميس البيض ويلونون البيض المسلوق أيضا. من العادات التي كان يمارسها الفتيان في هذه الاحتفالات مباريات كسر البيض الملون ويستولي الغالب على بيضة المغلوب وقد يعمد البعض إلى تزوير بيضة من حجر الكلس ويصبغها على أساس أنها بيضة حقيقة ليغش بها زملاءه.

٢ -عيد الميلاد المجيد [١٠١]

تحتفل الطوائف المسيحية بمناسبة ميلاد السيد المسيح عليه السلام (ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد [١٠٢]) وذلك في ليلة الرابع والعشرين من كانون أول / ديسمبر من كل عام.

٣ - عيد خميس الصعود [١٠٣]

تحتفل الكنيسة بصعود السيد المسيح عليه السلام إلى السماء بعد (أن بقي يظهر لتلامذته بعد قيامته من بين الأموات مدة أربعين يوما).

٤ - عيد أحد العنصرة [١٠٤]

يعتبر هذا العيد عيد تأسيس الكنيسة ويقع يوم الأحد الأول بعد خميس الصعود ومن ضمن احتفالاته يخرج المواطنون المسيحيون من أبناء يافا والرملة واللد إلى نهر جريشة حيث يقضون النهار محتفلين بهذا العيد.

يقول المثل اليافاوي (عنصر وعدي سباحة، وصلب واطلع) اي بعد عيد العنصرة يمكن السباحة في البحر وبعد عيد الصليب يصبح الماء باردا وينتهي موسم السباحة.

٥ - عيد أحد الشعانين [١٠٥] و انتفاضة اطفال الحجارة

وهو عيد دخول السيد المسيح عليه السلام مدينة القدس منتصرا بعد إحدى المعجزات، وحين جادله البعض من اليهود المشككين فيه من الفريسيين وقالوا له (يامعلم إنتهر تلاميذك)، اجابهم عليه السلام **(أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ).**

كأني به ينبىء عن أطفال الحجارة الفلسطينيين بعد ألفيْ عام وما أشبه البارحة باليوم.

---

١٠١ - المرجع الساق ،ص ١٣٨ .
١٠٢ - المرجع السابق، ص ١٣٨ .
١٠٣ - المرجع السابق، ص ١٦٥ .
١٠٤ - المرجع السابق، ص ١٦٧ .
١٠٥ - المرجع السابق، ص ١٥٩ .

٦ - عيد القديس جاورجوس العظيم في الشهداء [١٠٦]

ولد في مدينة اللد عام ٢٨٠م من أبوين ثريين. دخل سلك الجندية وأصبح قائدا مشهورا. اعترض على تذبيح المسيحيين ثم أعلن تنصره فعذب معهم واستشهد بتأثير التعذيب. سمي (العظيم في الشهداء).
يشترك المسلمون والمسيحيون في الاحتفال بعيده في السادس من ايار كل عام إذ يعتقد المسلمون أنه ولي الله (الخضر).

٧ - عيد رفع الصليب [١٠٧]

أختفى (الصليب الكريم) أثناء مرحلة اضطهاد المسيحية في بدء المسيحية إلى أن وجدته الأمبراطورة هيلانة عام ٣٣١ فشيدت كنيسة القيامة خصيصا ونصب بها. أثناء غزو فارس للقدس عام ٦١٤م ساعدهم اليهود في تدمير الكنائس وذبح المسيحيين ونُهِب الصليب. إلا أن الامبراطور الروماني هرقل انتصر على الفرس عام ٦٢٨م وأعاد الصليب إلى القدس. في يافا تجري احتفالات خاصة بهذا العيد في السابع والعشرين أيلول / سبتمبر، حيث يجمع الفتيان أكواما كبيرة من الحطب والأخشاب ويضعون عليها مجسما يهوديا ويشعلون بها النار وهم ينشدون (قشة قشة لليهودي تنحرِقْ ذقنه هاليهودي).
هناك مثل شعبي يقول (إذا صلبت خربت) بمعنى بعد عيد الصليب يدخل فصل الخريف ويتلوه الشتاء.

٨ - عيد القديسة طابيثا [١٠٨]

يحتفل بعيد هذه القديسة اليافية في مدينة يافا بصورة خاصة يوم الأحد الثالث بعد عيد الفصح المجيد، إذ تخرج جموع المؤمنين إلى مدخل يافا الشرقي حيث تقع كنيسة المسكوبية التي تضم قبر القديسة طابيثا.
يقام في هذا اليوم قداس احتفالي ودورة في الكنيسة الروسية المجاورة ثم يمضي المحتفلون بقية اليوم متنزهين في بساتين الكنيسة الغنّاء.

٩ - عيد المساخر (التقليعة)

وهو عيد خاص بالطائفة العربية الارثوذكسية في مدينة يافا يقع خلال الأسبوع الأول من الصوم الكبير ويشتمل موكبا يطوف فيه مجموعة من الشبان بملابس هزلية الهدف منه الترفيه عن الجمهور بعد الصيام الكبير والمجهد.

---

١٠٦ - المرجع السابق، ص ٥١ .
١٠٧ - بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص ٦٥ .
١٠٨ - السيد إيليا نخلة الجلدة، رئيس اللجنة الثقافية، نائب لرئيس النادي الارثوذكسي عمان.، حديث شفوي

الفصـــل السادس

التوأمــان

يافا والبـرتقال

البرتقال ويافا اسمان مترادفان ماذكر أحدهما إلا واستجلب الآخر.

فمنذ القدم عُرِفت هذه المدينة بأنها جزيرة فيحاء وسط بحر من بساتين الفاكهة وخاصة البرتقال الذي دأبت رائحة أزهاره الذكية تعطر أجواء يافا والساحل الفلسطيني كلما حل الربيع. خلال الثلاثمائة سنة الأخيرة اكتسب هذا المحصول شهرة عالمية لدرجة أن البرتقال أصبح يعرف في أوروبا والعالم باسم برتقال يافا (Jaffa Orange) وهو الاسم الذي لم تستطع الصهيونية العالمية رغم عتوها وسيطرتها أن تمحوه أو تغيره حتى يومنا هذا.

لعل أقدم ذكر لبرتقال يافا جاء في عام ١٧٥١ على لسان العالم السويدي فريدريك هاسل كويست [١٠٩].

التقسيم العلمي النباتي [١١٠]

يتبع البرتقال العائلة السذبيه التي تشمل الحمضيات (الموالح) المختلفة ومنها : البرتقال، المندلينا، الكلمنتينا، الليمون، الليمون الحلو، الخشخاش، الترنج، الجريب فروت، اليوسف أفندي والبوملي وكذلك الكُمكُوات*

الأصل والمنشأ

نشأت الحمضيات على الاغلب في جنوب الصين والهند وكذلك الهند الصينية.

الانتشار [١١١]

عرفت فلسطين بعض أصناف الحمضيات كالكباد أي الأترنج إعتبارا من القرن الأول بعد الميلاد وعلى يد العرب أدخل الى إيطاليا في القرن الثالث الميلادي.

---

١٠٩ - مصطفى مراد البداغ، المرجع السابق، ص ١٤٧ .

١١٠ - د. حسن بغدادي، محاضرات الفاكهة، جامعة الاسكندرية، سنة ١٩٥٣، ص ٨٤ .

١١١ - د. حسن بغدادي، المرجع السابق، ص ٨٤ .

* من الحمضيات ثمرته اسطوانية طولها حوالي ٤ سم وقطرها حوالي ١,٥سم حامضة المذاق تستعمل للمربيات والشراب (المؤلف).

أدخلت زراعة البرتقال إلى فلسطين في القرن العاشر الميلادي على يد البحارة العرب الذين نقلوه من جنوب شرق آسيا.

خلال حروب الفرنجة تعرفت أوروبا على أصناف الليمون والبرتقال.

البرتغاليون [١١٣] نقلوا البرتقال إلى أصقاع مختلفةمن العالم ويظن أن كلمة برتقال اشتقت من إسْمِهم.

إنتقل البرتقال إلى امريكا الشمالية على يد الإسبان. أما الهولنديون فقد نقلوه إلى جنوب إفريقيا كما نقله الإنجليز إلى استراليا.

الجريب فروت (ليمون الجنة) أدخل إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى.

البرتقال في فلسطين

يمثل السهل الساحلي في فلسطين حوالي ١٦٪ من مجموع المساحة.

تعتبر تربة هذا السهل من أخصب الأراضي الزراعية وتخلو من الملوحة والمشاكل الكيماوية الأخرى، كما أنها تتميز بدرجة جيدة من المسامية والصرف. أما المناخ والأمطار فهما معتدلان كبقية دول حوض البحر المتوسط.

لقد استقر الإنسان العربي الفلسطيني في هذا السهل وحوله عبر أكثر من سبعة آلاف عام بجهده الكؤود من غابات بلوط وسنديان وقصب إلى أراضي زراعية معطاءة وغطاه في معظمه ببساتين البرتقال (البيارات)، فجعله بحرا من الزبرجد دائم الخضرة لا بل أبديها.

لذا جاء اسم فلسطين (أرض تفيض عسلا ولبنا).

المنظر يأخذ بألباب المسافر من يافا إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق، إذ يمر بعشرات الألوف من الدونمات وعبر امتداد البصر : بحر أخضر من أشجار الحمضيات وقد اصطفت صفوفا مستقيمة متعامدة كأنما خططها أعظم المهندسين، ناهيك عن عبير أزهار البرتقال الزكية التي تعطر الجو إن كانت الرحلة في فصل الربيع حين ترافقك هذه الرائحة حيثما كنت من الشاطىء وحتى حدود السلسلة الجبلية في الشرق.

بيارات البرتقال

البيارات كانت تمثل ذروة الجهد الحضاري الفلسطيني.

مدخل البيارة بوابة خشبية ضخمة عرضها متران وارتفاعها ثلاثة امتار بوسطها (خوخة) اي بوابة صغيرة للأفراد.

---

١١٣ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ١٤٧ .

تفتح البوابة على ساحة واسعة يتوسطها عادة شجرة باسقة (إما توت أو جُمّيز) وإلى اليمين يقوم بيت المزارع طابقا أو طابقين يليه خزان الماء (البركة) وعادة ما تكون أبعادها (٤٠٤م تقريبا) تبنى عادة فوق سطح الأرض وتزود بدرجات خارجية للصعود إليها وأخرى داخلية للوصول إلى قعرها، وهناك فتحة سفلى تقود الماء إلى العَمال (بفتح العين وتشديد الميم) ومن ثم إلى قنوات ترابية أو إسمنتية عبر البستان كله.

على الجانب الآخر للبركة، توجد بئر الماء على عمق ١٠ - ٢٠ مترا تقريبا ومركب عليها الدواليب التي كانت تديرها الدواب لرفع الماء من البئر وحتى بداية القرن العشرين حين شاع استعمال المضخات التي تشغل بالكاز (كيروسين) وكان هناك مصنع في يافا (واجنر) ينتج معظم احتياجات الاسواق من المضخات [١١٣]. كان في الساحة أيضا الإسطبل لإيواء حيوانات الجر والبقر وبعض الغنم والطيور الداجنة. ودائما هناك أيضا فرن الطابون لتصنيع الخبز والمسخن.

أحد جوانب البركة يكون عريضا بشكل يسمح لقعدة تحت ظل شجرة التوت أو الجميز، وعادة مايكون بقربها خارج البركة بضعة أشجار من الورد الجوري والفتنة والياسمين الأبيض والتمر حنا والفل تعطر الجو بسمفونية روائح زكية، ولا أحد ينسى تربية مجموعة من أسماك الزينة الذهبية أو الحمراء داخل البركة أيضا. وعادة ماتزرع مجموعة من نبات قصب السكر والجوافا والتفاح الخشابي (الإبياري) للاستهلاك المنزلي.

الغالبية العظمى من مساحة البيارة تزرع عادة بالبرتقال اليافاوي (الشموطي) والقليل من البرتقال السكري (الفرنساوي) والجريب فروت والليمون.

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ ينتشر البرتقال الصيفي (فلنسيا) وكذلك برتقال (أبوسرة). أما الكمكوات (وكان البعض يسميه برتقال اسباني) وهو صغير الحجم حامض لا يصلح إلا للمربيات، فكان يزرع بأعداد قليلة.

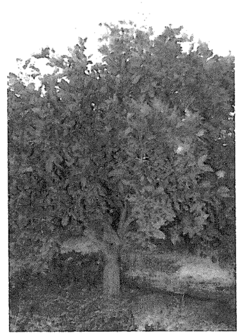
وهناك المندلينا والكالامنتينا واليوسف أفندي، فكانت تشغل نسبة حوالي ١٠٪ من مجموع المساحة.

سياج البيارة عادة ما يكون من نبات الخشخاش (اللارنج) المزروع على مسافات ضيقة لأن به أشواك. كذلك كان نبات السنط شائع الاستعمال، وفي نهاية الثلاثينيات بدأ استعمال الأسلاك الشائكة كسياج للبيارات. صدقت فيروز بلبل العرب الصداح حين قالت :

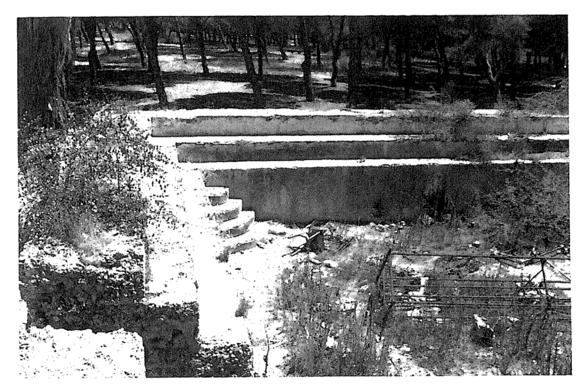
(بيـــــاراتنا زرعناها   ملء العين سقيناها)

---

١١٣ - محمد سالم غثيان الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤، ص ٢١٧ .



٥٩ - صورة اشجار البرتقال



٦٠ - بركة البيارة أطلال تنعي من بناها

الأهمية الاقتصادية

منذ بداية القرن التاسع عشر بدأت زراعة البرتقال تنتشر بصورة مضطردة في السهل الساحلي الفلسطيني وخاصة حول مدينة يافا. وقد توفرت التقديرات التالية لعدد البساتين المزروعة [١١٤].

السنة	عدد بيارات (بساتين) البرتقال
١٨٦٤	٣٥٠
١٨٧٠	٢٨٤
١٨٨٤	٥٠٠
١٨٨٩	٧٠٠

قدر عدد الأشجار في البيّارة (مع تشديد الياء) الواحدة ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ شجرة.

كما قدرت جريدة فلسطين [١١٥] أن عدد أشجار البرتقال في فلسطين بلغ (٧٦٥٠٠٠) شجرة وقدر إنتاجها السنوي بكمية ٣٠٠ مليون حبة.

- أعمال التصدير بوشرت في عام ١٨٧٩ عبر ميناء يافا.
- أصبح البرتقال يمثل ٨٠٪ من الصادرات الفلسطينية [١١٦].
- موازيا للتوسع في الزراعة، اتسعت أعمال تصدير البرتقال عبر ميناء يافا وازدادت بصورة مضطرة كما يلي :

السنة	كمية التصدير / صندوق
١٨٨٥	١٦,٠٠٠
١٩٠٠	٢٥١,٠٠٠
١٩٢٥	٢,٥٠٠,٠٠٠
١٩٣٩	١٥,٣٠٠,٠٠٠

علماً بان صندوق البرتقال ذو حجم وتركيب قياسي ثابت ويحوي مائة حبة، كل حبة ملفوفة بورق شفاف مطبوع عليه اسم التاجر المُصدّر وعلامته التجارية.

١١٤- محمد سالم غثيان الطراونة، المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

١١٥ - جريدة فلسطين، الصادرة في مدينة يافا العدد ١٨٧ لعام ١٩١٢ .

١١٦ - عباس نمر، المرجع السابق، ص ٢٨.

بلغت قيمة صادرات البرتقال عام ١٩٤٠ حوالي ٣,٦ مليون جنيه فلسطيني تمثل ٩٠٪ من مجموع الصادرات الزراعية و ٧٥٪ من المجموع العام للصادارات.

خلال الحرب العالمية الثانية، انخفضت الكميات المصدرة انخفاضا شديدا نظرا لخطورة النقل البحري وللانشغال بالتموين والأعمال الحربية.

في عام ١٩٤٥ استأنف الفلسطينيون أعمال التوسع، وقدرت (المساحات) المزروعة كما يلي [١١٧]

مجموع المساحة المزروعة / دونم	ملكية عربية / دونم	ملكية يهودية / دونم
	٨٨٩٨٦	٨١٣٤٥

كان قطاع الحمضيات (الموالح) يشكل نشاطا أساسيا في الكيان الاقتصادي لفلسطين. ففي خريف كل عام حين يبدأ قطف وتجهيز وتصدير البرتقال ينشغل غالبية السكان في السهل الساحلي بشكل مباشر او غير مباشر ثلاثة أشهر بهذه العملية ويحققون دخلا يكفيهم السنة بكاملها.

لذا يعتبر إنتاج وتصدير البرتقال محور النشاط الاقتصادي والمحرك والممول لكل القطاعات الاقتصادية الاخرى.

مهنة إنتاج وتجهيز وتصدير الحمضيات

خلال شهر نيسان من كل عام تزهر أشجار الحمضيات بصورة عامة، باستثناء الأصناف الصيفية كبرتقال الفلنسيا الذي يتأخر أزهاره وكذلك الليمون الشهري الذي يستمر إزهاره طوال العام.

ابتداء من شهر تشرين الأول تنضج الثمار وتصبح جاهزة للقطف. هنا تبدأ سلسلة من العمليات سندعوها باسماء منفذيها [١١٨] :

١ - القصاص أو القصيص : متخصص في قص الثمر بحيث لا يجرح او يخدش الثمرة وبدون بقاء عنق للثمرة الذي قد يجرح غيرها من الثمار ومن ثم يتلف كل الصندوق أثناء الشحن البحري.

٢ - الشاويش (مراقب العمال) : موكول له المحافظة على سير العمل وانتظام العمالة.

٣ - العمال والعاملات : يحمل كل واحد سلة على ظهره تحته كيس خيش يسمى الحِلْس حماية للظهر، يأتي بالسلة محملة بالثمار ويفرغها في الساحة أو البايكة.

٤ - المُعاين : مسؤول عن فرز الثمر بالحبة ينتخب الصالحة للتصدير ويقسمه في ثلاث صناديق

١١٧ - مصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٧٢ .

* الدونم = ١٠٠٠ متر مكعب او ٠,١ هكتار.

١١٨ - حسن محمد عوض، في السافرية - من تراثنا الشعبي في السهل الساحلي الفلسطيني، ص ٥٩ .

صغير، وسط، كبير.

٥ - اللفيف : يلف كل حبة بورق شفاف.

٦ - الإستافادور : يعبىء الثمر الملفوف بالورق في الصناديق.

٧ - النجار : يصنع الصناديق الخشبية وهناك نجار آخر مختص بإغلاق الصناديق بالمسامير بحيث لاتجرح الثمار.

٨ - عامل الماركة : يدمغ الصناديق بالعلامة التجارية وبلد المنشأ وعدد الحبات في الصندوق.

٩ - النقل إلى البواخر : كان يتم بأن تُدحْرج الصناديق من عنابر الميناء على سقايل خشبية الى المواعين (الجرومة) ومفردها جَرِمْ وهي زوارق خشبية كبيرة بدون شراع ومزودة بستة إلى ثمانية مجاديف ويتسع الواحد منها لخمسمائة صندوق ومن ثم يجدف البحارة الجرم من الميناء إلى عرض البحر حيث تقف البواخر التجارية، ومنذ منتصف الثلاثينيات أصبح هناك (لنشات) أي زوارق بخارية (تقطر) أي تسحب الجرومة إلى البواخر.

١٠ - بحارة يافا : كانوا ماهرين في صنعة الموانىء ويتكلمون كثيرا من الاصطلاحات الأجنبية وخاصة الإيطالية منها : مثل (ليوا)، (اناريبه)، (اونا)، (دويه) الخ.

كان العمل يسير مع الغناء والمواويل والزغاريد وبعض النكات والتنافس بين الشغيلة.

استيراد وتصنيع الصناديق الخشبية (السحاحير) [١١٩]

كان هناك تجار متخصصون في استيراد الخشب المناسب لتصنيع صناديق تعبئة الحمضيات، من اهم البلاد التي كان يتم الاستيراد منها : السويد ويوغسلافيا.

بعد أن تعبأ الصناديق بالثمار وتغطى بوجه خشبي، يحاط الصندوق من جوانبه الأربعة بثلاثة أطواق خشبية مصنوعة من خشب الكستناء.

التسويق والإدارة

- المزارع أو المالك يتولي عمليات الإنتاج كاملة،

- الضَمّين يلي المالك في التسلسل وهو الخبير في تقدير كمية المحصول لكل بيارة، وقد يعمل لصالحه أو بالأجر لصالح تجار التصدير. وعادة يتحلى هؤلاء الضمينة بدرجة عالية من الكفاءة والخبرة.

تجار الحمضيات

١١٩ - لطفي غاوي، مقال في كتاب (يافا عطر مدينة)، ص ٢١٤ .

- هم الفئة الأكثر غنىً والأكثر نفوذا وذات الدور الأهم في عملية تسويق وتصدير الحمضيات.
- اشتهرت عائلات يافية عريقة بالاتجار بالحمضيات منها [١٣٠] :

زهدي ابو الجبين، الحاج علي البنا، محمد سعيد بيدس، محمد أحمد عبدالرحيم، كامل الدجاني، امين الطاهر، رشيد الطاهر، حسن عرفة، نجيب القطان، عبدالحميد بيبي، يوسف طالب، علي الحجاج، علي سنحه، الشرباتي، ابوخضرا والشيخ علي.
وقد تمتع غالبيتهم بسمعة اجتماعية طيبة لإسهامهم في الأعمال الخيرية والنشاطات الوطنية.

الشحن البحري

- غالبية شركات الشحن البحري كانت سويدية، دانماركية، بلجيكية، وايطالية.
- أسواق التصدير كانت بريطانيا وأوروبا الغربية.
- كانت شركات البواخر تعمل من خلال وكلاء (اجَنْسّية) محلين، يتمتعون هم ايضا بخبرة واسعة في شؤون النقل البحري.
- خلال الحرب العالمية الثانية اصبح التصدير صعبا للغاية فقامت الحكومة بتأسيس مجلس حمضيات (Citrus Board) الذي أصبح يعطي حصصا (كوتا) لتجار التصدير أو حسب مساحات ملاكي البيارات.
- خلال موسم التصدير العادي كان يمر على ميناء يافا ١٠ - ١٢ باخرة (بابور) يوميا يقوم بتفريغها وتحميلها ٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ بحري.
-التجار بدورهم كَوّنوا جمعية للتعامل مع شركة غرغور العريقة في الوكالات البحرية وشؤون النقل البحري

مشاهير رياس البحر [١٣١]

- الرياس ومفردها ريس (بتشديد وكسر الياء) هم البحارة القدامى ذوو الخبرة في شؤون البحر وهم في الأعم الأغلب ملاكو اللنشات والمواعين والفلايك وهم عادة من العائلات اليافية العريقة من الطبقة الوسطى وكانوا يتمتعون بمرتبة إجتماعية شعبية عالية.
- اشتهر من هذه الفئة مايلي :

١٣٠ - احمد ابراهيم البواب، مقال في كتاب يافا عطر مدينة ، ص ٢٠٩ .
١٣١ - احمد ابراهيم البواب، المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

الحاج علي كته، الحاج علي الشولي، الديب سالم، حسن ابوشليح، عبدالمنسي (بكسر الميم)، حسن الشيخ، سعيد المدهون، الكاشف، الحاج سعيد الياسير، أحمد دوله. إضافة إلى هؤلاء فقد أورد حنا عيسى ملك في كتابه الجذور اليافية الصفحة ١٧٨ اسماء الرياس مطيع حجاب، حاج سعيد حبقزه، الحاج راغب المناضفة.

أما عمال البحر (البحرية) فكانوا يسمون المُكاريه

البرتقال الفرز (السقيط) أو غير الصالح للشحن :

هذا جزء من المحصول كان يعبأ في أكياس خيش (ابو خط أحمر) ويتسع الكيس الى حوالي ١٥٠ - ٢٠٠ حبة ويباع محليا لصنع العصير والشراب، بسعر ١٥٠ - ٢٠٠ مليم للكيس الواحد

الفصـــل السابع

يافـــا

إحصائيات عامـة

الفصـــل السابع

يافـــا

إحصائيات عامـة

الاسم	يافا ولها تسعة وثلاثون (٣٩) اسماً آخر.
مكان الولادة	هضبة على شاطىء البحر المتوسط الشرقي قبالة القدس وفي منتصف المسافة بين حيفا وغزة.
العمر	عشرة آلاف عام، منها ثمانية آلاف عام قبل مولد السيد المسيح عليه السلام.
عدد ابنائها	حوالي مائة ألف نسمة عام ١٩٤٨ .
المساحة	١٧ كيلومتراً مربعاً
عدد الأحياء	١٢ حياً (من الشمال) : المنشية، إرشيد (المسلخ)، البلدة القديمة، سكنة الهريش، البطمة، العجمي، الجبلية، الرياض، النزهة، البصة، الملكان.
عدد السكنات (الضواحي)	٧ ضواحي هي (من الجنوب) : تل الريش، سكنة درويش، العراينة، ابو كبير، ضناطية، السبيل، تركي
خطوط الباصات [١٣٢] الداخلية	٥ خطوط هي : رقم (١) العجمي، رقم (٢) المنشية، رقم (٣) العجمي - النزهة، رقم (٤) سوق الصلاحي - تل الريش، رقم (٥) الإسعاف) - شارع عاصم بك، رقم (٦) شارع الحلوة الجبلية، (٧) الإسعاف شارع العياوي، (٨) عمارة البريد - عمارة الشيخ علي (العجمي). وتملكها شركة (باصات يافا المحدودة)[١٣٣] جميعها تنطلق من نقطة مركزية هي ساحة الساعة الإسعاف .

١٣٢ - د. أكرم الدجاني، مقال في كتاب (يافا عطر مدينة)، ص ١٥١ .

١٣٣ - شركة التقدم للنشر العربية ، القدس (جدول الأوقات) وسائط النقل فلسطين وشرق الأردن المجلد ٤٦ / ١٩٤٧ .

حدودها

شمـــالاً : نهر العوجا
جنوبـــاً : نهر روبين
غربـــاً : سبيل المحمودية
شرقـــاً : سبيل ابونبوت
في المركز : سبيل السكسك وسبيل الدرهلي

حدودها البحرية

شمالاً : صخرة أندروميتا (الأميرة الإغريقية) وتسمى أيضا باب البوغاز.
جنوباً : صخرة حجر آدم.

الحراس

شمـــالاً : ولي الله علي بن عليل (سيدنا علي)
جنوبـــاً : النبي يونس والنبي روبين عليهما السلام
غربـــاً : القديس بطرس (دير الفرنسسكان)، أحد حواري السيد المسيح
شرقـــاً : القديسة طابيثا (كنيسة المسكوبية)

شوارعها الرئيسة

١٦ شارعا هي من الشمال إلى الجنوب : إرشيد / المحطة / العالم، المنشية، بسترس / اسكندر عوض، الإسعاف، السكسك، الدرهلي، العجمي، الصلاحي، البطمة، الملك فيصل، الحلوة، دولة، الهباب، الجبلية، النزهة، جمال باشا، ابو كبير / سلمة.

البحار

بحران : غربا بحر الأبيض المتوسط أزرق اللون
شرقا بحر سهل البيارات (بساتين البرتقال) أخضر اللون

دور العبادة

١٢ جامعا هم : من الشمال : حسن بك، إرشيد، الجامع الكبير، البحر، الدباغ، حسن باشا، الطابية، الشيخ رسلان، العجمي، الجبلية، النزهة، السكسك (مصطفى مراد الدباغ، ص ٢٥١)
١٠ كنائس هي : الروم الكاثوليك، الموارنة، الأرمن، الأقباط، الارثوذكس، الإسكتلندية، اللوثرية، الروم الارثوذكس، الانجيلية، اللاتين، كنيسة طابيثا الروسية.

٣ أديرة : دير الروم الارثوذكس، دير الأقباط، دير اللاتين (الجذور اليافية ص ٥٥).

المستشفيات ٦ مشافي هي : الحكومي، الكرنتينا، الفرنسي، الإنجليزي، الألماني، الدجاني

الصيدليات ١٥ صيدلية موزعة في كافة الأحياء

البنوك ٧ بنوك هي : العربي، الأمة العربية، باركليز، العثماني، دي روما، الألماني، أنكلو - فلسطين

الصحف ٧ جرائد يومية ومجلة اسبوعية وهم : الأخبار ١٩٠٩، فلسطين ١٩١١، الجزيرة ١٩٢٤، الصراط المستقيم ١٩٢٥، الإقدام ١٩٢٦، الجامعة الإسلامية ١٩٣٣ ، الدفاع ١٩٣٤، الشعب ١٩٤٦، الاتحاد ١٩٤٦ ومجلة الفجر ١٩٣٥
أما أقوى صحيفة يومية وأوسعها انتشار فهي صحيفة الدفاع، تليها صحيفة فلسطين. أقدم مجلة ظهرت في يافا مجلة الأصمعي ١٩٠٨ .

المطابع ٣١ مطبعة (يافا الحنين الأبدي، ص ٧٥)
أول مطبعتين أسستا في مدينة يافا كانتا في عام ١٨٩٣ [١٣٤]

المكتبات ١٠ مكتبات هي : العصرية، السفري، الطاهر، السمهوري، البوري، عبدالرحيم، بولس سعيد، العموري، فلسطين العلمية، فلسطين - حي العجمي (يافا الحنين الأبدي، ص ١٠٤).

المدارس ١٧ مدرسة بنين، ١١ مدرسة بنات، ١٩ مدرسة مختلطة، مجموع طلابها ١١٦٥٠ طالبا وطالبة خلال عام ١٩٤٦ (بلادنا فلسطين، ص ٢٥٤).

الأندية والجمعيات ١٤ ناديا و٣٣ جمعية ازدانت بهم يافا وشملت نشاطاتهم النواحي الثقافية، الرياضية، الاجتماعية، الخيرية والنسوية، أهم أندية يافا حسب تاريخ تأسيسها :

١٣٤ - د. محمد سالم غنيان الطراونة : قضاء يافا في العهد العثماني ، ص ٥٠٨

١ - جمعية الشبان المسيحية ١٩٢٢ / ثقافية، رياضية، اجتماعية
٢ - نادي الشبيبة الإسلامي ١٩٢٣ / ثقافي، رياضي
٣ - النادي الارثوذكسي ١٩٢٤ ثقافي، رياضي، اجتماعي وكشفي
٤ - النادي الرياضي الاسلامي ١٩٢٦ / رياضي، ثقافي، كشفي.
٥ - نادي الطلبة، اسسه محمد أديب العامري حوالي عام ١٩٢٦ كان مركز حركة اجتماعية، أدبية، سياسية. وكان يطلق على شباب هذه الحركة اسم (حملة الفكرة الاستقلالية). (د. صبحي غوشه، شمسنا لن تغيب، ص ٢٤٣).
٦ - جمعية الشبان المسلمين ١٩٢٨ / ثقافية، رياضية، كشفية.
٧ - النادي الأنضوني / ثقافي، رياضي، كشفي.
٨ - النادي العربي ١٩٤٣ / ثقافي، اجتماعي
٩ - نادي الموظفين / ثقافي، اجتماعي
١٠ - نادي التنس / رياضي، اجتماعي
١١ - النادي الأولبي / رياضي (أديب الدسوقي)

منظمات عمالية

٣ هيئات هي :
١ - جمعية العمال العرب. رئيسها السيد ميشيل متري ١٩٣٥
٢ -اتحاد العمال العرب
٣ - جمعية العمال العرب الفلسطينية، حيفا ١٩٢٥، رئيسها سامي طه.

منظمات طلابية

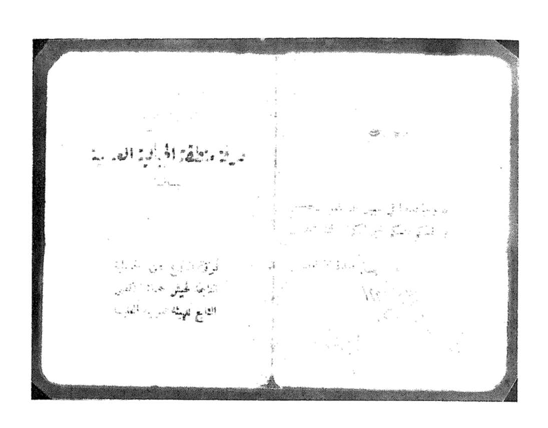
رابطة الطلبة العرب - يافا ١٩٣٨
اتحاد طلبة يافا العرب ١٩٤٧ *
اتحاد طلبة عرب فلسطين ١٩٤٧ *

منظمات شبابية

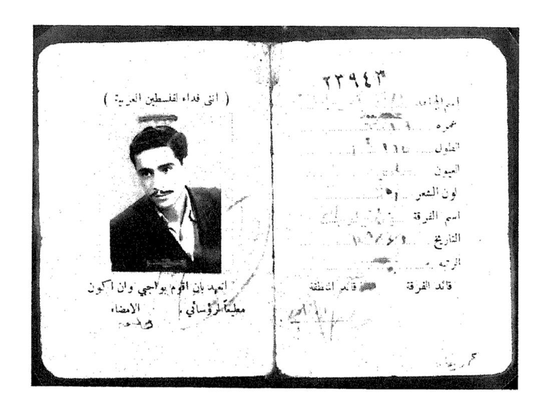
منظمة النجادة ١٩٤٥
منظمة الفتوة ١٩٤٥

الفنادق

٥ فنادق حديثة هي : كلف هوتيل، كونتينتال، رمسيس، القدس والجزيرة



التابع للهيئة



(انني فداء لفلسطين العربية)

اتعهد بان اقوم بواجبي وان اكون
مطيعاً لرؤسائي
الامضاء

٢٢٩٤٣

اسم الجندي
نمرة
الطول
العيون
لون الشعر
اسم الفرقة
التاريخ
الرتبة

قائد الفرقة	قائد المنطقة

عطر يافا المفضل	Soir de Jaffa اوريجينال، وبالعربية عبير زهر البرتقال (خلال شهر آذار / مارس - أيار / مايو من كل عام)
الشواطىء (المسابح)	٨ بلاجات وهي من الشمال : شط المنشية، إرشيد، بركة قمر، العجمي. الكازاخانة (جون الانجليز)، السرياني، الدعدع، صخرة آدم
دور السينما	٦ دور سينما هي : الحمراء، فاروق، نبيل، الرشيد، الشرق وأبولو (الجذور اليافية ، ص ٩٧)
المقاهي	٧٥ مقهى تواجد في يافا خلال المائة سنة الماضية أشهرها من الشمال : الانشراح، المدفع، البواب، الميناء، التيوس، إحميد ، الصفدي، داود، البواب / سوق الصلاحي، الحلواني، ابو شاكوش، ليون والبريستول.
الملاهي الليلية	٥ ملاهي هي : الظرفية، البارزيانا، غنطوس، عبد المسيح، لورنس
المقابر	مقابر الطائفة المسيحية : كل كنيسة ملحق بها مقبرة طائفتها ٨ مقابر للطائفة الإسلامية هي (من الشمال) : عبدالنبي، البرية - درست، العجمي، درست، الكازاخانه (الجبليّة)، طاسو، سلطانه، تل الريش، الشيخ مراد (١٣٥٥م) (قصة مدينة يافا - غربية، ص ١٧٧).

الفصل الثامن

قصائد عشق إلى يافا

أكاد أجزم، لولا خوفي من تهمة المبالغة، أن كل انسان منا يولد وفي يده قيثارة وعلى لسانه نغمة شعر.

هوميروس شاعر الاغريق الذي خلد لنا بشعره الرقيق ألف أسطورة وأسطورة بقي منارا شامخا بينما جيله ومن تبعهم من العباقرة في شتى علوم المعرفة خفتت أنوارهم .

الشعراء العالميون جوتيه الألماني ودانتي الإيطالي ولامرتين فرنسا، وشكسبير الإنجليز.

بقوا اعلاما خالدين يحركون فينا نشوة الإمتاع عبر مئات السنين تاريخنا العربي الذي يمتد عبر سبعة آلاف عام يزخر ويزهو بغزير إنتاجه الحضاري وكثرة مبدعيه، قلة منهم فقط هم عمالقة الشعر ظلوا شموعا تضيء لنا ظلمات الزمن وتمسح عنا كبواته وما أكثرها في تاريخنا الحديث.

ومالي اذهب بعيدا في بطن التاريخ ونحن جيل نكبة عام ثمانية وأربعين نعيش شاعر النهضة العربية عمر ابو ريشة يختزل في بيتي شعر ، رعفة جواد عربي أصيل الخليفة العباسي المعتصم استجابة لاستغاثة امرأة عربية ثكلى فحرك جيشا من مائة ألف أو يزيدون مسافة ألف كم انتصارا لتلك المستغيثة.

كل هذا يختزل في بيتي شعر لا بل ويختزل فيهما أيضا تخاذل رؤوساء العروبة رغم استغاثة مليون منكوب عربي.

رب " وامعتصماه " انطلقت   ملء أفواه الصبايا اليُتّم[١٢٥]

لامست أسماعهم لكنها   لم تلامس نخوة المعتصم

" نخوة المعتصم " هي بيت القصيد سادتي القراء فأنّا لنا بها اليوم ؟؟

مهلا مهلا

فإني لا أظن أن عربياً قد نسي أو قد ينسى جملة شعرية أطلقها في وجه العدو المغتصب شاعرنا محمود درويش كالطود مغروسا في صدورهم.

جملة شعرية هزت كيان أبشع سفاح شهده العصر الحديث (شامير) فاحتج عليها في ما يسمونه برلمانهم. نعم شامير ومعه الأربعين حراميا، أو لم يسرقوا منا وطنا؟ نعم الأربعون لصاً لا بل

---

١٢٥ - الشاعر عمر ابو ريشة، قصيدته " بعد النكبة " ١٩٤٨

المائة والعشرين أفّاقاً ممن يسمونهم أعضاء الكنيست كلهم عربدوا جزعا ورعبا لدى سماع هذه القصيدة.

" عابرون في زمان عابر " قصيدة محمود درويش التي هزت كيان صهيون ولم تفزعهم كل عنتريات عرب اليوم.

الشعر أيها السادة القراء هو وتر الناي الذي خلقت أرواح بني الإنسان لتعزف عليه عواطفها، وأشجانها.

لذا كان لا بد أن يكون ، ليافا والشعر، ركن خاص في الوجدان العربي لا بل والإنساني.

يافا كانت محظوظة بالكثير من الشعراء العرب خصّوها بالفريد من نتاجهم. ثلة من وادي عبقر نشروا

" ... على لهب القصيد	شكوى العبيد إلى العبيد
شكوى يرددها الزمان	غدا إلى الأبد الأبيد. "[١٢٦]

ثلة رأت في قسمات يافا ملامح جمال أخاذ. فنسجت بالكلمات والنغم ملاحم تفوق ألف ريشة رسام وألف عدسة مصور .

لذا لا تكتمل هذه الأطروحة عن يافا ما لم تتضمن فصلا عن موقع الشعر والشعراء في جنبات عروس فلسطين.

لكننا لم نجد بدا من أن ننتقي طاقة من هذا القصيد دون الإحاطة بكل ما صدر وقيل وإلا تطلب الأمر أكثر من كتاب في هذا الميدان. وقد عمدنا إلى ترتيب الشعراء حسب أبجدية الأسماء.

١ - عبد الوهاب البياتي *

ولد لعرب العراق في بغداد عام ١٩٢٦ م ورضع الثقافة العربية الأصيلة واغتذى بروح الثورات.

صال وجال في مدارس الشعر العربي قديمه وحديثه وأكتوى بأحداث أمته فأجاد الشعر وأثرى أكثر من جيل عربي بالدر الثمين من قصيده.

الملجأ العشرون [١٢٧]

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال

وكوحشة المصدور في ليل السعال

كانت أغانينا، وكنا هائمين بلا ظلال

مترقبين، الليل، أنباء البريد :

١٢٦ - وسلام عليك شاعر فلسطين أبا سلمى عبد الكريم الكرمي حيثما حللت.

* ناصيف إميل، اروع ما قيل في الوطنيات، ص ٢٩.

١٢٧ - عبد الوهاب البياتي، ديوان أباريق مهشمة، ص ٥.

" الملجأ العشرون
ما زلن بخير، والعيال
-والقمل والموتى - يخصون الأقارب بالسلام "
والذكريات الفجة الشوهاء تعبر، والخيام
والريح والغد والظلام
كوجوهنا غب الرحيل :
" أماه ما زلنا بخير " والذئاب
تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد :
" يا أخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! " ليل السعال
وبريدنا الباكي المعاد :
" لا شيء يذكر لم تزل (يافا) وما زال الرفاق
تحت الجسور، وفوق أعمدة الضياء
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراق
على حوائطها القديمة، واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد"

"من ها هنا أماه ! أعواد المشانق والحريق
من ها هنا بدأو ونبدأ، والطريق
وعر طويل
لا عاش رعديد ذليل"

(يافا) نعود غدا اليك مع الحصاد
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبرات
والأمهات

" الملجأ العشرون
ما زلنا بخير، والعيال
والأخوة المتشردون
من قبونا النائي يخصون الأقارب بالســـــلام".

أتحفنا البياتي أيضاأكثر من قصيدة تذكرنا بيافا نذكر منها .

العرب اللاجئون [١٣٨]

يا من رأى " يافا " بإعلان صغير في بلاد الآخرين
يافا على صندوق ليمون معفرة الجبين
يا من يدق الباب
نحن اللاجئين
مُتنـــا
وما " يافا " سوى إعلان ليمون
فلا تُقلق عظام الميتين
الآخرون هم الجحيم
الآخرون هم الجحيم
باعوا صلاح الدين
باعوا درعه وحصانه
باعوا قبور اللاجئين

١٩٦٠

٢ - محمد مهدي الجواهري

ولد الجواهري عام ١٨٩٩ في مدينة النجف بالعراق وهي إحدى أهم حواضر الأدب العربي ومناراته الشامخات . نشأ في أسرة علمية عريقة وقال الشعر وهو فتى يافع .
تلقى الدراسة على يد شيوخ لغة وأدب مشهورين وكأنه تخرج من جامعة الجامعات لغة وادبا.
شاعر الفطرة العراقي بكل العنفوان والجزالة والتدفق والخصب والثورات التي عرف بها العراق، هو بين الشعراء العرب المعاصرين ثورة بركان الأحرار له دفق الطوفان الذي قالت الروايات أنه أنجب العراق بكل ضخامته واتساعه وخشونته وعطائه.
هكذا الجواهري وهكذا شعره بين الفحول من شعراء العرب إذ تربع على عرش الشعر العربي منذ الثلاثينات. او ليس هو القائل لأخيه الشهيد :

"تقحم لعنت أزيز الرصاص   وجرب من الحظ ما يقسم "*

أي جزالة وأي عنف وأي ثورة هذا الذي نطق وعاش به الجواهري فأمضى نصف عمره منفيا مشردا غريبا عن اوطانه لكن مشهورا وعزيزا عربيا وعالميا.
شاع شعره واصبح الحكام يحسبون له حسابا واي حساب.

١٣٨ - عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، ج ١، ص ٤٢٤ ١٣٩ - د. جليل العطية، الجواهري شاعر من القرن العشرين، ص ٦ .
* من قصيدته " اخي جعفر " ١٩٤٨، ص ١٥٢ ديوان الجواهري المجلد الثالث / ٢٠٠٠

لم يترك بابا في الشعر الوطني إلا طرقه مرارا وتكرارا وكان لفلسطين ويافا حظ وفير من تغريده.

" يـا فـــا الجميلـة " [١٣٠]

بيــافـا يوم حـط بهـا الـركـاب	تمطر عـارض ودجـا سـحـاب
وقـفـت مـوزع الـنظرات فـيــهـا	لطرفي فـي مغـانيـها انـسيـاب
نظـرت بمقـلة غـطى عـليــهـــا	من الدمـع الظليـل بهـا حـجـاب
لئن حـمي الـوداع فـضـقت ذرعـا	به، واشـــتف مـــهــجـتي الـذهاب
فـــمن أهـلي إلـى أهـلي رجـــوع	وعـن وطـنـي إلى وطـنـي إيـاب".

يافا فلسطين ١٩٤٥

وشعـر الجواهري كـمـا يعرف القاصي والداني أكبر وأجل من أن تحيط به أو توفيه حـقه مثل هذه العجالة .

٣ - محمود سليم الحوت*

ابن يافا شاعـر وفير الإنتاج. اكتوى بنار النكبة فانصهرت روحه وأشعاره قومـية وحدوية تحـررية، إلتـاع بنوازل أمتـه وانتـشى بـلمحات انتـصارها فـجاء شـعـره سـجل تاريخ قـومي، كان ليافا في شعره نصيب وافر شجي، نورد فيما يلي أنموذجا منه كما ورد في أحد دواوينه :

يافـا، لقـد جفّ دمعي فـانتـحبتُ دمـا	مـتى أراكِ؟ وهل في الـعـمـر من أمـدِ؟
أُمــسي، وأصبحُ، والذكــرى مُجــددة	مــحـــمــولةً في طوايا الـنفس لـلأبـد
كـيـف الـشقـيقاتُ؟ واشـواقي لهـا مـدناً	كــــأنهـــــا قـطعٌ من جنـة الخُلـدِ
مـاحـــالهـــا الـيـوم يا يـافـا، وهل نعـمتْ	من بعـــد أن سُلمَت أمـــســاً يداً بـيــدِ!
وكـيف من قــد تبـقى في مـرابعـهـا	وقــد تركـناه فـيـهـا ترك مُلتـحـدِ؟
مـــابال قـلبي اذا مـــاســــرتُ من بـلد	يصـيحُ من وجـده في الصـدر وابلدي!
مهـمـا استـقـام له من عـيـشـة رغـدٍ	وجـدته هـازئاً بالـعــيـــشــة الرغــدِ
تعــبتُ لـكنـني مـــازلت في تـعـــبي	أشـكو الى الـلـه لا أشـكو إلى أحــــــدِ

---

١٣٠ - ديوان الجواهري، المرجع السابق، ص ٢٧ .

* محمود سليم الحوت ، ديوان ملاحم عربية، الهزلة العربية وهي (اناشيد عربي من فلسطين ضل في الافاق)، الصفحة ٢٠٢، مطابع دار الكتب بيروت ١٩٥٨، عنوان المؤلف ص ب ١٨٨٦ بيروت.

٤ - محمود درويش

" كالصخر كشجر الزيتون صامدون في أرضنا منغرسون. "

" سجل أنا عربي وأولادي ثمانية .

ذاك محمود درويش بكلماته. كل خلية في جسده تنطق بهذه الشعارات حتى أكاد أؤمن أن كل كلمة إنما قيلت لتصف خلية في كيانه.

هذا هو محمود درويش الذي ابتدع للنضال ومقارعة العدو نكهة وطعما خاصين به يتميز بهما عن شعراء المقاومة أينما كانوا وعن المناضلين حيثما نبتوا وحلوا .

نعم هذا هو محمود درويش الذي جعل الصمود في وجه العدو تاج فخار يزين جيلا من الذين كنا ندعوهم عرب الداخل وهم الفلسطينيون حقا .

محمود درويش الكلمة التي قارعت كل دباباتهم وطائراتهم والدولار .

هنيئا لك فلسطين بأبنك المحمود .

ولد الشاعر في مدينة حيفا سنة ١٩٤٢ م* وتغذت عبقريته بمعاناة شعبنا تحت نير الاحتلال الصهيوني فانصهرت وتخلقت عملاقا شامخا لم تُخِفه التهديدات ولم تغره الإغراءات.

عملاقا شامخاً هازئا بكل وعدهم ووعيدهم

معاناة شعبه كانت إطار وموضوع أشعاره حلق بها عاليا في الآفاق العالمية وذهبت به إلى سجل الإبداع والخلود فكانت درّته :

" بطـــاقـــة هويـــة "

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفا

وأطفالي ثمانية

أسل لهم رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر

ولا أتسول الصدقات من بابك

ولا أصغر

---

* ناصيف إميل، اروع ما قيل في الوطنيات، ص ٥٣ .

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب

سجل

أنا عربي

أنا أسم بلا لقب

صبور في بلاد ما فيها

يعيش بفورة الغضب

جذوري

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب

سجل

أنا عربي

سَلَبْت كرومَ أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا ولكل أحفادي

سوى هذه الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم كما قيلا

إذن

سجل برأس الصفحة الأولى

انا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذار حذار من جوعي

ومن غضبي

أما يافا فقد أبحر إليها بزورق من قريظه وشراع خفاق، قلبه النابض بحبها أبدا.

يـــا يـافـــا

أحـــج إلـيـــك يـــا يـــافـــــــــــــــــا

مــــــعـي أعـــــــراس بيــــــــارة

فــنــاديـهـــــــــــــا عــن المـيــنــاء

عــن المــيــنــاء نــاديـهـــــــــــــا

إلـى أوتـار قـــــــــيـــــــــثـــــــارة

لـنـحي ســـــــهــــــرة الحــــــارة

وشـــــــــــــوق الحـب لـلـحـنـاء

٥ - هارون هاشم رشيد

من أبناء غزة الميامين ولعمري أصبح الإنتماء لغزة شهادة ميلاد خاصة ومدعاة فخار.

عاصر العسف كله فهو من مواليد عام ١٩٢٧ م. عاش النكبة بكل أهوالها وويلاتها والكوارث.

تحرقت نفسه بكل جرائم الإستعمار البريطاني والحقد الصهيوني وانصهرت شعرا في بوتقة هذه المآسي، فكان من الرواد الاوائل الذين أشهروا الشعر ألوية مقاومة ورماح نضال ولا زال على العهد .

مع الغربـــاء*

لماذا ... ... ؟

نحن يا أبت ... ... ؟

لماذا نحن أغراب ... ... ؟

أليس لنا بهذا الكون أصحاب وأحباب ؟

أليس لنا أخِلاَّء ؟

أليس لنا أحباء ؟

لماذا ... ... ؟

نحن يا أبت ... ... ؟

لماذا نحن أغراب ... ... ؟

أبي ...

قل لي بحق الله

هل نأتي إلى يافا ؟

---

* جميل بركات، فلسطين والشعر، ص ٣٠٥ .

فإن خيالها المحبوب في عيني قد طاف

اندخلها أعزاء

برغم الدهر ... أشرافا ... !؟

يجيب الأب على تساؤلاتها

سنُرجع ذلك الوطن

فلن نرضى له بدلا

لنا أمل سيدفعنا

إذا ما لوح الثأر

فصبرا ... يا أبنتي ... صبرا

غداة غد لنا النصر

٦ - محمود الروسان

ابن إربد عروس شمال الاردن وقلعة عروبته. ولد عام ١٩٢٢ م. في بداية عهد الإنتفاضات الوطنية. دخل مدرسة الشعر من " فوهة بندقية " فقد كان عسكريا عربيا في نشأته وثقافته. خاض فلسطين مقاتلا كما يكون الحر الأبي، وكان بإمكانه أن يستمتع بالهوامش لكنه سبح في الخضم ضد التيار وذاق النفي والإغتراب .

كيف ننسى*

" يا بني العرب وآساد البطاح

ياحماة الدار، والحق الصراح

هتف الداعي، ونادانا السلاح

فمتى يطرب من نادى الجواب

كيف ينسى شط " يافا " وصفد

وانتحاب " القدس " والطير الغرد

والمآسي كيف يحصيها عدد

في أديم، كله تبر مذاب

ما " فلسطين " سوى قلب العرب

---

* جميل بركات، المرجع السابق، ص ٢٧٠ .

٧ - فدوى طوقان

إبنة نابلس مارست الوطنية شعرا حقبة بعد أخرى فلم تلن لها قناة بل زادتها كوارث شعبنا إصرارا ومضاء.

حريتي

سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل *

في الأرض في الجدران في الأبواب في شرف المنازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق

لن أبكي

على أبواب يافا يا أحبائي

وفي فوضى حطام الدور

بين الردم والشوك

وقفت وقلت للعينين : يا عينين

قفا نبك ...

٨ - محمد العدناني

ابن جنين " ١٩٠٣ لكنه اتخذ يافا موئلا حتى غادرناها عام النكبة .

كان الشعر ملء حياته والوطنية عماد شعره. كان قوميا وحدويا، تجاوز كل حدود الأنانيات .

له شعر جزل وفير لكن أغلبه غير مطبوع . وقد شدا ليافا الكثير إذ قال في ديوانه اللهيب ص ٤٩:

زهر البرتقال صير يافا ... درة الكون في الربيع الزاهر

ما أتاها نيسان إلا تمنى ... أبد الدهر، أن لا يغادر

فجر العروبة **

لا تخطبوا اليأس،إن اليأس قتال ... وللموا العزم فالأحداث أشكال

ولا تخافوا الردى يجتث معْوَلُهُ ... أصولكم ولكم في الأرض آجال

ليهنىء العرب هذا العيد مؤتلقا ... كالصبح حف به يمن وإجلال

ويا رجالاتنا دامت مراجلكم ... تغلي بها همم شم وأعمال

ويا شباب الحمى! يافا قد ازدهرت ... بكم وأورق في أرجائها الغال

* جميل بركات، المرجع السابق، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

** محمد العدناني ، ديوان " الروض " جزء ٥ من العدنانيات ، ص ٨٠ ،

٩- محمود عبد الحميد الافغاني*

ابن يافا البار (١٩١٢ - ١٩٧٨) وشاعر شباب فلسطين كما لقب بإجماع القاصي والداني.

درس الابتدائية نظاميا ثم تدرج على ايدي نخبة من علماء اللغة والأدب فتمرس بهما.

شاعريته فطرية ،كذلك وطنيته. انغمس في الغليان الوطني الذي كان يلف فلسطين وعاصر الأحداث بلا انقطاع متأثرا بها ومؤثرا مشاركا فيها بشعره في المناسبات الوطنية والقومية.

تعرض للنفي والإضطهاد من قبل المستعمر البريطاني.

شعره كخط حياته لون واحد يفرض نفسه على كل ما نظم وشاد وأنشد.

طبع الجزء الاول من ديوانه فجاء بيرقا خفاقا زاخرا بكل الأحاسيس الوطنية الجياشة التي التاع بها الشاعر كل يوم من أيام حياته ومن أولى صفحات الديوان حتى الأخيرة.

قضى سني الاغتراب عن يافا في مدينة السلط وسماها "صومعة الحيرة " ومنها كان ينشر تغاريده في الصحافة اليومية والمجلات الادبية وإذاعة الأردن كأني به نصب نفسه مؤذنا يدعو الشعب كل يوم إلى تذكر الوطن السليب.

أما يافا فكانت منارة شعره منها يبحر وبها يسترشد واليها يعود طياة السنين وعبر ما صاغ من قريظ. ونقدم للقارىء هنا مختارات من قصائده :

يـــافـــا

١٩٤٩

يافا ذكرتك فاستفاضت أدمعي ... وذكرت أمسك فاستثار غرامي

يافا ترى يوما أراك بأعيني؟ ... أم يا ترى ألقاك بعد حمامي

يا والدي إما قضيت مشردا ... فادفن بيافا ثم بعض عظامي

فلعلني بعد الممات أزورها ... فيطيب فيها مرقدي ومقامي

قسما بيافـــا يا وطن

١٩٤٩

أنا، ما نسيتك يا وطن ... رغم النوائب والمحن

رغم الدسائس، والفتن ... رغم العواذل والزمن

عزمي وحقك، ما وهن ... انا لست أنسى لا ولن

قسماً ... ... بيافا يا وطن

وطني وذكرك، بلسمي ... ودماء جرحك، من دمي

جرعت، كأس العلقمي؟ ... من كل وغد، آثم

حاولت، شرح تألمي ... لكن ما ئي، في فمي!

فافهم فديتك يا وطن

---

* محمود عبد الحميد الأفغاني ، ديوان الافغاني الجزء الاول مصدر كافة قصائد هذا البحث وهي كالتالي حسب ما اوردناه من الصفحات ذوات الارقام : ١٩، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٥٥، ٩٥ .

قسماً ... ... بيافـا يا وطن

انا قـــد أظل مـــشــــردا أنـا قـــد أبيت مــســـهــــدا

أنا قـــد أســـاق إلى الردى لكن ... ســتـبـــقى خـــالدا

دوما ... بقلبي يا وطن

وطنـــي
١٩٥٠

وطني ... ... لقد عصفت رياح القدر ... ... فاصمد يا وطن

وطني ... ... لقد خان الزمان. وخان ... ... أذناب الزمن

قسما بزهر البرتقال

وببحر يافا الساحر

– – – – – –

سأظل ... باسمك جاهرا

رغم الأنوف ... مكابرا

ليظل ذكرك، عاطرا

حتى ... أدرج بالكفن

لا عيد إلا في مرابعنا
١٩٥٥

يا عيد ويحك قد جددت لي ألمي فهاج ما قد خبا في القلب من ضرم

لم أنس أمسك يا يافا وما برحت ذكراك ملىء خيالي دائما وفمي

فأنت لحن نشيدي حين أرسله وانت قيثارة الإلهام في كلمي

يا عيد لا، لم يهن عزمي، وما وهنت عزيمتي رغم سكني الكوخ والخيم

الدهر يومان
١٩٥٣

أثرت يا عيد ، أحلامي ، وأشجاني فهجت في صباباتي وتحناني

قل لي بربك، هل يافا كما سلفت؟ أوأنها قد غدت، في طي نسياني

أواه "يافا" وآه اليوم يا بلدي لا بارك الله في من فيك أشقاني

أقسمت بالبحر يا "يافا" بشاطئه أقسمت بالبحر لا "بالقاع" و"البان"

"يافا" جنان خلود الله لست أرى يوما كيافا، ولو ... في العالم الثاني

الفصل التاسع

يافا الثورة والانتفاضات

استدراك

بادىء ذي بدء، يقرر المؤلف أنه لا مجال لفصل دور خاص بيافا مستقل عن ادوار الشعب العربي الفلسطيني حين يدور البحث والنقاش عن قصة الصراع العربي الصهيوني. لا بل يصعب فرز نضال عرب فلسطين عن مجموع النضال العربي وطموحاته في التحرر والوحدة والنماء الاقتصادي والاجتماعي.

ولا نكون بعيدين عن الحقيقة إن قلنا إنه يتعذر بحث الصراع العربي بكامله دون الاخذ بعين الإعتبار عناصر القوى العالمية ذات العلاقة بهذا الجزء من المجتمع البشري.

لذا سيكون بحثنا شاملاً لمظاهر الصراع العربي الفلسطيني ضد الغزو الاستعماري والصهيوني مع الاشارة إلى أدوار يافا في هذا الصراع.

ولا يغربن عن البال أن هكذا بحث يحتاج لأكثر من كتاب وأكثر من مؤلف واحد لإيفائه حقه وأن تخصيص فصل في كتاب لا يمكن أن يلم إلماما كافيا بهذا الموضوع.

لذا سوف نقتصر في هذا البحث على الإشارة إلى الملامح الرئيسة والخطوط العريضة دون التفاصيل كي نضع القارىء في المناخ الحقيقي لجوهر هذا الصراع .

خميرتا ضلال

نحن عرب فلسطين ولدنا وعشنا وتشردنا ونحن مخدرون بخميرتي ضلال ظللتا عقولنا وأبصارنا بغشاوة أفقدتنا التوازن وصفاء التفكير.

البؤرة الأولى "أولاد الميتة"

اعتقدنا أنهم " اولاد ميتة" نقصد أنهم جبناء لا يستطيعون أن يواجهونا وجها لوجه وفردا لفرد وأن الواحد منا يستطيع أن يندفع من حي المنشية شمال يافا حتى شارع ديزنكوف وسط تل ابيب دون ان يجرؤ أن يتصدى له أي منهم.

اعتقدنا، وسلكنا بموجب هذا الاعتقاد، أن الشجاعة الفردية هي مفتاح القضية ونسينا أن الشجاعة الجماعية وهي مقدرة المجتمع على الانتظام وتعبئة كافة الموارد الخاصة والعامة هي الشجاعة الحقيقية، ولكننا للأسف لم نستوعب هذا المفهوم حتى بعد وقوع النكبة.

البؤرة الثانية : الإتكالية

بعد فشل عرب فلسطين(المتوقع) في التعامل مع أقوى قوتين على ظهر الأرض في مرحلة الحرب العالمية الأولى ألا وهما "بريطانيا العظمى" كما كانت تدعى في ذلك الوقت و"الصهيونية العالمية" ، راح عرب فلسطين يعلقون الآمال على الدول العربية والأمة العربية، والجيوش العربية (وهو ثالوث سراب) كي يكونوا بديلا عنهم في مقارعة هاتين القوتين.

في هذا السياق يقول شيخ المناضلين الفلسطينيين الأستاذ بهجت أبوغربية في كتابه "في خضم النضال العربي الفلسطيني "ص ١٥٠. ما يلي " سيطر علينا منذ البداية، الاعتقاد بأن جيوش الدول العربية ستقف إلى جانبنا". وحين وصل الصراع مع الصهيونية ذروته إبان أحداث عام ٤٧ - ١٩٤٨، كنا متشوقين إلى اليوم الذي تدخل فيه الجيوش العربية فلسطين لتصفي الوجود الصهيوني. وغادرنا بيوتنا ومدننا وقرانا ونحن تحت وهم أنها إجازة أسبوعين نعود بعدها إلى ديارنا.

في هذا الصدد يذكر المصدر المذكور أعلاه ص ٣٠٤ أن ملكا عربيا قال لوفد من اللجنة القومية لمدينة القدس زاره يوم ٢٤ / ٤ / ١٩٤٨ ليحثه أن يرسل جيشه إلى القدس:" ... فإني مستعد لخوض المعركة وحدي مستعينا بالله عز وجل (..) . أنا لا اريد حصر جيوشي في أسوار القدس، انا أريد أن أقطع رأس الحية في تل أبيب".

وقد صدر عنه نفس المعنى إلى عزام باشا أمين عام جامعة الدول العربية حين زاره في النصف الثاني من شهر أيار / مايو ١٩٤٨ لنفس الغاية[١٣١] . أين التصريحات من الواقع المر؟؟

مقاومة الاستعمار والصهيونية

العهد العثماني

قبل عام ١٨٠٠، أفاد الرحالة والزوار الغربيون لمدينة يافا والأراضي المقدسة أنه لم يكن في المدينة أي يهودي مستقر بشكل دائم، وفي عام ١٨٨٠، ذكر الرحالة الامريكي(Lynch) أنه كان في يافا حوالي ثلاثماية يهودي من أصل مجموع السكان في ذلك الحين ثلاثة عشر الفا (أي حوالي ٢ ٪)[١٣٢]

خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ١٨٧٥ - ١٩٠٠ بدأت موجة الاستيطان الصهيوني الأولى إلى فلسطين وكانو يفدون إلى البلاد باسم السياحة والزيارة الدينية كما باشروا في شراء الأراضي الزراعية.

١٣١- العارف عارف، النكبة ١٩٤٧ - ١٩٥٥، ج٢، ص ٤٥١ .

١٣٢ - الطراونة محمد سالم غشيان، المرجع السابق . ص ٤٦١ .

كان لليهود في هذه المرحلة نفوذ كبير في العاصمة العثمانية اسطنبول وذلك عبر أهم صحيفة إخبارية يومية كان يمتلكها يهودي. كذلك كانوا يديرون مايعرف بمدارس (الأليانس) وهي مدارس كانت تقبل أبناء الطبقة المترفة في البلاد، وكان يقبل عليها أهل الحل والربط من رؤساء ووزراء وقادة. أما أهم مظاهر قوتهم فكانت مقدراتهم المالية وحاجة الخليفة لهم لساعدته في الحصول على القروض من البنوك الأوروبية.

هدية الخليفة إلى الصهيونية [١٣٣]

في هذه المرحلة منحهم الخليفة العثماني عام ١٨٧٠ أراض زراعية (حوالي ٢٦٠٠ دونم) إلى الشرق من يافا على طريق يافا القدس، فأنشأوا عليها مدرسة زراعية هي (مزرعة نيتير) على اسم مؤسسها (Carl Netter) أو مكفة يسرائيل (ينبوع اسرائيل)[١٣٤] كما يسمونها. هذه المزرعة أدت دورا أساسيا خلال نكبة عام ١٩٤٨ بإغلاق المنفذ الشرقي لمدينة يافا مما ساعد على خنقها وهجرة أهلها، في نفس هذا العام، قام اليهود بتأسيس مستعمرة (ملبس) (بتاح تكفا) [١٣٥] ومعناها (باب الرجاء) إلى الشمال من يافا، وفي هذه المستعمرة في عام ١٨٨٦ ، وقعت أول مصادمات بين اليهود والمزارعين العرب الذين طردوا من أراضيهم.

عائلة سرسق

عام ١٩٠١ شهد مزيدا من الاضطرابات خاصة بعد أن أُجْلي المزراعون الفلسطينيون عن اراض شاسعة باعتها عائلة سرسق اللبنانية في منطقة طبريا.

لقد بلغ عدد المستعمرات اليهودية التي تم تأسيسها خلال هذه الفترة ١٨٧٠-١٩٠٩ ثماني مستعمرات[١٣٦] بما فيها مدينة تل أبيب التي تأسست عام ١٩٠٩ [١٣٧].

بداية التذمر

نتيجة لكل هذا، ساد العرب الفلسطينيين بعامة، واهل يافا بخاصة، شعور بالخوف والريبة نتيجة تكاثف الوجود اليهودي في فلسطين.

---

١٣٣ - الدباغ مصطفى مراد، المرجع السابق، ص ٦١٦ .
١٣٤ - الصايغ انيس، المرجع السابق، ص ٣٠٠ .
١٣٥ - الطراونة محمد سالم غثيان، المرجع السابق، ص ١٠٨ .
١٣٦ - الطراونة محمد سالم غثيان، المرجع السابق، ص ٤٧٣ .
١٣٧ - الصايغ انيس، المرجع السابق، ص ٩٤ .

في عام ١٩١١ قدم أهالي يافا احتجاجاً إلى (الباب العالي) أي رئاسة الوزراء في اسطنبول ضد الهجرة اليهودية وأعربوا عن مخاوفهم الكبيرة تجاه هذه الظاهرة. كذلك وفي نفس العام قدم نائب يافا في (مجلس المبعوثان) في اسطنبول. السيد (حافظ السعيد) اقتراحا بمنع دخول اليهود وتملكهم الأراضي الزراعية في فلسطين.

استجابت السلطات العثمانية لهذا الطلب لكنها لم تلبث أن تراجعت عن موقفها هذا نتيجة ضغط الدول الأوروبية وامريكا والقوى اليهودية.

كما تأسس في يافا الحزب الوطني (١٩١١) وطالب بوقف الهجرة اليهودية ومنع تملك اليهود للأراضي، وبدأت الصحف المحلية، جريدة فلسطين ١٩٠٩، بنشر مقالات عن البرنامج الاستيطاني الصهيوني واخطاره على عرب فلسطين، وكذلك الحال بالنسبة لصحيفة الكرمل/حيفا.

العدد الفعلي لليهود في فلسطين

رغم كل هذه الجهود المحمومة بلغ عدد اليهود في فلسطين مع بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) حوالي ستة وخمسين ألفا.

العهد البريطاني

نذير الشؤم

بتاريخ الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ أصدر وزير خارجية بريطانيا (بلفور) رسالة إلى اللورد روتشلد من أكبر أغنياء اليهود في أوروبا والعالم رسالة عرفت فيما بعد باسم (وعد بلفور) يعلن التزام بريطانيا بمساعدة اليهود لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين

في هذا التاريخ لم تكن بريطانيا قد احتلت فلسطين بعد. إذ إن قواتها دخلت يافا في ١٩١٧/١١/١٦[١٣٨]، أي أنها وهبت شيئا لا تملكه لمن لا يستحقه، كما قيل في وصف الوعد المشؤوم الذي تلقاه عرب فلسطين نذيراً للشؤم وبمنزلة اعلان حرب على وجودهم بكامله، ودارت اتصالات بين قادة الثورة العربية الكبرى وبين بريطانيا وصدرت احتجاجات شعبية جمة في كافة انحاء البلاد، لكن (تشرشل) وزير الخارجية البريطاني أثناء زيارة للقدس عام ١٩٢٢ قال (نحن هنا بالقوة العسكرية للجيش البريطاني).

---

١٣٨ - الدباغ مصطفى مراد، المرجع الساق، ص ٨٨ .

في يافا أولى التصادمات مع الصهوينية ١٩٢١ [١٣٩]

في الأول من أيار ١٩٢١ قام اليهود في تل أبيب بتظاهرة احتفالاً بعيد العمال ودخلوا حي المنشية فتصدى لهم أبناء الحي وقامت صدامات انتشرت في غالبية انحاء فلسطين ودامت أسبوعين سقط خلالهما ثمانية وأربعون شهيداً نتيجة تدخل قوات الاحتلال البريطاني بكل ثقلها وفرضت غرامات مالية على المدن والقرى وأتلفت المزروعات والمؤن.

اضطرابات عام ١٩٢٤ [١٤٠]

خلال احتفالات اليهود بعيد المساخر في شهر آذار استفزوا العرب باتخادهم لباس رجال الدين الاسلامي والاستهزاء بها فتصادموا مع العرب ووقع عدد من القتلى والجرحى من الطرفين.

المؤتمر الوطني السادس ١٩٢٤

عقد هذا المؤتمر في مدينة يافا في شهر حزيران بعد أن عرضت بريطانيا مشروع معاهدة على الشريف حسين بن علي مقترحة استقلال دول عربية معينة مستثنية فلسطين (وعقد معاهدات صداقة مع بريطانيا) وبعد بحث كافة جوانب هذا الاقتراح قرر المؤتمر رفضه ومقاومته.

ثورة البراق ١٩٢٩

بدأت في القدس وانتشرت في كافة أنحاء فلسطين نتيجة تسيير اليهود مواكب شبه عسكرية في مدينة القدس والتظاهر قرب حائط البراق واستفزاز العرب وكشف اليهود بهذه الاستعراضات تنظيماتهم العسكرية، فثارت الجماهير العربية الفلسطينية وقامت جماعات من البسطاء مسلحة بالعصى والسكاكين يدفعهم شعورهم الوطني بمهاجمة الأحياء اليهودية وتدخلت القوى البريطانية.

حصلت التصادمات في القدس ثم انتشرت في كافة أنحاء فلسطين وأسفرت عن واحد وتسعين شهيداً عربياً ومئة وثلاثة وثلاثين قتيلاً يهودياً. وفي الخليل هوجم الحي اليهودي وقتل ستون يهوديا، انتهت هذه الثورة بإصدار احكام إعدام بحق ثلاثة شبان فلسطينيين اعدموا في عام ١٩٣٠، فارتجت البلاد من أدناها لأقصاها وأدخلت بريطانيا الحزن والأسى في كل بيت. كذلك أضافت

١٣٩ - السفري عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص ٧٣

١٤٠ - الدباغ مصطفى مراد، المرجع السابق، ص ٢٦٣ .

بريطانيا الى أحكامها العادلة جدا احكاما بالسجن على ألف ومئة وثمانية وثمانين عربياً ما بين المؤبد والسجن خمسة عشر عاماً [١٤١] ... الخ بينما حكمت على يهودي واحد بالإعدام ثم خفض إلى السجن سبع سنوات.

قتل عائلة عربية بكاملها

هذا اليهودي كان شرطيا رسميا في قوة بوليس فلسطين دخل بسلاحه الحكومي ومعه حشد من اليهود بيت (الشيخ عبدالغني عون) إمام مسجد ضاحية ابوكبير في يافا فقتله وجميع أفراد عائلته ومثل بجثثهم بما فيهم طفل عمره ثلاث سنوات. وقد تدخل المندوب البريطاني فخفف حكم الإعدام الصادر في حقه الى السجن سبع سنوات [١٤٢].

مؤتمر الشباب العربي الأول ١٩٣٢

عقد في يافا في بداية هذا العام لتدارس أوضاع البلاد وتعبئة الجهود للمقاومة حيث تبنى مبدأ اللا تعاون مع السلطة البريطانية وطلب إلى الشعب عدم دفع الضرائب وغير ذلك من الواجبات.

سلسلة مظاهرات دورية

دعت اللجنة التنفيذية التي تمثل مختلف الأحزاب العربية إلى تنظيم سلسلة من المظاهرات بالتتابع تشمل كافة المدن الفلسطينية، وكانت أولى المظاهرات في مدينة القدس تلتها بعد أسبوعين مظاهرة في يافا بتاريخ ١٩٣٣/٣/٢٧، حيث احتشد اكثر من خمسين ألف مواطن من كافة مدن وقرى أجزاء فلسطين قاد المظاهرة (موسى كاظم باشا الحسيني) رئيس اللجنة التنفيذية للأحزاب العربية، حيث تعرضت لها القوات البريطانية ووقع حوالي مائة شهيد وأكثر من مائتي جريح وأصيب رئيس اللجنة بجروح بالغة أقعدته الفراش لمدة عام توفي بعدها نتيجة لهذه الإصابات.

وانتشرت بعدها المظاهرات والتصادمات في القدس ونابلس والخليل.

ميناء يافا وانكشاف تهريب السلاح ١٩٣٤

أثناء تفريغ شحنة براميل أسمنت عوملت معاملة خاصة بإشراف سلطات الميناء البريطانية، انكسر

١٤١ - أبوغربية بهجت، المرجع السابق، ص ١٨ .

١٤٢ - الدباغ مصفى مراد، المرجع السابق، ص ٢٦٥ .

أحد البراميل فوجد بداخله صندوق يحوي مسدسات من بلجيكا وذخائر ومعنون لإحدى المستعمرات الصهيونية.

تداعى الفلسطينيون للاحتجاج وقامت اضطرابات ومظاهرات خاصة من عمال الميناء مما أجج الشعور الوطني في كافة ارجاء البلاد.

ثورة الشيخ عز الدين القسام ١٩٣٥

الشيخ عزالدين القسام من ابناء اللاذقية تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده داعية التحرر والتجديد الإسلامي في مصر، وهو من أبطال الثورة السورية عام ١٩٢٢ . انتقل إلى حيفا لأن الاستعمار الفرنسي كان يلاحقه في سوريا، وبدأ تنظيم وتوعية بعض الشبيبة العربية في حلقات سرية بقصد التدريب على السلاح لأنه كان يؤمن ان الثورة المسلحة هي الطريق الوحيدة لإيقاف مصائب الصهيونية والاستعمار البريطاني.

وفي تشرين الثاني ١٩٣٥ أعلن الثورة في جبال يعبد قضاء جنين على أمل ان تنتشر الثورة في كافة انحاء فلسطين إلا أن القوات البريطانية عاجلته بالحصار وفرضت عليه معركة غير متكافئة فاستشهد في ١٩٣٥/١١/١٩ .

هذه الثورة كانت الشرارة التي حضرت فلسطين لثورة ١٩٣٦، إذ بدأ المواطنون شراء السلاح والذخائر والاستعداد للمواجهة الكبرى التي بات واضحا أن لا مندوحة عنها.

لقد كان إقبال الشعب على التسلح فرديا لم ينتظر تعلميات قيادته، وتكونت مجموعات سرية صغيرة مسلحة هنا وهناك دون سابق تخطيط ثم تلاقت وتعارفت أثناء الثورة.

ثورة ١٩٣٦ (المرحلة الأولى ٤/٢٠ - ١٩٣٦/٨/٣٠)

كانت البداية حركة شعبية دون علم أي قيادة إذ قتل يهودي على طريق نابلس طولكرم في ١٩٣٦/٤/١٥ ثم بدأت التصادمات وبدأ الإضراب الكبير في يافا في ١٩٣٦/٤/٣٠ وانتشر بعدها الى بقية مدن وقرى فلسطين وتكون نظام شعبي دقيق للإشراف على الإضراب والمقاومة الوطنية باسم اللجان القومية فأصبح هناك لجان إسعاف ولجان مقاطعة البضائع اليهودية، ولجان معونة اجتماعية في المدن والقرى العربية الرئيسة.

في ١٩٣٦/٤/٢٥ تشكلت الهيئة العربية العليا كقيادة لعرب فلسطين من الزعامات التقليدية ورؤساء الاحزاب وانتخب الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الحزب العربي الفلسطيني رئيسا لها وبقي كذلك حتى وفاته عام ١٩٧٠ .

كانت القرى بؤرة الثورة ووقودها وتحمل الفلاحون العبء الاكبر من حيث تمويل عمليات التسليح وتقديم الرجال وتموين الثوار.

ولم تقم القيادة (الهيئة العربية العليا) بأي جهد لتنظيم عمليات التسليح إذا كان يتم شراء السلاح من شرقي الأردن بمبادرات فردية، وكانت نسبة كبيرة من هذا السلاح قديم وذخائره غير صالحة.

نهب مراكز الشرطة

اصبح الأسلوب الشائع للتسلح مهاجمة مراكز الشرطة والاستيلاء على أسلحتها، أما العمليات العسكرية فقد شملت مهاجمة القوات المسلحة وخاصة الدوريات وقطع أسلاك الهاتف ومهاجمة القطارات والجسور ونسفها ونسف أنابيب بترول العراق - حيفا.

رد فعل بريطانيا

عمدت بريطانيا إلى المزيد من أعمال البطش والتنكيل بالقرى والمدن العربية فزادت أعمال التفتيش والتطويق (الحصار) وأصبح فرض العقوبات الجماعية والغرامات المالية أمر شبه عادي وشبه يومي.

في يافا فرضوا منع التجول وجمعوا كافة الرجال في أرض ابونجيب وسط حي العجمي وتركوهم كما هي العادة واقفين في شمس الصيف الحارة طول النهار دون أن يسمحوا لهم بالجلوس او بشربة ماء وكان بينهم الأولاد اليافعون وكبار السن سواء بسواء.

مصانع السلاح

حين اكتشف العرب استيراد وتهريب الاسلحة لحساب اليهود في ميناء يافا. اقترحت الحكومة البريطانية على الوكالة اليهودية استيراد مصانع لإنتاج السلاح محليا لأن عمليات الاستيراد عادة تنكشف وهذا الذي حدث إذ استورد اليهود مصنعين لإنتاج الاسلحة الخفيفة والمسدسات.

الانتقام والتنكيل

فشلت بريطانيا في خنق الثورة او تخفيف حدتها على الأقل فعمدت إلى تقطيع أوصال البلدة القديمة في يافا التي كانت ملجأ الثوار إذ لم يكن بالامكان دخول السيارات والآليات إليها.

نسفت بريطانيا يوم ١٩٣٦/٦/١٨ بالديناميت وبالقنابل من الطائرات مئتين وعشرين منزلا وتشققت

مئات اخرى وشُرّد ستة آلاف مواطن أصبحوا بلا مأوى فازداد حقد العرب وتصميمهم على المقاومة.
اشترك بهذه (العملية التجميلية) كما سمتها سلطات الاستعمار أكثر من ألفي جندي بريطاني.
كذلك حاولت بريطانيا إغلاق مورد السلاح من شرق الأردن فشددت الرقابة على الطرق الداخلية في الأردن وعلى مراكز الحدود.

وعمدت إلى حرب الإشاعات لتخوين أفراد من القيادة وتفريق الشعب عن قيادته.

استمرت الثورة صامدة منتصرة واستمر الاضراب ليكون أطول إضراب في التاريخ قام به شعب من الشعوب.

الثورة امتدت لتشمل كافة أرجاء فلسطين، في الريف وخاصة مناطق الجبال التي كانت مسرحا لحرب عصابات. أما في المدن فكانت حرب شوارع تمارس الكر والفر فاليوم في مدينة أو حي وغدا في مكان آخر وهكذا. وخاضت الثورة بالإضافة إلى الغارات الخاطفة على مراكز الشرطة والجسور وخط السكة الحديدية عدة معارك ضد الجيش البريطاني كانت تستمر لساعات طويلة تقاوم المدرعات والطائرات ومئات الجنودالبريطانيين.

بريطانيا بكل قوتها العسكرية لم تنجح في كسر شوكة الثورة او إصابتها إصابة قاتلة لذا لجأت للعقوبات الجماعية ضد السكان المدنيين كما أسلفنا سابقاً.

سعيد العاص وعبد القادر الحسيني [١٤٣]

سعيد العاص بطل من أبطال العروبة وقائد من قادة الثورة السورية لعام ١٩٢٢ في منطقة حماة، اكتسب خبرة وضراوة في مقاومة الاستعمار وحاز ثقة الجماهير وسمعة قيادية طيبة، التقى المناضل المعروف عبدالقادر الحسيني ابن موسى كاظم باشا الحسيني في منطقة جبال بيت لحم قرب قرية الخضر وباشرا بتنظيم فرق الثوار ومهاجمة قوى الاستعمار البريطاني وخاصة خطوط السكك الحديدية والدوريات، لكن بريطانيا بتقييمها الجاد لإنجازات هذين القائدين استعجلت المواجهة قبل أن يشتد عودهما ويستقطبان قوى جماهيرية كبيرة فقامت بتاريخ ١٩٣٦/١٠/٤ قوة عسكرية تقدر بثلاثة آلاف جندي بريطاني بتطويق منطقة الخضر / حوسان واشتكبت مع الثوار في معركة كان الفارق فيها ألف إلى واحد فاستشهد سعيد العاص واسر عبدالقادر الحسيني وهكذا انطوت صفحة من انصع صفحات النضال العربي صفحة سعيد بن العاص، اما عبد القادر الحسيني فقد استطاع فيما بعد الفرار إلى خارج فلسطين.

---

١٤٣ - ابوغربية بهجت، المرجع السابق، ص ٨٤ .

ثورة ١٩٣٦ المرحلة الثانية (آب / اغسطس - منتصف تشرين اول / أكتوبر ١٩٣٦)

اتسع نطاق الثورة وتميزت بمعارك المواجهة مع الجيش البريطاني واستعمال الطائرات بكثافة. أما من جهة الثوار فقد توحدت القيادة تحت إمرة فوزي القاوجي القائد السوري الأصل، وأعيد تنظيم صفوف الثوار فأصبح هناك رديف (احتياط) دائم يحل محل القوى العاملة او ينزل إلى الساحة وقت المعارك الكبيرة وقد سجلت الثورة في هذه المرحلة انتصارات كثيرة وأسقطت عددا من الطائرات. ولم يستطع الجيش البريطاني رغم النجدات الكبيرة وتغيير كبار القادة من السيطرة على الثورة او التغلب عليها. في نهاية آب ١٩٣٦ تمت وساطات من الأمير عبدالله والملك عبدالعزيز آل سعود والملك غازي لتهدئة الاوضاع، وأرسل نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق للتوسط وفي اكتوبر ١٩٣٦ وافقت الهيئة العربية العليا على نداء الملوك العرب وأوقفت الثورة في ١٩٣٦/١١/١٢، وبعد أخذ ورد وافقت كذلك على مقابلة لجنة (اريل بيل) التي أرسلتها بريطانيا بعد ان فشلت جهودها العسكرية وبعد ان ضغط الملوك العرب ليقنعوا اللجنة العربية العليا إيقاف الثورة، أوصت اللجنة في عام ١٩٣٧ إنهاء الانتداب وإنشاء دولة يهودية وأخرى عربية وإبقاء القدس وبيت لحم والناصرة تحت الانتداب، رفض العرب التقرير والتقسيم كما ان الحكومة البريطانية بعد ان ضعفت الثورة عام ١٩٣٧ عادت فسحبت موافقتها على مشروع التقسيم واندلعت الثورة من جديد أشد وأعنف من السابق.

خلال عام ١٩٣٨ أصبحت مناطق كثيرة في فلسطين بما فيها البلدة القديمة في القدس وكذلك مدن مثل بئر السبع والخليل وجنين وطبريا مناطق محررة ولا وجود لبريطانيا فيها وصار للثورة محاكمها ولجانها الإدارية.

خاضت الثورة معارك كبرى اشتهر منها سبع كان يشترك في الواحدة منها ما بين ألفين إلى خمسة آلاف جندي بريطاني تساندهم الطائرات والمدفعية الجبلية والسيارات المصفحة.

وبالمقابل فقد سجل عام ١٩٣٩ زيادة كبرى في أعمال البطش والتنكيل والتعذيب والانتقام كما ازداد تدهور الأوضاع الاقتصادية بعد ثورة طالت أكثر من ثلاث سنوات فانخفضت العمليات العسكرية إلى تسعمائة عملية عام ١٩٣٩ مقارنة بحوالي خمسة آلاف عملية خلال عام ١٩٣٨ [١٤٤]

واخيرا بدأت علائم الحرب العالمية الثانية تبدو في الأفق فأصبح لزاما على بريطانيا إنهاء الثورة الفلسطينية بأي ثمن وبأسرع وقت ممكن.

---

١٤٤ - ابو غريبة، بهجبت، المرجع السابق، ص ١٣٦ .

تخدير جديد

في نهاية عام ١٩٣٨ دعت بريطانيا إلى مفاوضات تعقد في لندن وأطلقت سراح الزعماء العرب الفلسطينيين من اعضاء الهيئة العربية العليا المنفيين خارج البلاد أو المعتقلين. واستقبلتهم في لندن للتفاوض وأعلنت إلغاء مشروع التقسيم، وكان هذا بدء مهادنة العرب تمهيداً لايقاف الثورة والتفرغ للحرب العالمية الثانية.

فشلت المفاوضات في لندن في الوصول إلى حل يتفق عليه العرب واليهود فأصدرت بريطانيا في أيار ١٩٣٩ مشروعا يقضي بإنهاء الانتداب وإنشاء دولة مشتركة بين العرب واليهود بعد عشر سنوات وتوقيع اتفاقية صداقة مع بريطانيا، كما وضعت برنامج هجرة يهودية إلى فلسطين يمتد خمس سنوات وحددت بيع الأراضي إلى اليهود.

كافة العرب رفضوا هذا الاقتراح الذي سمي فيما بعد الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ باستثناء الأمير عبدالله بن الحسين و(حزب الدفاع) المعارض (حزب آل النشاشيبي)

اندلعت الحرب العالمية الثانية في ايلول / سبتمر ١٩٣٩ وعندها ساد العرب شعور بأن مصير فلسطين سيتقرر تبعاً لنتائج هذه الحرب الكونية.

وهكذا توقفت الثورة بعد أن قدم العرب زهاء ثمانية آلاف بين قتيل وجريح.

العرب واليهود خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

الحال العربي الفلسطيني

أخلد العرب إلى الهدوء بعد استنزافهم في ثورة دامت أكثر من ثلاث سنوات تعرضوا خلالها لأبشع أنواع التنكيل والتعذيب والاضطهاد والتقتيل والإعدامات والنفي والتشريد وهدم البيوت وإحراق المؤن والارزاق، بريطانيا أقوى دولة استعمارية آنذاك جندت ما يزيد عن ثمانين الف جندي بطائراتهم ودباباتهم ومدفعيتهم لسحق حوالي سبعمائة ألف هم مجموع عرب فلسطين أي أكثر من جندي واحد لكل تسعة مدنيين غالبيتهم نساء وأطفال وشيوخ، ناهيك عن حوالي ستين الف[١٤٥] مسلح يهودي ما بين شرطة نظامية وحرس مستعمرات ومجندي الهاجاناة والعصابات السرية الأخرى، وذلك بموجب أرقامهم واحصائياتهم. أما المستر (إتلي) رئيس وزراء بريطانيا بعد الحرب مباشرة فقد قدر قوة اليهود المسلحة ب سبعين ألف مقاتل.

أُستنزف العرب اقتصادياً أيضاً، لذا انشغلوا بطلب الرزق خاصة وأن أبوابه قد أشرعت على مصراعيها نظراً لكثرة أعمال المجهود الحربي.

أما قيادة العرب فكانت إما مشردة منفية خارج البلاد أو مشلولة الإرادة والنشاط السياسي.

١٤٥ - زعيتر اكرم، المرجع السابق، ص ١٤٨ وص ١٨٣ .

النشاطات الصهيونية

أما اليهود فكان لهم ولقيادتهم شأن آخر بتشجيع ومباركة بريطانيا

انضم منهم حوالي سبعة وعشرين ألف متطوع إلى قوات الحلفاء وشاركوا في التدريبات وليس من الضروري في الأعمال الحربية، وأصروا فيما بعد على تكوين ماعرف بالفيلق اليهودي، حيث شاركوا في الحرب كمجموعة مستقلة متماسكة لها قيادتها وإدارتها وتدريباتها الخاصة. جاء هذا الإصرار عام ١٩٤٢، أي بعد أن تقررت نتائج الحرب وأصبحت واضحة للعين بانتصار الحلفاء واندحار دول المحور، لاغرو أن هذا الجيش بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان جاهزا ومستعجلا لفرض السيطرة اليهودية على الساحة الفلسطينية سياسيا وعسكريا.

كذلك كان هناك تنسيق عسكري واستخباراتي كامل بين اليهود وبريطانيا وقد عينت الحكومة البريطانية الخبير العسكري (وينجت) مدربا ومنسقا للنشاطات العسكرية اليهودية، وقد قام بإنشاء فرق يهودية خاصة للقيام بحرب عصابات فيما لو احتل الألمان فلسطين.

كما أنشأ لهذه الغاية سلسلة من المخابيء ومستودعات السلاح ومراكز الإسعاف والطوارىء وكل ما يلزم الآلة الحربية الحديثة مضافا لذلك تحسين مستوى تدريب منتسبي الهاجاناة نفسها.

التحالف مع الولايات المتحدة

لاحظ اليهود خلال الحرب العالمية الثانية رجحان كفة الحلفاء ضد قوى المحور (ألمانيا، اليابان وايطاليا) وكان قائد الحلفاء ومصدر قوتهم الولايات المتحدة الأمريكية، لذا نجد (دافيد بن جوريون) رئيس الوكالة اليهودية يسافر إلى امريكا في عام ١٩٤٢ حيث يعقد التحالفات مع مصادر القوى في الحزبين الرئيسين اللذين يتناوبان الحكم في أمريكا : الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري لدعم وجهات النظر الصهيونية، ويجند قوى الضغط والتأثير اليهودي لا لجمع المعونات المالية ليهود فلسطين فحسب، بل ولتهيئة التربة لخلق ما عرف فيما بعد بمؤسسات الضغط السياسي اليهودية في أمريكا وهي كثيرة جدا إلا أنها لم تلبث أن اتحدث في المؤسسة الشهيرة IAPAC.

النشاط الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانية

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية وتحديدا ابتدا من عام ١٩٤٤ بدأت الصهيونية تكشر عن أنيابها تجاه ربة نعمتها بريطانيا بعد أن وجدت سيدا ومساندا بديلا ألا وهي أمريكا.

قامت المنظمتان الإرهابيتان (الإرجون تسفاي لؤمي) و(شتيرن) بسلسلة من الأعمال العسكرية ضد الوجود البريطاني هدفت من ورائها إلى إلغاء الكتاب الأبيض والمشروع الذي تلاه واللذين التزمت بهما بريطانيا لتهدئة العرب.

كذلك كان من أهدافهم إسراع جلاء بريطانيا عن فلسطين لأنهم شعروا بقدرتهم على الاستيلاء على البلاد والتعامل مع العرب بمفردهم.

أهم الأعمال العسكرية ضد بريطانيا كانت :

١ - نسف خطوط السكك الحديدية التي يغلب عليها النقل والنشاطات الحربية.

٢ - محاولة اغتيال المندوب السامي البريطاني قرب القدس.

٣ - هجمات على أفراد القوات العسكرية البريطانية ومعسكراتها وطرق مواصلاتها.

٤ - نسف مقر القيادة البريطانية في أحد أجنحة فندق الملك داود في القدس مما أسفر عن مقتل حوالي تسعين مدنيا بريطانيا وعربيا.

٥ - اغتيال وزير التموين الحربي البريطاني(اللورد موين) في القاهرة.

٦ - اختطاف رئيس القضاة البريطانيين في تل أبيب وبعض الضباط الإنجليز وإعدام اثنين منهم شنقا.

٧ - نسف رئاسة البوليس البريطاني في حيفا

٨ - كما بذلوا جهودا مكثفة لتجنيد القدرات السياسية الأمريكية لصالحهم فتبنى مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيين قرارات بدعم وجهة النظر الصهيونية. وأذعنت بريطانيا لرغبتهم فتخلت عن سياستها في فلسطين وتوصيات الكتاب الأبيض وحولت القضية برمتها إلى الأمم المتحدة بعد أن نفذت ما التزمت به في وعد بلفور وهو : تهيئة الظروف المناسبة لخلق وطن قومي لليهود في فلسطين.

لابل إنها(كفت ووفت) من ناحية التزاماتها تجاه اليهود، وذلك بموجب الشق الأول من الوعد المشؤوم.

اما الشق الثاني فينص كالتالي : (وليكن معلوما أنه لن يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن).

يشهد تاريخ الجنس البشري أن بريطانيا لم تنس هذا الشق من وعدها ولم تهمله فقط وإنما بذلت أقصى ما تستطيع لسحق الوجود العربي في فلسطين وهو الغالبية العظمى للسكان، إذ كانوا حوالي ٦٨٩٢٧٢ عربي مقابل ٥٦٠٠٠ يهودي في عام ١٩١٤ أي أن نسبة اليهود كانت حوالي ٧,٨٪ [١٤٦].

---

١٤٦ - الحوت بيان نويهض، المرجع السابق، ص ٤٠٨ ، وفيما يلي تعداد اليهودي في فلسطين تقريبا

السنة	العدد	المصدر
١٨٠٠	٦٠٠٠٠	الحكومة العثمانية تقديرات Sachar كتاب تاريخ اسرائيل نيوريورك ١٩٨٢
١٨٥٠	١٧٠٠٠	الحكومة العثمانية تقديرات Sachar كتاب تاريخ اسرائيل نيوريورك ١٩٨٢
١٨٨٨٠	٢٥٠٠٠	الحكومة العثمانية تقديرات Sachar كتاب تاريخ اسرائيل نيوريورك ١٩٨٢

دور الولايات المتحدة الأمريكية العتيد

الولايات المتحدة الأمريكية لم تقصر من ناحيتها منذ البداية في تبني المشروع الصهيوني لأهداف خاصة بها داخلية وخارجية.

الرئيس (ويلسون) رئيس امريكا إبان الحرب العالمية الأولى وصاحب المبادىء الإنسانية العشرة استشير وبارك نص صك وعد بلفور قبل صدوره وبعد أن صدر الوعد بشر (ويلسون) شعبه بأن الولايات المتحدة تشارك الحلفاء في إنشاء (كومنويلث يهودي في فلسطين). كما وافقت حكومة الولايات المتحدة رسميا على صك الانتداب الذي يتضمن نصا بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

في أيار / مايو ١٩٤٢ عقد مؤتمر صهيوني في أمريكا وقرر تحويل فلسطين إلى دولة يهودية وطرد العرب منها، فأسرع الرئيس (روزفلت) إلى أعلان تأييده لهذا القرار.

أما في عام ١٩٤٥ فقد سهلت أمريكا (لبن غوربون) [١٤٧] رئيس الوكالة اليهوية أثناء زيارته لأمريكا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة شراء مصنعي مدرعات باعتبار أنهما حديد خردة وتم شحنهما إلى فلسطين على أساس أنهما مصنعا آلات زراعية.

هذان المصنعان زودا اليهود بالمئات من السيارات المدرعة التي كان لها القول الفصل في الصدام مع العرب الذين كانوا مسلحين ببنادق عادية ليس إلا.

في نفس العام أصبحت الولايات المتحدة شريكا علنيا في تصفية عرب فلسطين، فنرى (ترومان) رئيس الولايات المتحدة يصدر بيانا يدعو فيه إلى فتح ابواب الهجرة إلى فلسطين على مصرعيه لكافة يهود العالم.

اللجنة الأنجلو امريكية

اشتركت الولايات المتحدة مع بريطانيا في إرسال لجنة لتقصي الحقائق في فلسطين حيث قامت بجمع كل مايلزم من المعلومات وأصدرتها في تقرير من مجلدات عدة واقترحت إدخال مائة ألف يهودي حالا إلى فلسطين وإحالة القضية برمتها إلى الأمم المتحدة.

مؤتمر آخر او أخير في لندن

حزب العمال البريطاني الذي يدعي الاشتراكية ويتبنى العدالة تسلم مقاليد الحكم في بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية وأعلن من جهته اقتراحا (بتشجيع العرب على الرحيل من فلسطين

١٤٧ - Alkhaldi Waiid : Before their Diaspora pp 321 صفحة ٣٢١

لإفساح المجال أمام المهاجرين اليهود). والسؤال الذي يُطرح (أي أخلاق اشتراكية هذه؟).
دعا حزب العمل إلى مؤتمر في لندن حضره العرب واليهود ورفض كلاهما المقترحات التي قدمتها بريطانيا فكان ذلك ذريعة لتحويل القضية إلى الأمم المتحدة كما أوصت بذلك سيدة الموقف الولايات المتحدة الأمريكية.

فلسطين والأمم المتحدة

في نيسان / إبريل ١٩٤٧ عرضت القضية على الأمم المتحدة وسط عاصفة صهيونية عالمية (للكوارث التي حلت باليهود وحقهم التاريخي - المزعوم - في فلسطين) قررت الأمم المتحدة تأليف لجنة تحقيق لبحث الموضوع وجاءت تنسيبات اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وجعل القدس منطقة دولية.
هذا الاقتراح عرض للتصويت على الجمعية العمومية وما كان له ان يفوز بموافقة ثلثي اعضاء الجمعية العمومية وهو الحد الأدنى الضروري لإقراره لولا الضغوط الهائلة والمؤامرات المحمومة التي بذلتها الولايات المتحدة على الدول الصغيرة حديثة الاستقلال خاصة دول هاييتي، ليبيريا وسيام التي كانت تعارض المشروع واستعملت الولايات المتحدة الوعد بالمعونات والوعيد والتهديد حتى جندت هذه الدول للتصويت بالموافقة.
وهكذا أصدرت الأمم المتحدة قرارا لأول مرة في التاريخ بتمزيق وطن وتشريد شعب.

مشروع التقسيم

كان مشروع التقسيم يقوم على منح اليهود ٥٦,٥٪ من مجموعة مساحة فلسطين وتشمل ٣,٥ مليون دونم أملاكا عربية يقوم عليها ٢٧٣ مدينة وقرية يسكنها حوالي أربعمائة وستون ألف عربي.

سمح للعرب باستبقاء ٤٢,٨٪ من مساحة فلسطين وخصص للقدس الدولية ٦,٥٪ من المساحة.
رفض العرب القرار وسكن حزن شديد في قلوب الفلسطينيين وبدا لهم المستقبل مظلماً حالكاً عاصفاً.
اما اليهود قد رقصوا فرحا في شوارع تل أبيب ونيويورك إذ أن (بروتوكولات حكماء صهيون) بدأت تؤتي أكلها.

أحداث عامي ٤٧ / ١٩٤٨

أولاً جامعة الدول العربية

ولدت جامعة الدول العربية بمشاورات جرت في عام ١٩٤٣ وتصريح للحكومةالبريطانية أنها تؤيد إنشاء جامعة للدول العربية وذلك لاستدراج إسهام هذه الدول في المجهود الحربي للحلفاء خاصة وان نتائج هذه الحرب الكونية لم تكن بعد قد اتضحت بصورة مضمونة.

أرادت بريطانيا بهذه اللعبة هدفين، أولهما إظهار نفسها بأنها صديقة العرب للتغطية على جرائمها وجرائم حليفتها فرنسا في كافة أقطار الوطن العربي دون استثناء من أقصى المغرب إلى نهاية المشرق العربي. أما الثاني فكان تطويق واحتضان أهداف الشعوب العربية وتطلعاتها في التحرر والوحدة وبذلك تضمن استمرار نفوذها وسطوتها في هذه المنطقة الحيوية وتحافظ على قدرتها في التأثير على الأحداث.

لهذا ليس من المستغرب ان يكون قابلة الولادة (البريجادير كلايتون) القائد العسكري والسياسي المخضرم الذي عين مستشاراً في سفارة بريطانيا في القاهرة فقد كان مصدر الوحي والنصائح وفي كثير من الحالات الأوامر لصياغة الجامعة العربية نفسها وكل القرارات الهامة التي تصدرها.

وُقع بروتوكول تأسيس الجامعة في تشرين أول / اكتوبر ١٩٤٤ وكان من ضمن محتوياته نص يعلن اهتمام الجامعة بقضية فلسطين وكان من باكورة أعمالها إصدار قرار بمقاطعة البضائع الصهيونية.

تتابعت مؤتمرات ولجان الجامعة العربية على مستوى الملوك والرؤساء بالإضافة إلى اللجان السياسية والعسكرية. بدأت بمؤتمر (انشاص) في مصر في أيار / مايو ١٩٤٦ تلاه اجتماع فوق العادة لمجلس الجامعة في (بلودان) بسوريا في حزيران / يونيه ١٩٤٦ ثم اجتماع المجلس الاعتيادي في تشرين اول / اكتوبر ١٩٤٦ أما الاجتماع الرابع فعقد في (القاهرة) في ١٧ آذار / مارس ١٩٤٧ .

ثم اجتمعت اللجنة السياسية في (صوفر) بلبنان في ١٦ أيلول / سبتمبر ١٩٤٧ على أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الدولية التي ألفتها الأمم المتحدة، تلا ذلك اجتماع سادس في (عالية / لبنان) من السابع إلى الخامس عشر من تشرين أول / اكتوبر ١٩٤٧، وذلك بعد أن أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب من فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ أي بعد ستة أشهر.

خلال هذه الاجتماعات وما تلاها من اجتماعات اخرى على المستوى السياسي او العسكري كان هناك قاسم مشترك بينها، هو وجود (البريجادير كلايتون) كمستشار وناصح وخبير وعندما جد الجد أصدر أوامره بأن لا تتخطى الجامعة العربية الأدوار العسكرية المرسومة لها وإلا فإن

بريطانيا ستتدخل عسكريا لمنع هكذا إجراء.
بعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة اجتمعت اللجنة السياسية للمرة السابعة في الثامن من كانون اول / ديسمبر ١٩٤٧ وكان من ضمن قراراتها عنتريات حماسية و (حكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا في جانب شعوبها في نضالها لتدفع الظلم عن إخوانهم العرب وتمكنهم من الدفاع عن انفسهم ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها...) [١٤٨].
أسست جامعة الدول العربية جيش الإنقاذ على نموذج ١٩٣٧ مكونا من مجموعات شبه مدربة وشبه مسلحة بأسلحة خفيفة من متطوعين من مختلف الشعوب العربية.

ثانياً : الوضع الفلسطيني حتى شهر آذار / مارس ١٩٤٧

بعد أن حرمت بريطانيا الشعب الفلسطيني طيلة ثلاثين عاما من كل أنواع التنظيم والتدريب والاستعداد للدفاع عن النفس لا بل وكانت تحكم بالإعدام على كل من يضبط لديه سلاح ناري وبالسجن المؤبد لمن تضبط لديه رصاصة بعد كل هذا وجد الشعب الفلسطيني نفسه فجأة مطالب بالدفاع عن نفسه ضد قوى غربية نظامية مسلحة تسليحا جيدا وذات قيادة متمرسة.
أما الشعب الفلسطيني : فلم يكن يملك قيادة سياسية ذات حنكة ودراية وليس لديه كوادر مدربة على أصول الحرب الشاملة والتعبئة الكاملة وقواعد السوق المختلفة (Mobilization). وكذلك لم يكن لديه التمويل والدعم للتسلح وشراء السلاح حتى إن توفرت المصادر.
ومع ذلك بادر هذا الشعب بدافع من غريزة البقاء يشتري السلاح الخفيف بنادق ومسدسات والذخائر بصورة فردية ومن الحساب الخاص لكل مواطن وغالبتيهم من صغار الكسبة والقرويين، فكانوا تحت رحمة تجار السلاح ووصل ثمن البندقية مائة جنية فلسطيني وهو سعر فاحش في ذلك الوقت. كما كان ثمن المسدس رقم (٩) يتراوح بين ثمانين إلى مائة جنيه إن وجد، أما الرصاص (الذخائر) فقد كان المشط (١٠ رصاصات) يباع بجنيه.
كان مصدر السلاح من شرقي الأردن وكثير منه كان قديما او غير صالح لكن الشعب العربي الأردني في تلك المحنة لم يأل جهدا ولا تضحية إلا قدمها فقد قدم والحق يقال مساعدات كثيرة.
رغم كل ما ذكر ظل ميزان القوة حتى شهر آذار ١٩٤٧ مائلا لمصلحة العرب وحدثت معارك كبيرة وعمليات نسف وتدمير في القدس وحيفا وتل أبيب كان النصر فيها للعرب لدرجة ان

١٤٨ - زعيتر اكرم، المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

الولايات المتحدة وجلت على مصير اليهود وتشككت في مقدرتهم على الصمود فسحبت اعترافها وتأييدها لقرار التقسيم بتاريخ ١٩٤٧/٣/١٩ واقترحت على مجلس الأمن ان يصدر قرار يطالب بهدنة عاجلة وان يفرض وصاية دولية على فلسطين، الأمر الذي رفضه العرب باعتبار انه سيتيح الفرصة لليهود للتجمع والتسلح واستجلاب المتطوعين.

ثالثاً : الموقف البريطاني الأمريكي

أهم ما ميز موقف الاستعمار في هذه المرحلة هو إصدار قرار يمنع شحن السلاح أو بيعه إلى الدول العربية وذكر في القرار (آن هاتين الدولتين تعيدان النظر في التزاماتهما تجاه الدول العربية بموجب الاتفاقيات الموقعة بالنسبة لتوريد السلاح).

كما فاجأت بريطانيا جميع الفرقاء بقرارها الجلاء عن فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ كما ذكر سابقاً.

رابعاً : المواقف الحقيقة للدول العربية

الدول العربية كان لكل منها ثلاث مواقف :

الأول في ردهات الجامعة العربية ولايخلو من عنتريات وطنية ومزايدات وكذب ورياء.

الثاني تجاه الفلسطينيين إذ بدأوا من خلال الجامعة العربية بفرض سيطرتهم على الشعب الفلسطيني عن طريق التحكم بمصادر السلاح والدعم المالي واللذين ظلا حتى آخر لحظة شحيحين.

أما الموقف الثالث فكان بين كل منها وبين الحليفة بريطانيا وامريكا في الخفاء وهنا كان الأمر مختلفا. اكثر من ملك عربي أبلغ بريطانيا انه ملتزم بقرار التقسيم وأنه لن يسمح بتجاوز الخطوط أو الحدود التي رسمها هذا القرار.

كما ذهب رئيس وزراء شرق الأردن السيد توفيق أبوالهدى إلى بريطانيا واتفق مع الحكومة البريطانية على ضم ما تبقى من فلسطين إلى إمارة شرق الأردن.

وقد عقدت الجامعة العربية اتفاقاً سريا مع بريطانيا سمح بموجبه دخول جيش الإنقاذ إلى فلسطين على أن لايتخطى ذلك حدود المنطقة العربية.

أما (جيش بروسيا العرب) فقد التزمت قيادته بإبقائه خارج فلسطين حتى بعد انتهاء الانتداب وجلاء بريطانيا لمدة خمسة ايام مطلقة يد اليهود في الجثة الفلسطينية.

وبالمقابل رفضت الجامعة العربية الاقتراحات الفلسطينية بتسليح الشعب وتزويده بالخبراء العسكريين حسب معارضة بريطانية في ذلك الحين.

خامساً : المواقف والانجازات الصهيونية

عقب صدور قرار التقسيم ظهرت الهاجاناة الجيش الرسمي علنيا على المسرح وفتحت مكاتب تسجيل المجندين ودعت جميع الشبان ما بين سن السابعة عشرة الى الخامسة والعشرين للالتحاق بالخدمة والعسكرية عقدت مع كل من يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا اتفاقات لشراء كميات كبيرة من السلاح والعتاد.

كما جندت أعداد كبيرة من المتطوعين الاجانب وصل أول فريق منهم على ظهر الباخرة إنديبنداس كمهاجرين مدنيين وكان من ضمن من تعاقدت معهم جنرال امريكي قائد معارك باب الواد فيما بعد.

كذلك اشترت الهاجاناة من مخلفات الجيش البريطاني في فلسطين كميات ضخمة من السلاح والذخائر ومدافع الهاون وحتى الطائرات، بالإضافة الى ما نهبه اليهود من المعسكرات ومن القطارات بحركات مسرحية مفضوحة.

سادساً : مرحلة الانهيار : نيسان / ابريل ١٩٤٨ ومابعد

في الجانب الصهيوني بدأت ملامح وفرة السلاح والذخائر بالظهور اعتبارا من اوائل شهر نيسان / ابريل واشتد ضغطهم في كافة الجبهات وخاصة في المدن المعزولة والاستراتيجية وكذلك القرى الصغيرة منها قبل الكبيرة فسال الدم الفلسطيني طاهرا يغسل أرض الوطن في دير ياسين وناصر الدين وضخم العرب الاخبار على أمل أن يشوهوا سمعة الصهاينة لكنهم أفلحوا أكثر في إثارة الرعب في نفوس المواطنين الفلسطينين (فسالت) سيول المهاجرين واللاجئين خاصة وان الاذاعات العربية والصحافة العربية وزعماء قادة بعض الدول العربية كانوا يعدون الفلسطينين انهم بعد ١٥ أيار / مايو سيطهرون فلسطين من الغزاة ويعيدون اللاجئين ظافرين سالمين.

فقد صرح أحدهم في قصره لوفد جاء يرجوه السلاح (... سنعيدها لكم طاهرة مطهرة) هذه الجملة نقلت للمؤلف من أحد أعضاء ذلك الوفد. أما في الجانب الفلسطيني فد استماتت القيادات المحلية غير الموحدة في طرق الأبواب التي تصوروا أنها ستسعفهم بالسلاح.

أكثر من وفد زار الهيئة العربية العليا في القاهرة وكانوا يعودون بحفنة من البنادق الصدئة

والذخائر التي قد لاتنطلق. يجمعها البدو من بقايا الحرب العالمية الثانية في صحراء مصر الغربية (راجع الملحق رقم (٤) من هذا الكتاب اتحاد طلبة يافا العرب). وكانوا يعودون ايضا ببضع مئات من الجنيهات والكثير الكثير من الوعود بأن الجيوش العربية كفيلة بالتحرير.

الدكتور يوسف هيكل رئيس بلدية يافا وهو المعروف عنه انه من فئة الوسط او الوسط المائل لليمين (دول الغرب) في الطيف السياسي يزور عدة عواصم عربية ويعود بمائة بندقية لا أكثر من أصل ألف وخمسمائة مقدرة لحاجات الدفاع عن يافا.

عبدالقادر الحسيني يزور دمشق (مطنبا) على اللجنة العسكرية العليا طالبا السلاح ويعود بوعود لاتسمن ولاتغني من جوع، فلايجد أمامه إلا خوض معركة انتحارية - وهو القائد العام - في قرية القسطل الاستراتيجية غرب القدس مع قلة من رجاله وتتحقق امنيته في الشهادة امام الجحافل الصهيونية التي تفوقه بالعدد والسلاح عشرات الأضعاف.

جيش الانقاذ كان قابعا في المناطق المخصصة للعرب بموجب مشروع التقسيم، أما الجيوش العربية فكانت تلتزم جانب الأدب والدبلوماسية بمحافظتها على الاتفاقات مع بريطانيا فهي لن تدخل فلسطين قبل جلاء القوات البريطانية وهي ايضا لن تعطى سلاحا للفلسطينين، وهكذا انقلبت موازين القوى بين العرب والصهاينة وفقد العرب سيطرتهم وانتصاراتهم وصمودهم وبدأت المدن العربية وقراها تتهاوى الواحدة تلو الأخرى طبريا - حيفا ثم يافا فعكا وصفد، يافا دامت معاركها الأخيرة من الرابع والعشرين الى الثلاثين من نيسان / ابريل حيث فرض الانجليز هدنة تمكن العرب من النزوح وفي الثالث عشر من أيار / مايو كان هناك لجنة لتسليم المدينة الى قائد الهاجاناه (ولقد خسر العرب بسقوط يافا مدينة من أقدم مدنهم تاريخا واخصبها ارضا ، اغناها مالا وثقافة ورجالا) كما قال المؤرخ الفلسطيني (عارف العارف) [١٤٩]

سابعاً : اللد والرملة (الدولة الثامنة) [١٥٠]

الفقرة الاخيرة من هذه المأساة قصة مدينتي اللد والرملة، هاتان المدينتان كان من القرر ان تكونا ضمن الحدود العربية لذا سمح قائد الجيش الأردني كلوب باشا البريطاني الجنسية بتواجد سرية مشاة فيهما. المدينتان احتضنا سيول اللاجئين من يافا وقرى القضاء لذا كان بهما حوالي خمسين الف مواطن والكثير من السلاح والعزيمة.

١٤٩ - العارف عارف ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣

١٥٠ - ابوغربية بهجت، المرجع السابق، ص ٢٢٨

لذا بقيتا صامدتين بل واستولى المناضلون على مطار اللد ومحطة القطارات الرئيسة في فلسطين ومعسكر صرفند البريطاني المركزي، لذا سميتا بالدول الثامنة لأن هناك سبع دول عربية دخلت الحرب ضد الصهاينة او هكذا قيل.

خلال المدة من العاشر الى الثالث عشر تموز / يوليه من عام ١٩٤٨ بعد الهدنة الأولى اشتد الضغط على هاتين المدينتين وجاءت مدرعات من الجيش الأردني وانسحب القائد العسكري الأردني والجنود فانهارت المعنويات واستباح اليهود المدينتين وذبحوا ستمائة شاب في مدينة اللد وحدها، وهجروا خمسين ألف مواطن في خلال يومين، طردوهم بقوة السلاح مشياً على الأقدام باتجاه رام الله على بعد حوالي بضعة عشر كيلومتراً في حر تموز اللافح فمات عشرات الأطفال في الطريق عطشا.

أما بقية الجبهات على كافة مناطق الجيوش العربية الخمسة او الستة!! جميعا لم تكن اسعد حالاً، فالمناطق التي لم تسقط في الحرب سلمت الى الصهاينة في مفاوضات رودوس للهدنة الثانية وما بعدها وبلغت المساحة الفلسطينية المسلمة بهذه الواسطة (الجيوش العربية) ٢٢٪ من المساحة المخصصة للعرب بموجب مشروع التقسيم، هكذا خلال النصف الأول من عام ١٩٤٩ أسدل الستار على المأساة الملهاة، اكبر مأساة ملهاة في تاريخ العرب قديمه وحديثه بما فيها نزوح العرب من الأندلس لأننا هنا في فلسطين أصحاب البلاد الأصليين منذ أن خلقت الأرض وما عليها وسنبقى كذلك.

محاولة تحليل وتفسير واستنباط

فيما سبق من هذا الفصل تم استعراض مراحل وأحداث الصراع بين العرب وقوى الاستعمار والصهيونية العالمية وما آل اليه الحال نتيجة هذا الصراع.

وقد آن الاوان لتفحص ودراسة الأسباب والعوامل الذي أدت بالعرب إلى ما وصلوا اليه والتي هي نفسها أوصلت العدو الصهيوني للمكاسب والانتصارات التي حققها.

لإجراء هذا التحليل والخروج منه بالاستنتاجات الصحيحة لابد من توجيه الاسئلة التالية :

١ - ماهي عناصر هذا الصراع؟

٢ - هل كان العرب انداداً اكفاء لكل هؤلاء الأعداء وجاهزين لمثل هذه المعركة؟

٣ - هل أخطأ الفلسطينيون حين رفضوا غالبية ما عرض عليهم من حلول واقتراحات؟

٤ - ماهو الموقف وماهي التوقعات على المدى الزمني الأبعد لهذا الصراع؟

أولاً : ماهي عناصر هذا الصراع ؟

عناصر الصراع هي :

١ - الفلسطينيون والأمة العربية

٢ - الأنظمة العربية دولاً وقيادات وجيوشاً

٣ - الدول الاستعمارية الكبرى ذات العلاقة

أ - بريطانيا

ب - فرنسا

ج - الولايات المتحدة

د - ألمانيا الغربية

٤ - الصهيونية العالمية

١ -الفلسطينيون والأمة العربية

بعد خمسمائة عام في مستنقع الهيمنة والاستنزاف التركي والعثماني خرج الفلسطينيون والأمة العربية إلى مشارف القرن العشرين.

اوروبا نمت وازدهرت وانتشرت في جنباتها العلوم والمعارف والأساطيل والتجارة والقوى العسكرية والاقتصادية.

بينما أمتنا كانت ترفل في أثواب الجهالة والفقر والكبت.

كنت تمر بغالبية قرى الريف العربي فلا تجد من (يفك الحرف) وفي المدن مازادت نسبة المتعلمين عن ١٪ في أحس الأحوال. ولعل غالبية المتعلمين كانوا خريجي كتاب مُعلمهم شيخ نصف أمي، أما الخرافات والسحر والشعوذة فكانت قاسماً أعظم لأمتي وأمتك، ليس في القرن الرابع عشر بل على مشارف القرن العشرين.

لذا دخل الفلسطينيون او الأصح أُدخلوا وقُذِفوا في أتون حرب ضارية ضد قوى كبرى : الاستعمار الأوروبي والسيطرة الصهيونية وأطماع كليهما في تركة (الرجل المريض) الخلافة العثمانية التي شاخت وآلت للسقوط بعد خمس قرون من الاستعمار العثماني استنزف الولايات العربية اقتصاديا ومعنوياً.

كان الجندرمة يأتون القرى وقت الحصاد بخدمة ورفقة متعهد ضريبة العشر فيغتصب حصته قبل أن يمد المزارع يده على محصوله فإن لم يكف المحصول لسداد الدين والضريبة بيعت الأرض

بالمزاد العلني لتنتهي في ذمة عائلة لبنانية أو غير ذلك. وكثير منهم كان سهلاً له ان يبيعها ليهود. شبيبتنا جندلت في خدمة علم السلطان على حدود رومانيا والبلقان في حروب ليس لنا فيها ناقة ولا بعير. اقتصادنا نهب ليصير جواهر ومحظيات وبذخاً في قصر يلدز باسطنبول وغيره من قصور الوزراء والمنتفعين.

دخلنا القرن العشرين بلا علم ولا اقتصاد ولا قيادات مدربة محنكة ومثل هذا التخلف لا ينفك منه المجتمع خلال جيل او جيلين وبالتالي جرجرناه معنا خلال سني الصدام مع بريطانيا الدولة العظمى في ذلك الوقت.

ويوم قامت الساعة في عامي ٤٧ / ١٩٤٨ بيننا وبين الصهيونية العالمية كانت هذه صورتنا وحقيقتنا في شتى الأصقاع العربية مع فوارق في الظلال وليس في الفحوى.

٢ - الأنظمة العربية دولاً وقيادات وجيوشاً

دولنا العربية التي استنجدنا بها لتغيثنا وقت الطامة الكبرى كانت دولاً (خداجاً) بمعنى أنها أجنة ولدت قبل ان تنضج وتستكمل نموها. البعض منها كان مستعمراً بصورة مباشرة كالشمال الإفريقي وغيره والبعض الآخر مرتبط بمعاهدات صداقة مع المستعمر تحجر عليه وتقيد حركته وهناك بعض ثالث : مشيخات وإمارات كانت تحبو على ركبتيها طالبة صدقة سنوية من العدو المستعمر تُدفع لها لقاء إخلاصها في اداء ما يطلب منها من مهمات وأدوار. هذا على المستوى الخارجي، أما على المستوى الداخلي وعلاقة الحكومات بشعوبها فحدث ولا حرج يصبح القزم عملاقا طاغية دكتاتوراً يكبت الشعب ويفرض عليه كل صنوف العذاب ناهيك عن الإقطاع والاستغلال الاقتصادي فقد كانا الموضة الشائعة لمجتمعاتنا جميعاً. أما قادتنا فكانوا أذناباً وبهلوانات ترقص على أي دف يشاء المستعمر.

إبان المعركة وقد بلغت الروح الفلسطينية الحلقوم وانطلقت (وامعتصماه) تستنجد بنخوتهم أمرهم مستشار الجامعة العربية المتطوع البريطاني (البريجادير كلايتون) لاتدخلوا جيوشكم إلى فلسطين قبل ١٩٤٨/٥/١٥ ساعة جلاء بريطانيا فقالوا سمعاً وطاعة. طلب منهم ان لا تتجاوز جيوشهم إن دخلت حدود الجزء العربي بموجب قرار التقسيم فالتزموا كالتلاميذ المطيعين. طُلِب اليهم فرض وصاية على الشعب الفلسطيني وكبح جماحه خاصة بعد أن أظهر عنفوانا وحقق انتصارات وتفوقاً في خريف عام ١٩٤٧ وبداية عام ١٩٤٨، فلبوا الطلب ومُنِع السلاح عن الجهاد والمناضلين في شتى ارجاء فلسطين وحتى عبدالقادر الحسيني لم يسمح له بمغادرة مصر- فاروق

والالتحاق بالمناضلين في القدس إلا بعد أن وافق نظريا على أن لايجمع التبرعات من الشعب [١٥١] لشراء السلاح.

الملوك والرؤساء والقادة العرب نورد هنا عينة منهم ومن مسلكياتهم في أربعينات القرن العشرين.

ملك عربي يوفد ابن عمه (وابن العم عزيز) فيزود ذاك الجيش العربي وهو في حالة حرب بمدفعية وذخائر فاسدة تنفجر بضباطنا وجنودنا ثم يقوم ابن العم هذا (بناء على طلب آخ ماسوني) بادخال جاسوس صهيوني إلى معسكرات ذلك الجيش بدعوى انه يريد شراء مخلفات الحرب مساعدة للوطن.

رئيس آخر يقتات ببقايا الجثة الفلسطينية ولما تجف دماؤها بعد.

امير وليّ عهد ورئيس وزرائه ينفذان مخططا هداما يمرغان سمعة جيشهما العسكرية (وهو من أفضل الجيوش العربية) في التراب بدعوى (ماكو أوامر ماكو عتاد).

رئيس الوزراء هذا لم يخجل من الله والتاريخ حين عمل بعد عامين على نقل المهاجرين اليهود إلى فلسطين بطيران تلك الدولة جنبا إلى جنب مع الطيران الصهيوني.

وثالثة الأثافي أنه سعى لدى دولة عربية مجاورة أن يمر المهاجرون اليهود برا عبر أراضي تلك الدولة الى فلسطين المحتلة [١٥٢].

رئيس الشعب المجاهد لم يبرأ من عصبية جاهلية قبلية رغم أن إخلاصه المطلق ووطنيته الصادقة كانا مضرب الأمثال،

للاطلاع على مزيد من هكذا صور واخلاقيات هناك قصيدة الشاعر العربي الفلسطيني (ابو سلمى) (آنشر على لهب القصيد) ففيها ما يشفي الغليل

الجيوش العربية، سامح الله المولف، كاد ان ينسى سيرتها الفواحة.

جيش عربي لجب بل لعله أكثر الجيوش العربية لكنه كان مهلهلا في تدريبه وانتظامه، جيش عربي آخر كله حماسة وشعور قومي لكنه وقت الحرب لم يكن إلا طفلا حديث التكوين مازاد عمره عن سنتين، ورغم ذلك سجل انتصارات ظلت صامدة حتى تدخل الساسة. جيش عربي ثالث تعداده لا يزيد عن أفراد فرقته الموسيقية التشريفاتية واخيراً جيش جوال يمرح في أكثر من موقع وأكثر من قطر. وكما قال الشاعر العربي عنترة بن شداد (فخاض غمارها وشرى وباعا) [١٥٣] نعم بيع وشراء ولازال حتى يومنا هذا يبيع خدماته لمن يدفع.

---

١٥١ - أبوغريبة بهجت، المرجع السابق، ص ١٦٢ .

١٥٢ - العارف عارف، النكبة ، ص ١١١٣ ،

١٥٣- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص ٩٠ .

٣ -الدول الاستعمارية الكبرى ذات العلاقة

أ - بريطانيا

هذه البريطانيا كانت تسمي نفسها "العظمى" تعتمد شعاراً يقول (الإمبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس) كتعبير عن امتدادها عبر القارات بحيث لو غربت الشمس عن إحدى مستعمراتها أشرقت على مستعمرة أخرى وهكذا.

لكن مؤلف في هذا البحث كان يردد دوما وبتهكم لقبا إبتدعته بريطانيا حتى كادت أن تصدقه هي نفسها، أما اللقب فهو (بريطانيا صديقة العرب التقليدية) بريطانيا صديقة للعرب بعد نكث كل تلك العهود والاتفاقات. صديقة العرب التقليدية تقطع أوصال الوطن العربي وتتقامسه وفرنسا. صديقة العرب التقليدية تمنح من أراضي فلسطين قبل ان تتملكها أو الأصح قبل أن تحتلها.

والآن ماذا فعلت هذه الصديقة التقليدية او الأصح اللدودة؟؟

تقول الحقائق التاريخية أن بريطانيا منذ الأعوام الأولى للقرن التاسع عشر (١٨٠٠) تبنت النظرية الصهيونية قبل أن تولد الصهيونية.

ولنستعرض بعضا من سلسلة طويلة من قادة مفكريهم وساستهم.

اللورد شافتسيري [١٥٤] تبنى النظرية الصهيونية ونادى وجاهر بضرورة مساعدة اليهود للعودة الى صهيون أرض الأجداد. هو صاحب المقولة الكاذبة (بلد بلا شعب) (نحو شعب بلا وطن) والتي تبنتها ورددتها الصهيونية العالمية بعد أن جعلتها (أرضا بلا شعب لشعب بلا أرض) وزير خارجية بريطانيا عام ١٨٣٩ اللورد بالمرستون يؤيد علنا مشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين ولايتجاوب معه اليهود.

الكولونيل تشارلز تشرتشل (قنصل بريطانيا سابقا في دمشق) كان من كبار أنصار فكرة الدولة اليهودية بل فاقت حماسته في هذا الصدد حماسة اليهود أنفسهم وقدم أكثر من مشروع لذلك. اهم من هؤلاء جميعاً اللورد (بالمرستون) وقد أضحى رئيس وزراء بريطانيا أعلن عام ١٨٢٢ عن تبنيه الصهيونية رغم أن أحد لم يعلن عن وجودها بعد [١٥٥].

وعلامة فارقة في هذا الاتجاه بنيامين دزرايلي أصبح رئيسا لوزراء بريطانيا عشية نهاية القرن التاسع عشر مفتتحا نشاطاته بالإعلان عن حماسه وتبنيه للفكرة الصهيونية.

إن كل الذي سبق إنما هو أعمق من هذا كله وأشمل.

---

١٥٤ - الحوت بيان، المرجع السابق، ص ٢٩٥ .

١٥٥ - الحوت بيان، المرجع السابق، ص ٢٩٧ .

إن الاستعمار الأوروبي مع نهاية القرن التاسع عشر نضج وأصبح متمرسا في تحطيم الشعوب. لم تعد القضية سباقا بين أسطولين من يسبق الآخر في رفع علم بلاده على هذه البقعة او تلك، ولم تعد القضية شركات بريطانية تغلب الشركات البرتغالية وتصادر حياة ثلاثمائة مليون هندي لمدة تزيد عن مائة عام.

أصبح الوضع يتطلب تخطيطا وتنسيقا بين هذه الدول وتوزيعا مسبقا فيما بينها لمناطق النفوذ والوجبات (المقصود البلاد والولايات خاصة العثمانية) التي يسيل لعابها لالتهامها.

بريطانيا (إياها) دعت إلى مؤتمر عقد عام ١٩٠٧ [١٥٦] في لندن وشارك فيه عدد من مفكري ومخططي الدول الأوروبية الاستعمارية (بريطانيا، فرنسا، هولندا، إيطاليا، إسبانيا، البرتغال وبلجيكا) وكان جل همهم وضع خطة لتثبيت دعائم الاستعمار ومنع الاخطار التي تهدد مستقبله، وقد أصدر المؤتمر تقريرا بعد دراسات واقعية عرف فيما بعد بتقرير (لجنة كامبل بانرمان).

أوضح التقرير أن الخطر يكمن في منطقة شمال افريقيا والهلال الخصيب حيث يكمن (شعب متجانس عرقيا ولغة وحضارة) (يقصد العرب) وفي أراضيه كنوز وثروات هائلة* ، ثم قدم النصيحة التالية (أن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والإبقاء على تفككها. بإقامة حاجز بشري قوي وغريب يُمكن للاستعمار ان يستخدمه أداة في تحقيق اغراضه).

لذا حين أعلن هرتزل نبي الصهيونية في عام ١٨٩٧ برنامجه لجلب اليهود إلى فلسطين وخلق دولة لهم وجد فيه الاستعمار البريطاني ضالته فلم يتردد لحظة واحدة في تبني الصهيونية واحتضانها ورفدها بكل المعونات المتاحة لأكبر امبراطورية في ذلك العصر.

ليس مستغربا ان سير ونستون تشرشل بصفته وزير خارجية بريطانيا صرح اثناء زيارته للقدس حوالي عام ١٩٢٢ انه (يجب ان تصبح فلسطين صهيونية بمقدار ماهي بريطانيا بريطانية).

الموضوع باختصار هو الرغبة في استعمار ديار العرب وتمزيقها واستغلال ثرواتها الدفينة وتأمين طرق المواصلات الى الهند (درة التاج البريطاني كما كانت تدعي في ذلك الوقت).

بهذه الخلفية الفكرية بهذا الاستحواذ الاستعماري واجهت بريطانيا عرب فلسطين (كان تعدادهم حوالي ٧٠٠٠٠٠ عربي مقابل ٨٠٠٠٠ جندي بريطاني مزودين بكافة الأسلحة من الطيران إلى المدفعية الثقيلة عدا العصابات الصهيونية، ومارست ضدهم كل أساليب التنكيل والقهر والعدوان والبطش لتسحق زفراتهم في مقاومة استلاب وطنهم.

---

١٥٦ - ابوغربية بهجت، المرجع السابق، ص ٦

* كان (بابا جرجر رقم(١)) اول بئر بترول في العراق قد تم حفره تقريبا.

لم تترك بريطانيا شيئا الا استعملته ضد عرب فلسطين : القوانين. الجيوش. التميز العنصري. الاضطهاد بكل أنواعه، أحكام الإعدام حتى لمن يقتني رصاصة واحدة.
ويجدر بالمؤلف ان يسوق هنا حالة خاصة ذكرت في قليل من المراجع الفلسطينية وهي كالتالي يعتبر موسم الزيتون والزيت الموسم الأساس الثاني بعد البرتقال في فلسطين وفي السنين الماطرة الخيرة يتوفر فائض من الزيت للتصدير، وكان هذا الفائض يسند المزارع الفلسطيني ويساعده في سداد ديونه وتوفير مايقوم بأوده حتى الموسم التالي ولكن بريطانيا كانت له ولأحلامه في إطعام أطفاله بالمرصاد. كانت في مثل هكذا موسم تعمد إلى منع تصدير زيت الزيتون فتهبط الأسعار وتتدنى ويفلس المزارع ولايرى مندوحة عن بيع جزء من أرضه حيث يكون السماسرة واليهود له بالمرصاد فيغرونه بالمال.
بكل هذا وبهذه الخلفية التاريخية كان على عرب فلسطين ان يواجهوا ويقاوموا بريطانيا لمدة ثلاثين عاما لم ينقطعوا خلالها عن النضال.

ب - فرنسا

أول جمهورية أوروبية في العصور الحديثة وبلد الحرية والإخاء والمساواة وبلد النور والاشعاع.
فرنسا التي اجتاحت المغرب العربي بكامله منذ أوائل القرن التاسع عشر مدت بأطماعها إلى المشرق وكانت تسميه الشرق الأوسط (Orient Moyan) وهذا رئيسها نابليون اثناء وجوده في فلسطين قبل ان تسحق اسوار عكا كبرياءه وتهزمه وترغمه على الانسحاب هذا نابليون ينادي يهود العالم ليؤازروه ويتجمعوا في فلسطين لينشىء لهم دولة اسرائيل، خططه ذهبت ادراج الرياح مع فشله في فلسطين ومصر لكن اليهود فهموا الرسالة وأصبحوا بعدها يربطون مصيرهم بالدول العظمى.
تطلعات فرنسا إلى الشرق ظلت هناك ومؤازرتها للصهيونية بقيت اللون السائد في كل الحكومات التي تسلمت الحكم، وقبل الحرب العالمية الأولى اتفقت مع بريطانيا وروسيا القيصرية على اقتسام تركة الرجل المريض (الخلافة العثمانية) في اتفاقية سرية فضحها الانقلاب الشيوعي فيما بعد وعرفت باسم اتفاقية (سايكس) (وزير خارجية بريطانيا) وبيكو (وزير خارجية فرنسا) وبموجبها استولت بريطانيا على الأردن وفلسطين والعراق والخليج وأجزاء من الجزيرة العربية (بصورة غير مباشرة) كما استولت فرنسا على سوريا ولبنان. ظلت فرنسا وفية لمبادئها في تأييد الجهود الصهيونية وحين أعلن التقسيم، كانت فرنسا من اوائل الدول التي وافقت على القرار وأعلنت اعترافها بدولة تقام على أراضي شعب آخر وسحقا لمبادىء (الحرية والإخاء والمساواة).

فرنسا كان استثمارها في محله أرادت هي وبريطانيا الانتقام من الزعيم العربي جمال عبدالناصر بسبب تأميمه قناة السويس والتي كانت الدولتان تملكان غالبية اسهمها فوجدتا عام ١٩٥٦ في الدولة الصهيونية العون الكبير ومخلب القط تضربان به إرادة الانسان في التحرر الاقتصادي من أخطبوطهم الاستعماري.

لذا لا يستغرب أحد أن فرنسا كافأت الصهيونية بتزويدها بأول مفاعل نووي فرنسي يقام خارج فرنسا وزودتها بأسراب من أحدث الطائرات المقاتلة (الميراج) لتمكنها من محاربة الأمة العربية للمرة الثالثة عام ١٩٦٧ وكذلك اسطولا من الزوارق الحربية فائقة السرعة مزودة بالصواريخ اللازمة.

فرنسا هذه يصل بها العهر السياسي ان تصدر قانونا يحظر حتى على مواطنيها التشكيك في المذابح اليهودية (المختلقة) خلال الحرب العالمية الثانية (الهلوكوست) لدرجة أنها حاكمت أحد افضل فلاسفتها في العصر الحديث البروفيسور (روجيه جارودي) حين تجرأ وأثار هذا الموضوع.

فرنسا وقفت طيلة غالبية عقود القرن العشرين في الصف الخاطىء صف الاستعمار والصهيونية واستباحة الشعوب.

وكان على عرب فلسطين ايضا مواجهتها.

ج - الولايات المتحدة

خير الكلام ما قل ودل، رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية (هاري ترومان) أبقى قصر الرئاسة (البيت الإبيض) مستيقظاً حتى الساعة الثانية عشر ليلا يوم ١٩٤/٥/١٥ ليكون اول من يعترف بدولة اسرائيل حال إعلانها في تل أبيب.

هل هناك داع لمزيد من الشرح والتفصيل. قُراء هذا الكتاب في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين سيستهجنون إن حاول المؤلف إضافة المزيد من الإيضاح لأنهم يعيشون حياتهم يوميا وسط مآسي وظلامات تفرضها دولة العدوان والاغتصاب على مجموع الأمة العربية بدعم وإسناد مطلقين من زعيمة العالم الديمقراطي الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه الدولة وقفت ديدبانا للحفاظ على كل الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني ولازالت تصر على توفير كل دعم ممكن له ليبقى سيد الموقف في منطقتنا العربية.

فعلا ليس من المنطق تعداد مزيد من حالات الانحياز والدعم والساندة الأمريكية لدولة صهيون. إلا أن في القصة التالية دلالة على مدى صفاقة وعنجهية هذا الذي يسمونه (انكل سام).

اكتشفت شركة ارامكو الأمريكية موارد البترول الهائلة في السعودية عام ١٩٣٩/٣٨ وبذا أصبحت المملكة العربية السعودية وحكومة الولايات المتحدة حليفتين وشريكتين استراتيجيتين وعلى كل منهما ان يراعي مصالح الآخر.

روزفلت رئيس الدولة المشار إليها أعلاه التقى العاهل السعودي عبد العزيز آل سعود على ظهر الطراد (كوينسي) من قطع الأسطول الأمريكي في شباط / فبراير ١٩٤٥ للتنسيق فيما بينهما وهذا أمر عادي.

إلا أن الأمر غير العادي ان يتوجه الرئيس روزفلت الى الملك عبدالعزيز بالسؤال التالي مباشرة دون مواريه او تغليف دبلوماسي (متى ستسمحون جلالتكم لليهود بالعودة والإقامة في المدينة المنورة ؟)[١٥٧].

الملك عبدالعزيز أجابه بأن هذا السؤال لا أخلاقي وفي غير محله

مزيد من الضوء والايضاح عن التصرفات الأمريكية ورد في المقال التالي :

(الفلسطينيون اسئلة ومفارقات)

هذا عنوان مقال للكاتب العربي الأردني حسني عايش ظهر في صحيفة الرأي الأردنية العدد ١١٤٧٥ بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٩ ص ١٧، نقتطف منه ما يلي : (ومع ان اسرائيل صنيعة امريكية إلا أنها تمكنت باللوبي الاسرائيلي من تحويل أمريكا إلى صنيعة لها) .. (وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ان النفوذ الاسرائيلي في واشنطن بلغ أوجه وصار أكبر من النفوذ الامريكي فيها (في واشنطن)، وأنّ كسب رضاه هو الطريق للوصول والبقاء).

يوافقني القارىء العزيز ان لاداع لأي تعليق أو شروحات

د - ألمانيا الغربية

ألمانيا الدولة الأقوى والأكثر تقدما في أوروبا كانت المنافس الأول ضد الهيمنة البريطانية، إلا أنها خرجت من الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ مهزومة ومستعمرة ومقسمة من قبل الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية.

ألمانيا في هذا الوضع كانت (صوفتها حمراء) كما يقول المثل فقد أشعلت حربا كونية راح ضحيتها حوالي خمسين مليون من بني البشر ودمرت أوروبا بنيانا واقتصادا.

من ناحية ثانية كان العهد النازي السابق قد اضطهد مجموع الشعوب الأوروبية بما فيهم اليهود ويقدر مجموع من لاقوا حتفهم في معسكرات الاعتقال بحوالي خمسة الى ستة ملايين مليون اوروبي مدني وكان من بينهم حوالي نصف مليون يهودي، هنا بيت القصيد إذ تبنت اليهودية العالمية [١٥٨] وقوى

١٥٧ - د. هيكل يوسف، فلسطين قبل وبعد، ص ١٣٤ .

١٥٨ - لمزيد من الايضاح يراجع كتاب د. نورمان فنكلستين (صناعة الهلوكست - تاملات في استغلال المعاناة اليهودية) ترجمة د. سماح إدريس وايمن حداد

الصهيونية والحلفاء المنتصرون قضية اليهود ونفخوا فيها لدرجة ان كافة الضحايا من الشعوب الأوروبية نُسي أمرهم تقريبا وأصبحت القضية قضية الضحايا اليهود فقط وبولغ في عددهم حتى وصل التقدير إلى ستة ملايين يهودي واخترع لهذه الحالة اسم تجاري هو (المِحْرقة) (الهلوكست) (Holocost) يُلوح به في وجه كل من يقف معارضا.

هنا وجد الألمان الغربيون كل فرد منهم وكل طفل وطفلة حتى لو ولدوا بعد مائة سنة من وقوع الاضطهاد النازي، وجدو انفسهم مُجرميّن بتهمة النازية واضطهاد اليهود وعليهم ان يكفروا عن هذه الخطيئة وهذه الجرائم التي ارتكبت بحق اليهود وذلك بدفع تعويضات لمن؟ ليس لأقارب الضحايا وورثتهم بل لدولة اسرائيل.

هنا يظهر تحريف وتعديل القانون الدولي ليصبح مناسبا لمقاييس المطامع الصهيونية ولم يجد الألمان الغربيون حكومة وشعبا بدا من ان يدفعوا ليسكتوا الاتهامات والانذارات دفعوا ودفعوا ولازالوا يدفعون.

لقد بلغ حجم التعويضات الألمانية للدولة الصهيونية حوالي ثمانين بليون دولار امريكي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اي ثمانين الف مليون دولار، إذا اعتبرنا ان سكان اسرائيل اليهود يبلغ حوالي خمسة ملايين نسمة لوجدنا ان حصة الفرد الإسرائيلي الواحد تبلغ ستة عشر مليون دولار.

هنا يطرح نفسه سؤال استراتيجي : أين ذهبت كل هذه الأموال؟؟

الجواب دعما لاقتصاد مصطنع يقوم على الدعم الحكومي، لكن هذا قطرة من بحر أما المصروفات الحقيقية فهي مشتريات السلاح.

في عام ١٩٥٥ حين سال لعاب اسرائيل لشراء الطائرة الحربية الفرنسية المتطورة المتفوقة من نوع (Mirag) وجدت في التعويضات الألمانية موردا ليسدد عنها الفاتورة، وكذلك مولد ذري - فرنسي ايضا أو أكثر يضاف لذلك الغواصات الألمانية الأحدث في نوعيتها. وقس على ذلك ألوف الأمثلة.

الاقتصاد الألماني بجبروته كان يقف داعما لإسرائيل في صراع الفلسطينيين ضدها. لذا كان على الشعب الفلسطيني ان يواجه المانيا ضمن عناصر الصراع.

هـ - اليهود والصهيونية العالمية

يجمع علماء الأجناس (الأنثروبولجيا) والتاريخ والاثاريون على ان يهود العصور القديمة (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) كانوا قبائل سامية نزحت من شرقي الهلال الخصيب إلى جنوب فلسطين عبر شرق الأردن حوالي سنة ألف ومئتين ق.م. واستقرت في الجزء الجنوبي من فلسطين ثم امتد وجودها إلى

المنطقة الجبلية (القدس ونابلس) واستمر حتى حوالي سنة ستمائة ميلادية بعدها قضي على وجودهم الفعلي والسياسي وتشتتوا فانتشر البعض منهم في شمال الحجاز حيث تهودت بعض القبائل العربية كما نزح جزء آخر منهم إلى اليمن حيث تقبل الديانة اليهودية ال ذي يزن بالاضافة إلى أن جزءا منهم هاجر إلى الحبشة حيث انتشرت العقيدة هناك بين السكان الأصليين.

فئة أخرى دخلت مناطق القفقاس حيث اعتنقت قبائل من الخزر الديانة اليهودية ومن تلك المنطقة انتشرت العقيدة في روسيا وأوروبا الشرقية ثم غرب اوروبا وفيما بعد امريكا الشمالية.

الدين اليهودي والجنس اليهودي

مما سبق أعلاه يتضح لنا ان الدين اليهودي هو الذي انتشر - إذ تبنته اجناس لاتمت مورفرلوجيا ولا وراثيا لليهود القدامى، وهذا ما يفسر لنا التفاوت الكبير في الملامح الظاهرية لمعتنقي العقيدة اليهودية من الصفات الزنجية الى الهندية فالسامية ثم الآرية الأوروبية، وهنا يحسن ان يستعان برأي الخبراء في هذا الشأن :

رأي الخبراء والعلماء

١ - الدكتورة كاثيلين كينيون

باحثة الاثار المشهورة والمحاضرة في جامعة لندن وصاحبة الاكتشافات الهامة في أريحا القديمة تقول (إن ترادف كلمة (عبراني) و(عبيرو) و(خبيرو) و(هبيرو) وتطابقها في المعنى لا يثير اي اعتراض لغوي)، اي أن هناك اتفاق على ان هذه المصطلحات مترادفة ثم تستطرد الباحثة فتقول (وإن العبيرو لايمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب الى جنس واحد... فهم أجانب او غرباء ... وإن أنسب ما يمكن ان ينطبق عليهم من التفاسير أنهم عصابات مغامرة[١٩٥]).

مما سبق يتضح أن اصطلاح كلمة يهودي تعني فئة تدين باليهودية وليس لها علاقة بتحديد جنسية تلك الفئة التي تتبع اكثر من جنس واحد.

٢ - المؤرخ الفرنسي غوستاف لويون

يقول عنهم (كان بنو إسرائيل أقل من أمة.. كانوا أخلاطا من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة أفاقة بدوية، تقوم حياتها على الغزو والفتح و... انتهاب القرى الصغيرة [١٦٠]).

---

١٥٩ - العامري محمد أديب، المرجع السابق، ص ١٢٧ .

١٦٠ - د. هيكل يوسف، المرجع السابق، ص ٤٨ .

كمـا قـال عنهم أيضـا (لم يكن لليـهـود فنـون ولا علوم ولا صناعـة.. واليـهـود لم يأتـوا قط بأية مساهمة مهما صغرت في تشييد المعارف البشرية [١٦١]).

٣ -السيد المسيح :

قـال عنهـم نبـي المحبـة والسلام (ضلوا كلهم فـرذلوا وليس أحـد منهم يحمل الصـلاح وأفـواههم مملوءة لعنة ومرارة، وأرجلهم سارعة إلى سفك الدماء). (الإصحاح الثـالث من رسالة بولس إلى أهل روما، أوردها د. يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، ص ٥٥).

٤ - الكاتب الفرنسي فولتير

يقول هذا الكاتب الشهيـر (كيف يمكن الاعتقاد بان كل ما تقصه التوراة هو من وحي إلهي؟ فإذا كان الله هو الذي أملى التوراة، يحق لنا ان نعجب! انه يكون ذا أفكار خاطئة جدا في علم الفلك وفي علم تاريخ الحوادث ويجهل الجغرافيا جهلا تاماً) سفر التثنية ١٤.١٣ [١٦٢].

٥ - المؤرخ البريطاني هـ. ج. ويلز

من صنع من ؟

العلامة البـريطاني الكبير هـ.ج ويلز تساءل (هل التوراة هي التي صنعت اليهود ام ان اليـهود هم الذين صنعـوا التـوراة؟) وقـد أجاب الأسـتـاذ احـمـد الشـقـيـري على هذا التـساؤل بقـوله (والواقع ان اليـهود واحـبارهم القـدمـاء هـم الذيـن صنعـــوا التوراة، وكـانت التوراة بعـد ذلك تصنع اليهود جيلاً بعد جيل [١٦٣])

٦ - البروفيسور توماس ل، طومسون

يذكـر هذا البروفـيـسور الامريكي (ان العـهد القـديم (التـوراة) لم يكن تاريخا تحول إلى خيـال بل خيـالا تحول الى تاريخ) ويقول كذلك (في الأوساط الأكاديمية في أوروبا هناك مَنْ لم يَعُـد يعد يعتبر التوراة عنوانا للحقيقة ويُشكّك بسلامة اعتمادها اساسا للتاريخ [١٦٤]).

---

١٦١ - زعيتر عادل(تعريب)، اليهود في تاريخ الحضارات، نقلا عن احمد الشقيري، خرافات يهودية، ص ١٨٢ .

١٦٢ - الدجاني سعد يوسف ، فلسطين والتحديات التوراتية، ص ٤٤ نقلاً عن كتاب فولتير حياته وآثاره وفلسفته. ض ١٥ ترجمة صباحة محي الدين.

١٦٣- الشقيري احمد ، المرجع السابق، ص ٧٦ .

١٦٤ - توماس ل، طومسون، المرجع السابق ص ٥، ١٤ .

٧ - الكاتب والفليسوف الانجليزي (برنارد شو)

هذا الكاتب الذي يحظى باحترام خاص من غالبية الدوائر الثقافية في مختلف البلدان طالب (بمصادرة نسخ الكتاب المقدس (التوراة) ومنع تداولها لأن كتابهم المقدس يحث على العنف والجريمة بأبشع صورها) [١٦٥].

٨ - الباحث العربي السوري فراس سوداح

المؤلف يبحث ويتفحص سفر القضاة من التوراة فيقول (معظم هذه الاقاصيص كانت على ما يبدو حكايات شعبية فلسطينية متداولة خلال العهد الفارسي، انتقاها ورتبها المحررون في تسلسل زمني غير مضطرد بالمفهوم التاريخي لتسلسل الأحداث، وذلك من اجل ملء الفترة الزمنية التي افترضوها ما بين دخول الإسرائيليين أرض كنعان وقيام المملكة المتحدة بعد ذلك بقرنين من الزمان) [١٦٦].

٩ - شكسبير الشاعر الانجليزي الفذ

نظم هذا الشاعر الذي يعتبر من أشهر شعراء الجنس البشري رواية باسم تاجر البندقية(فينيسيا) يصور فيها الشخصية المركزية في الرواية (المرابي اليهودي شيلوك) وضع فيه كل الصفات التي تداولتها الأجيال عبر العالم عن نفسية المرابي الأناني الوصولي فاقد الرحمة والضمير.

١٠ - الأديب الروسي ديستويفسكي

نشر الدكتور فهمي عبدالسلام مقال (النبوءة والأدب) في الصفحات ١١٨ - ١٣٧ من مجلة الهلال المصرية عدد يناير ٢٠٠٢ .

وقد اقتطف من الأديب الروسي الشهير ديستويفسكي عن نبوءة له عن اليهود يقول فيها (الويل للإنسانية من المتعلمين اليهود الذين يدعون الإلحاد) وحذر ديستويفسكي من اليوم الذي سيسيطر فيه اليهود على العالم، إذ، كما يقول كاتب المقال، (سيسخرون الدنيا كلها لخدمة تعصبهم المتوحش وغطرستهم البغيضة) وها نحن نراهم يسيطرون على الاقتصاد والسياسة والإعلام وعلى مراكز صنع القرار.وفي مكان آخر يقول الكاتب... (فاليهودية عند ديستويفسكي هي انعدام الرحمة) ومن يراقب ما يمر به الشعب الفلسطيني على يد اليهود الصهاينة لايحتاج الى برهان آخر (ص ١٣٦ - ١٣٧) من عدد مجلة الهلال المذكور.

---

١٦٥ - د. الخولي محمد علي، اليهود من كتابهم، ص ١٢٤ .

١٦٦ - سوداح فراس، آرام دمشق واسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ص ١٠٣ .

١١ - التوراة

التوراة الحقيقة أُنزلت على النبي موسى عليه السلام الذي عاش سنة ١٢٩٥ ق.م ونقلها بدوره إلى أحبار اليهود، هذه التوراة فقدت من بين أيدي جنود نبوخذ نصر أثناء سبي اليهود إلى بابل عام ٥٨٩ق.م. حاخامات اليهود بدأوا في إعادة كتابة التوراة اثناء السبي البابلي وما بعده اي ابتداء من العام ٥٨٦ق.م. بعد فجوة زمنية تبلغ حوالي سبعمائة سنة من نزول التوراة على النبي موسى عليه السلام، فكانت تتناقل خلالها شفويا من جيل إلى جيل لذلك يعتقد الكثيرون أن نصوصا عديدة فقدت ودخل بدلا منها كثير من الدس والتحريف والتغيير بالإضافة إلى تعلميات وتفاسير من قبل الحاخامات أنفسهم، لذا جاءت التوراة مليئة بالأساطير البابلية والكنعانية، وبها كثير من الفظائع والتهتك والجنس وتتنافى مع كتاب أنزله الله عز وجل.

التوراة دستور أخلاقهم

تعتبر التوراة الينبوع الفكري للمجتمع اليهودي من المهد إلى اللحد، لذلك اصبح من واجب (المتعامل مع المجتمع اليهودي اولا ان يعرف توراة اليهود معرفة شاملة كاملة) حتى (يعرف جيدا الأخلاق التي جبل عليها اليهود) [١٦٧].

هذه النتيجة وصل إليها الباحث الأمريكي الأستاذ (تانارين) الذي أجرى استفتاء بين طلبة وطالبات في مدارس بتل أبيب ومستعمرتين اخريين (الصف الثامن)، فجاءت إجاباتهم بنسبة ٦٦ - ٩٥٪ مويدة لكل أعمال الأبادة والحرق والنهب التي قام بها يشوع بن نون كما ورد ذكرها في سفر يشوع / التوراة بالنسبة لسكان اريحا لدى احتلالها [١٦٨].

التوراة تأمر بالسرقة

(وأُعطي نعمتي لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون انكم لاتمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين) المصدر : التوراة سفر الخروج ٣، ٤ .

هذه تعليمات الرب إلى موسى، حسبما تقول التوراة، كي يسرق اليهود الشعب المصري قبل مغادرة مصر.

١٦٧ - الشقيري احمد، المرجع السابق، ص ١٣٢ .

١٦٨ - Newoutlook, Tel Aviv Jan - 1960 p 49-58.

التمييز العنصري (شعب الله المختار)

تقول التوراة إن الرب قال لبني اسرائيل، عن طريق موسى، (أنتم اولاد الرب... لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد إختارك لتكون له شعبا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض). سفر التثنية الإصحاح الرابع عشر (أحمد الشقيري) خرافات يهودية، ص ٨٥ .

(هذا التمييز أدى إلى استعلائهم على الشعوب الأخرى وأدى كذلك إلى عدم اندماجهم معها والانعزال عنها لذا فشلوا في التكيف الاجتماعي كما فشلوا في كسب ود الآخرين) [١٦٩].

هذه الحالة النفسية دفعت بهم الى أنهم خلقوا بأيديهم فكرة تجمعهم في حي منعزل (الجيتو) ولكنهم ألصقوها تهمة بالآخرين.

التلمود يكمل دور التوراة [١٧٠]

التلمود كلمة تعني التعاليم وهي عبارة عن تفسيرات للتوراة يعتقد اليهود انها أُنزلت على النبي موسى عليه السلام بعد ان تلقى التوراة ونقلها إلى تابعيه ثم جرى تسجيلها بعد بضع مئات من السنين.

والتلمود بهذا هو التعلميات والأنظمة التي يجب على اليهودي المؤمن اتباعها حرفيا، ويتميز التلمود بأنه يحدد منوال الحياة اليومية والنظرة الى الآخرين تحديدا واضحا ليس فيه لبس أو غموض.

يصف التلمود المسيحيين بأنهم وثنيون، أسوأ من الأتراك (المسلمين)، القتلة، الزناة، نجسون، يشبهون الروث، ليسوا كالبشر بل بهائم، حيوانات اسوأ من الحيوانات، ابناء الشيطان، أرواح المسيحيين ارواح شريرة ونجسة. الكتب المقدسة لدى المسيحيين كتب هرتقة، مجلدات الشر، كتب الشيطان.

يجب السخرية بأوثان المسيحيين، محظور منح المسيحي هبات، يجوز لليهودي التعامل بالربا مع المسيحيين، يستطيع اليهودي الكذب والحلف بيمين باطلة لإدانة المسيحي، يجب قتل المسيحيين لأنهم طغاة.

١٢ - دلو من ضمن الدلاء

إن كان لمؤلف هذا الكتاب ان يدلي بدلوه في هذا الموضوع فيمكنه القول ان التوراة التي نعرفها نشأت على يد الحاخامات اليهود بعد السبي البابلي وخراب الهيكل وتدمير مملكة يهوذا ومن قبلها مملكة السامرة -إن وجدنا حقا - وتمت كتابة هذه التوراة عبر خمسمائة سنة متضمنة خرافات

---

١٦٩ - د. الخولي محمد علي، المرجع السابق، ص ٤٧

١٧٠ - العالم الروماني (نسبة الى روما) الاب، أي بي برانايتس، فضح تعليمات الحاخامين السرية، إعداد زهدي الفاتح.

كثيرة وميثولوجيا مستعارة من التراث البابلي الآشوري في بلاد مابين النهرين ومن القصص الشعبي السائد في أرض كنعان وقت كتابة التوراة. أما المعايير السلوكية والأخلاقية التي أوردتها التوراة في سفر يشوع وما تلاه (الملوك) وكذلك قصص الانتصارات الدونكوشيتية التي أسقطت أسوار مدينة أريحا بنفخة بوق، فلم تزد عن كونها خيالات نفوس مريضة وتعبير عن الشعور بالنقص والعجز لسبايا مشردين في الآفاق. هذه التخيلات لم تتواجد قط أبدا إلا على يد أبناء صهيون في القرنين العشرين والحادي والعشرين بعد الميلاد وبمعونة غير محدودة من أرباب الاستعمار وأعداء الشعوب بريطانيا ومن بعدها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبذلك نستطيع ان نخلص إلى القول أن التوراة اختلقت أحلام اليهود أما الصهاينة فقط حققوا تلك الأحلام لأول مرة في النصف الأخير من القرن العشرين في فلسطين.

ثانياً : هل كان العرب أنداداً أكفاء في هذا الصراع؟

كان العرب شعوبا ودولاً وحكومات وجيوشا بما فيهم الشعب العربي الفلسطيني كيانات هزيلة مهلهلة ضعيفة ومفككة. استباحهم واستنزف استعمار جاهل وحشي: تركي، عثماني، لمدة خمسمائة عام تقريبا فمنع عنهم ضوء العلم والتعلم واستنزف قواهم البشرية والاقتصادية ثم تلقفتهم قوى الاستعمار الكبرى الطامعة في خيرات بلادهم ومركزها الاستراتيجي بين القارات.

دخلوا معركة غير متكافئة ضد هذه القوى العظمى، خاضوا الصراع غير مهيئين ولا قادرين : في المغرب العربي (فرنسا)، ليبيا (ايطاليا)، مصر والسودان (بريطانيا)، عدن والجزيرة العربية (بريطانيا)، الهلال الخصيب (بريطانيا وفرنسا والصهيونية العالمية ومن ورائها الولايات المتحدة).

كان الفرق بينهم وبين الطامعين ثلاثمائة عام من التخلف والاستنزاف يقابلها ثلاثمائة عام في أوروبا من الثورة الصناعية والتجارية والتقدم العلمي والتحرر الفكري.

لذا كانت نتيجة الصراع محسومة سلفا لصالح الطامعين في تركة الرجل المريض (الخلافة العثمانية) بعد أن قضوا عليه وواروه التراب في الحرب العالمية الأولى.

في هذا الإطار يخطر بالبال حادثتان وقعتا قبيل وأثناء معركة الأمة العربية ضد هؤلاء الغزاة ولعل في سردهما تبيان للقارىء عن معنى الفارق بين حالنا وجاهزيتهم.

الحادثة الأولى أراضي مْكِيسْ (ام قيس)

يورد الدكتور على محافظة مقتطفا من الأب هنري لامنس اليسوعي في مقال نشره في مجلة

المشرق عام ١٨٩٩ بعنوان (اليهود في فلسطين ومستعمراتهم) استعراضا للمستعمرات اليهودية في فلسطين وتاريخ إنشائها والجماعات التي تقف وراءها ثم يذكر انه (... ولما اجتزنا منذ ثلاث سنين في تلك الأقطار أخبرنا مختار مكيس (ام قيس) ان للبارون دي روتشيلد عمالا في تلك الأقطار (شرق الأردن) والنواحي يطوفونها في كل جهاتها ليتملكوا اراضي يجعل فيها اليهود ليفلحوا غلاتها [١٧١] انتهت الحادثة الأولى.

في العام ١٨٩٧ يرسل أحد أغنى أغنياء العالم البارون اليهودي دي روتشيلد وكلاءه إلى شرق الأردن لشراء أراض زراعية في منطقة ام قيس، لكن المعروف ان هذه القرية تقع على سفوح وادي اليرموك وليْست الموقع الأفضل في شمال شرق الأردن (منطقة إربد) من حيث صلاحية أراضيها للزراعة !! فلماذا تم اختيارها بالذات؟؟ الجواب حتى يسيطروا على منابع نهر اليرموك، أين كنا نحن جميعا حينئذ؟؟

الحادثة الثانية (لاتنسوا)

منذ سني الخمسينات الأولى من القرن العشرين سعد مؤلف هذا الكتاب بلقاءات عدة بأستاذ الجيل وشيخ المناضلين الأستاذ بهجت ابوغربية. كان الحوار دوما يدور حول قضيتنا القضية الفلسطينية والأسباب التي أدت إلى وصولنا إلى ما نحن فيه، وأذكر أنه أورد لنا الحادثة التالية (في عام ١٩٤٨ قام الشباب العربي في مدينة القدس بإصدار قائمة باللغة الإنجليزية عنوانها (Do not Forget) ذكر فيها تواريخ الاعتداءات التي نفذتها العصابات الصهيونية ضد أفراد من القوات المسلحة البريطانية والكوادر المدنية كذلك خلال أعوام ٤٥-٤٧ وتم توزيعها على أوسع نطاق على أمل استنفار هذه الفئات العسكرية البريطانية ضد اليهود) ثم يستطرد الأستاذ ابوغربية فيقول :

(ذات يوم جاءني ضابط استخبارات بريطاني أعرفه ويعرفني من أيام النضال والاعتقالات، أراني نسخة من النشرة وطلب إن كنت أعرف مصدرها كي يحصل على نسخ اضافية يقوم بتوزيعها. الحقيقة كما خمنتها أنه أراد استدراجي لمعرفة الجهة التي أصدرت هذه النشرة، ولما كانت أيام بريطانيا قد غدت معدودة في فلسطين لم اكترث وقلت له لدي الكثير منها وأعطيته كمية مما يتوفر لدي.

أثناء الجلسة سألته سؤالا واضحا وأصررت عليه ان يكون صادقا في الإجابة، سؤالي كان (ماهي احتمالات نتائج هذه الحرب الدائرة بيننا وبين اليهود بعد أن تدخل الجيوش العربية الحرب الى جانبا؟؟).

١٧١ - د. محافظة علي، الفكر السياسي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٨٤، ص ٢٠ .

نظر إلي باستغراب وقال ما معناه : (هذا سؤال جوابه معروف وواضح للجميع).
ثم أجاب (سينصر اليهود بوجود الجيوش العربية بكاملها). أعدت عليه السؤال فأجاب (الاحتمال ٩٩,٩٩٪ لصالح اليهود إلا إذا حصلت معجزة غير طبيعية فقد ينتصر العرب). والمؤلف يضيف في هذا المقام : في ذلك الوقت كان اليهود يمتلكون حكومة منذ أكثر من عشرين سنة. لدى اليهود أربعين إلى ستين ألف مقاتل مدرب مجهز ومجموع الجيوش العربية أقل من عشرين ألفا تجهيزها سيىء وتدريبها أسوأ.
لليهود قيادة واحدة مخلصة لقضيتهم وللعرب ست قيادات منفصلة لا تنسيق بينها.
الأموال العالمية تردف المجهود الحربي اليهودي فماذا كان لدى العرب ؟
حادثتنا هذه لوقيلت بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ لصدق الحال.
ولو استدرجناها لتحليل النتائج السياسية لحرب رمضان ١٩٧٣ لما تغير الحال ايضا.

ثالثاً : هل أخطأ الفلسطينيون حين رفضوا غالبية ما عرض عليهم من حلول وسط مباشرة من قوى الاستعمار او عبر أقنية عربية وليست هي بالعربية؟
لايريد المؤلف أن يظهر بمظهر الغباء أمام قرائه. فهذه الأيام والتجارب المريرة التي مر بها الشعب العربي الفلسطيني منذ أن ولج باب أوسلو ومفاوضاتها تصرخ بكل عنف ووضوح أن دور القوى العظمى التي تسمي نفسها وسيطة ومحايدة هو إنشاء وتقوية الكيان الصهيوني في صميم الجسم العربي تنفيذاً لمقترحات لجنة (كامبل) وتوصيات بروتوكولات حكماء صهيون.
لقد وقع الصهاينة الف اتفاقية واتفاقية ومزقوها جميعا وكذلك الدول الكبرى (بريطانيا، فرنسا وأمريكا) تنصلت من التزاماتها لتوريد السلاح للدول العربية في بداية عام ١٩٤٨ حين شكت برجحان الكفة العربية.
لذا عرف الشعب العربي الفلسطيني بغريزته وتجاربه السياسية المريرة ان العدو يقدم اليوم عرضا او انتقاما كهدنة مؤقتة لايلبث ان يتجاهلها كلما سنحت له الظروف وبالتالي فأي قبول او اتفاق مرحلي معهم سيؤدي الى نفس النتائج.

الخاتمـــــة

ماهو الموقف وماهي التوقعات على المدى الزمني الأبعد لهذا الصراع؟

هذا سؤال يجاب عليه بمجموعة اسئلة:

أين هي الإمــبـراطوريات التـي حكمت العـالـم المعـروف وقت سطـوتها اليـونان، الرومـان، الفـراعنة، الفـرس، اسكندر المقدونـي... كل هؤلاء وغيـرهم حكمـوا لفتـرة من الزمن ثم أنطووا وانطفأوا في زاوية عتمة من زوايا التاريخ.

من كان يصدق ان الأسد البـريطاني الهصـور سيخـرج من الهند (درة التاج البـريطاني) ثم يزحف لاهثاً من مستعمرته هونج كونج (عاصمة المال في العالم) ؟؟

من قال ان العملاق الاتحاد السوفيتي سيتفجر ويتناثر من الداخل ؟؟

التاريخ يقول وكذلك مفكر أندلسي (لو دامت لغيرك ماوصلت اليك)

وتتويجا لهذا البحث علّمنا القرآن الكريم.. وتلك الأيام نداولها بين الناس).

ولسوف يأتي يوم تسطع فيه شمس الحقيقة والحق.

وتــرتـفــع رايــاتــنــا

حـــرة خــفــاقـــة

فـــــي بـــلـــــدي

يــافـــــــــــــا

عزيزي القارىء : يعتذر المولف إن لم يُحِطْ بقدر كاف بكل عناصر هذا البحث وعزاؤه ان الكتاب كعمل انساني لابد ان يشوبه بعض النقص.

ملحق رقم (١)

العبيرو (عبرانيون) عبروا يافا

حسب المصادر التوراتية واليهودية الأخرى*

السنة	الحدث	المصدر		
		الصفحة	المؤلف	الكتاب
١٨٠٠ ق.م	آزر بن ناحور الآرامي أبو ابراهيم غادر أور جنوب العراق إلى حران على نهر الفرات شمال سوريا ومعه ابناؤه وعشيرته. تنقل الابن ابراهيم* بين المدن واستقر في نابلس ثم بئر السبع وانتقل الى مصر حيث قدم زوجته لفرعون مصر على أساس أنها اخته، لما علم فرعون انها زوجته وليست اخته غضب عليه وطرده من مصر فغادر إلى بئر السبع حيث تزوج هاجر	٤٢	يوسف هيكل	فلسطين قبل وبعد
١٧٩٤ ق.م	ولادة اسماعيل من زوجته هاجر	٢٦	سعد الدجاني	فلسطين والتحديات التوراتية
١٧٨٠ ق.م	ولادة يعقوب من زوجته سارة	٢٦	= =	= =
١٦٥٦ ق.م	يعقوب الذي أصبح يدعى (اسرائيل) وأهله التحقوا بابنهم يوسف في مصر	٤٥	يوسف هيكل	= =
١٣٠١ - ١٢٣٤ ق.م	تحولوا إلى عبيد وخدم لدى المصريين في عهد رمسيس الثاني	٤٦	= =	= =
١٢٢٧ ق.م	الهروب من مصر بقيادة موسى. خلال إقامتهم في سيناء أرسلوا رسلا الى فلسطين فوجدوا ان مدنها منيعة محصنة فتخلوا عن موسى وبقوا في	٤٦	= =	= =

* تشكوا الغالبية العظمى من الباحثين خلو المصادر التوراتية واليهودية الأخرى من ذكر أي اماكن او ملوك او حوادث للممالك المعاصرة حتى يمكن الرجوع إلى وثائق تلك الممالك للتاكد من صحة الرواية التوراتية خاصة للفترة الزمنية ما قبل عام ٨٥٠ق.م لذا لزم التنويه المذكور اعلاه.

السنة	الحدث	المصدر		
		الصفحة	المؤلف	الكتاب
	تيه سيناء أربعين سنة. خلال هذه المدة أُوحي إليه بشريعته وهو في قرية مدين جنوب سيناء. لكن قومه قاوموه وأصروا على عبادة الأوثان			
١١٨٧ ق.م	احتلال اريحا بقيادة يوشع بن نون عن طريق شرق الأردن	٤٧	= =	= =
١١٧٠ تقريبا	موت يوشع بن نون			
١١٧٠ - ١٠٢٠ ق.م	عهد حكم القضاة (١٤ قاضيا) مدته ١٥٠ سنة من أشهرهم جدعون وشمشون.	٤٨	= =	= =
	غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي العالمي وصف سلوك اليهود في هذه المرحلة بأنهم أقل من أمة، أخلاط من عصابات جامحة وقبائل أفاقة بدوية.	٤٨	= =	= =
١٠٥٠ ق.م	معركة أفيق (رأس العين) بين الفلسطينيين واليهود، انتصر الفلسطينيون واستولوا على تابوت العهد.	١٤١-١٤٢	أحمد الشقيري	خرافات يهودية
١٠٢٠ ق. م	تعيين شاؤول ابن قيس أول ملك لليهود فيما بعد قتله الفلسطينيون	١٤	د. عبدالوهاب الكيالي	تاريخ فلسطين الحديث
١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م	اختار اليهود داوود بن يسي ملكا لهم وبدأ حكمه تحت سيطرة الفلسطينيين ثم تغلب عليهم بجيش قواده مرتزقة من الحثيين والمؤابين	٢٨	بيان الحوت	فلسطين القضية الشعب الحضارة
٩٦٣ - ٩٢٣ ق. م	بعد مقتل والده عُين سليمان ملكا على اليهود حيث وصلت المملكة ذروتها وبنى الهيكل لكنه كان شهوانيا لا أخلاقيا، يبعد الضباط ليخلو له الجو يزوجاتهم، فرض الكثير من الضرائب حتى ضج الناس وتظلموا.	٥٠	يوسف هيكل	المرجع السابق

السنة	الحدث	المصــــدر		
		الصفحة	المؤلـــــف	الكـــتاب
٩٢٣ - ٧٢٢ ق.م	انقسمت الدولة بعد وفاته الى مملكتين : (أ) اسرائيل، وأُنتخب يربعام من قبيلة أفرام ملكاً عليها وعاصمتها شكيم (نابلس). (ب) دولة يهوذا حيث أصبح رحبعام بن سليمان ملكا عليها في القدس. كانت المملكتان دوما متخاصمتين وتحت سلطة مصر او آشور أو بابل، حكم اسرائيل ١٩ ملكا قتل منهم ١٠ بأيدي رعيتهم وحكم يهوذا ١٩ ملكاً أيضاً قُتل منهم ٦ ملوك.	٥١	= =	= =
	(لم يكونوا سوى حدث طارىء في تاريخ مصر وسوريا والفنيقيين) هكذا وصفهم H.GWELLS في كتابه (موجز التاريخ)	١٦	د. عبدالوهاب الكيالي	تاريخ فلسطين الحديث
٩٢٠ ق.م	شيشق ملك مصر الليبي الأصل، غزا مملكة يهودا ونهب القدس وأصبحت تابعة لمصر	١١٧	إلياس رنتيسي	تاريخ يافا
٨٧٤ - ٨٥٢ ق.م	حكم إسرائيل آخاب بن عمري الأنباطي وتبني عبادة بعل إله زوجته ابنة ملك صور وبذا اعترف بالديانة الكنعانية وتبعة معظم رعيته من اليهود.	٥٢	يوسف هيكل	المرجع السابق
٨٤٢ ق.م	في هذه الاثناء ملك مؤاب حارب اسرائيل وانتصر عليهم وسجل ذلك على نصب اسود (حجر ميشا) الموجود في متحف اللوفر بباريس.	٥٣	= =	= =
٧٢٢ ق.م	سقطت اسرائيل بيد آشور كلياً وانتهت كمملكة على يد سرجون الثاني الذي سبا اليهود إلى العراق وأسكن مكانهم قبائل من بابل وعيلام وسوريا.	٣١	سعد الدجاني	= =
٦٠٨ ق.م	وقعت معركة مجدو في شمال فلسطين.	٤٥	يوسف هيكل	= =

السنة	الحدث	المصـــــدر		
		الصفحة	المؤلـــــف	الكـــتاب
	انتصر فيها الملك المصري نخو على ملك يهوذا يوشيا وقتله وعادت يهوذا تدفع الجزية لمصر			
٥٩٨ ق.م	نبوخذ نصر يحتل القدس ويعين صدقا ملكيا عليها وسبا أهلها إلى العراق (السبي البابلي الأول).	١٦٠	د. احمد سوسة	حضارة العرب ومراحل تطورها
٥٨٦ ق.م	نبوخذ نصر يحتل القدس ثانية ويدمر الهيكل ويأخذ اليهود سبايا الى بابل (السبي الثاني)	٥٤	يوسف هيكل	= =
٤٣٢ ق.م	من خليط يهود مملكة اسرائيل وقبائل من بابل وعيلام تكون السامريون وبنوا هيكلاً لهم على جبل جرزيم في نابلس ويعتبرون انفسهم اليهود الحقيقين.	٥٢	= =	= =
٥٣٨ ق.م	كورش الثاني الملك الفارسي يحتل بابل ويسمح لليهود بالعودة الى فلسطين فيعود بعضهم فقط.	٣٨	د، عز الدين غربية	= =
٥١٦ ق.م	اعاد اليهود بناء الهيكل في القدس وعاشوا كطائفة دينية مع سكان البلاد الاكثرية العربية تحت حكم فارس وابتدعوا قوانين دينية مشتقة من الأزمنة الغابرة جمعت فيما بعد في العهد المسيحي على شكل كتاب موحد.	٥٥	يوسف هيكل	= =
٣٣٢ق.م	دخلت فلسطين تحت حكم الإسكندر المقدوني	٥٥	= =	= =
١٧٠ ق.م ١٦٣ ق.م	انطوخيوس الملك السلوقي الرابع في سوريا ولبنان وفلسطين حاول فرض اللغة والديانة اليونانية على جميع الرعايا بما فيهم اليهود فقبل البعض منهم وقام البعض الآخر بثورة عرفت باسم ثورة المكابي يهوذا الذي عرف بالقسوة والبطش لذا لقب بالمكابي اي	١٧٠ - ١٩٨	إلياس رنتيسي	= =

السنة	الحدث	المصدر		
		الصفحة	المؤلف	الكتاب
	المطرقة، فوافق الملك السلوقي على إعفائهم من هذا الأمر، ليصبح يهوذا ملكاً على اسرائيل إلا أن الصراع بينه وبين إخوته اشتد.			
١٦٢ ق.م	القائد السلوقي بناخيدس يهزم المكابيين	١٧٥	= =	= =
٦٣ ق.م	القائد الروماني بومبي يحتل القدس التي اغرقها اليهود في الفوضى والاقتتال فيما بينهم. بهذا تدخل فلسطين في الأمبراطورية الرومانية وينتهي عهد البطالسة.	١٩٢	= =	= =
٤٧ ق.م	الملك العربي الأدومي انتيباتر الذي أجبر على اعتناق الديانة اليهودية يعينه قيصر روما حاكما على مملكة اليهودية ويعين ابنه هيرودوس ملكا على الجليل	١٩٣	= =	= =
٤٠ ق.م	هيرودوس يعين ملكا على اليهودية	١٩٤	إلياس رنتيسي	= =
٣٧ ق.ب	الرومان يكملون احتلال فلسطين وينهون المملكة المكابية التي بلغت اوجها لمدة ٣٥ سنة خلال الفترة ١٠٢ - ٧٦ ق.م	١٩٤	= =	= =
٣٧ - ٣٦ ق.م	انطونيوس القائد الروماني يهدي يافا إلى كليوبترا ملكة مصر	١٩٧	الياس رنتيسي	= =
٢٢ ق.م	هيرودوس يبدأ ببناء ميناء قيسارية منافسة لميناء يافا الذي أصبح تابعا لمصر	١٩٧	= =	= =
١٩ ق.م	هيرودوس يعيد بناء الهيكل في القدس، ويعيد بناء السامرة ويسميها سبسطية	١٩٨	= =	= =

السنة	الحدث	المصـــــدر		
		الصفحة	المؤلـــف	الكـــتاب
٤ ق.م	في آخـر سنة من عـهد هيـرودوس ولد السيد المسيح عليه السلام	١٦	د. عدالوهاب الكيالي	تاريخ فلسطين الحديث
٣٢ م	تم تعيين بيلاطس الروماني حاكما على القدس واضطر ان يصدر حكما بصلب السيد المسيح بضغط وشغب اليهود وأحبارهم الذين كانوا يرددون (أصلبه دمه علينا وعلى أولادنا)	٥٥	يوسف هيكل	= =
٦٨م.	نيرون القيصر الروماني يرسل قائده المشهور فلافيوس فيسباتس ليقمع الاضطرابات اليهودية فهدم يافا وغير اسمها الى فلافيا يوبي وقضى على القرصان اليهود الذين التجأوا الى البحر فأغرقتهم عاصفة هوجاء	٢٠٦	الياس الرنتيسي	= =
٧٠م	ابنه تيتوس دخل القدس ودمرها ودمر الهيكل للمرة الأخيرة، كما اصدر مرسوما بمنع اليهود من العودة الى القدس لكثرة الاضطرابات والخلافات التي سادت بين فئاتهم المختلفة، كما شردهم في اجزاء مختلفة من فلسطين وسوريا وهاجر جزء منهم الى شمال الحجاز واستقروا بين تبوك والمدينة المنورة، ونقلوا الدين اليهودي الى بعض القبائل العربية هناك كبني قريظة وبني قينونة.	٦٥٤ ٥٦	الموسوعة الفلسطينية ج٤ يوسف هيكل	 = =
٦١٤م.	كسرى انو شروان ملك فارس احتل دمشق ثم زحف الى القدس مرورا بطبريا والجليل ويافا وكان اليهود يساعدون الفرس في هدم	٢١٨	الياس رنتيسي	= =

السنة	الحدث	المصــــدر		
		الصفحة	المؤلـــف	الكـــتاب
	الكنائس وذبح المسيحيين. حين دخل القدس بمساعدة اليهود المقيمين في داخلها أحرقوا معا كافة كنائسها، ثم عمد اليهود إلى شراء الأسرى النصارى من الفرس وجمعوهم في مقبرة ماملا في القدس وذبحوا منهم ٢٤٥١٨ اسيراً، وبعد رحيل الفرس اكمل اليهود هدم بقية كنائسها.			
٦٢٩م. تقريبا	هرقل القائد الروماني انتصر على الفرس في نيوي وأرجع أسرى النصارى وخشبة الصليب الى القدس عام ٦٣٠م ثم أنزل باليهود القصاص الصارم لاشتراكهم مع الفرس في تذبيح المسيحيين.	٢٢١	= =	= =

ايضاح :

لقد أجاد العالم المؤرخ محمد أديب العامري في كتابه (عروبة فلسطين في التاريخ) الصفحات (١٢٧ - ١٣٦) بجمع أقوال العديد من الباحثين والمؤرخين عن معنى وأصل كلمة العبيرو والعبرانيين ونقتطف هنا ما أورده على لسان عالمة الآثار الباحثة (كاثلين كينيون) من جامعة اكسفورد البريطانية (إن انسب ما يمكن ان يطبق من التعابير على العبرانيين او العيرو Hebrews-Habiro هو انهم عصابات من مغامرين وجنود مرتزقة يظهرون في الأماكن المضطربة ... ويبيعون خدماتهم كعبيد... وهم من العصاة الخارجين على القانون).

* هناك اعتقاد لدى الكثير من العلماء المختصين ان ابراهيم الآرامي من مدينة اور ليس له أية علاقة إثنية بالمجموعات التي اعتنقت اليهودية فيما بعد (سعد يوسف الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية، ص ٢٦).

** كافة السنين والتواريخ في هذا الجدول تقريبية وتختلف من مصدر لآخر بحدود تصل الى حوالي ٧٠ عاما.

المستعمرات اليهودية في قضاء يافا (١٧١)

١٨٦٤ - ١٩١٤

الرقم	اسم المستعمرة	الموقع	سنة التأسيس	المساحة/ دونم	المؤسسون
١ -	بئر يعقوب Beer Yaqov	غرب مدينة الرملة	١٩٠٧		يهود من بولندا
٢ -	بنشيمين Penshemen	٣ كم شمال شرق اللد	١٩٠٦		يهود من اليمن
٣ -	داوران (ديران) Rohovot (رخوبوت) الأماكن الرحبة	جنوب غرب الرملة	١٨٩٠	٤٣١٣	يهود من روسيا وبولندا
٤ -	عكرون Accaron Mazkeret Betya)	جنوب الرملة (قرب قرية عاقر)	١٨٨٣	٧٠٠٠	اللورد ادموند روتشيلد
٥ -	عيون قاره (Richonlezion)	جنوبا شرق يافا	١٨٩٩	٥٩٤٠	روتشيلد
٦ -	قطرة يهودا	جنوب الرملة	١٨٨٤	٢٨٠٠	يهود روس روتشيلد
٧ -	ملبس (بيتح تكفا) (Peta Tikva) باب الرجاء	شمال شرق يافا قرب راس العين	١٨٧٨	١١٤٣٥	
٨ -	نيتر (Mekveh Israel) مدرسة زراعية امل اسرائيل	شرق يافا	١٨٧٠	٢٦٠٠	كارل نيتر
٩ -	وادي جنين Ness Tsiyona	جنوب شرق يافا	١٨٨٥	١٣٥٠	حاخام راؤوبين
١٠ -	تل أبيب / تل الربيع	شمال يافا	١٩٠٩		
١١ -	بيت فيجان / بتيام	جنوب يافا	١٩٢٦		

١٧١ محمد سالم غثيان الطراونة، قضاء يافا ١٨٦٤ - ١٩١٤، ص ١٠٦ - ١٠٩، ٢٧٠ ومصطفى مراد الدباغ، المرجع السابق، ص ٩٢٠. كذلك انيس الصايغ، المرجع السابق، ص ٥١ .

ملحق رقم (٢)

يافـــا وعاديـــات الزمـــن

كانت يافا، منذ فجر التاريخ . ميناء رئيسا على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط ونقطة ابتداء والتقاء طرق التجارة العالمية البرية والبحرية لمهد الحضارات الأولى في بلدان الهلال الخصيب وفي منطقة متوسطة بين حضارة وادي النيل وحضارات بلاد مابين النهرين.

لذا لا غرو أنها كانت عبر تاريخها الطويل محط أنظار القوى العظمى والفاتحين فغدا تاريخها سجلا حافلا للحروب وصراع الحضارات وتبادل السيطرة والتدمير والسبي والحرائق والمجاعات.

وقد شهدت هذه المدينة الباسلة خلال الأربعة آلاف عام من عمرها الكوارث والعاديات من كل لون وجنس وأهمها :

الكوارث والعاديات	عدد المرات
حصار، احتياح واستيلاء	٥٤
تدمير	٨
نهب	٩
تهجير وسبي	٩
مذابح	٢٣*
زلازل	٩
مجاعات عامة	٨
اوبئة عامة (طاعون، كوليرا)	٨

رغم هذا وذاك بقيت يافا صامدة خالدة، يافا بقيت هناك على التلة البحرية ولازالت. ذات يوم ستقذف بالنير الاستعماري الصهيوني الى الجحيم في زاوية عتمة سوداء من التاريخ البشري. وتبقى هناك أيضا.

---

* ثمانية عشر من هذه المذابح سجلها تاريخ المجتمع الانساني على العصابات الاجرامية الصهيونية

المراجع : جواد الحمد : الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، الموسوعة الفلسطينية، غازي السعدي : من ملفات الإرهاب الصهيوني.

يافا وعاديات الزمان

الصفحة	المؤلف	الحـــــــدث	السنـة
٧٦	حنا رنتيسي	**مرحلة ماقبل الميلاد** جيحوتي قائد الفرعون تحوتموس الثالث حاصر يافا واحتلها بخدعة تشبه خدعة حصان طراودة ونهبها وسبى أهلها إلى مصر (بردية هاريس).	١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م
٩٨	= =	شعوب البحر، خلال حكم الفرعون مرتباح ابن رمسيس الثاني احتلوا يافا وحرقوها بما في ذلك نصب باب النصر لرمسيس	١٣٢٤ - ١٣١٤
١٠٩	= =	سنحاريب ملك آشور احتلها ونهبها وفرض عليها الجزية	٧٠١
١٣٣	= =	كورش الفارسي احتل يافا وفرض عليها الجزية	٥٣٨
١٤٩	= =	الفرس أعطوا يافا هدية للملك صيدا لمساعدته لهم في احتلال مصر	٤٠٠
		العهد الهلينيستي	
١٥٥	= = = =	بطليموس قائد الاسكندر في مصر انتزع يافا من قائد سوريا لاوميدون	٣٢١
١٥٥		انتيجونس قائد الاسكندر في العراق حتى الهند احتل سوريا وفلسطين بعد ان هزم سلوقوس	٣١٢
١٥٦	= =	بطليموس استرجع يافا من انتيجونس	٣١٢
١٥٦	= =	بطليموس انسحب من يافا وغزة الى مصر ودمر قلاعها ونهب اموال الناس ودخلها انتيجونوس.	٣١١
١٥٧	= =	رجعت يافا من جديد الى بطليموس بعد مقتل انتيجونس في معركة إبسوس	٣٠٢
١٦٧	= =	انطوخيوس الثالث استرجع سوريا ويافا من البطالسة	٢٣٠
١٦٨	= =	رجعت يافا الى حكم البطالسة	٢١٧
١٦٨	= =	انطوخيوس الثالث استرجع يافا	٢٠٥
١٧٤	= =	المكابيون برئاسة يهوذا المكابي هاجموا يافا ولم يقدروا عليها فحرقوا السفن في الميناء	١٦٥

السنة	الحدث	المؤلف	الصفحة
١٤٠	تريفون قائد انطوخيوس السادس استدرج يوناثان الحاكم اليهودي ال عكا وقتله، اخو يوناثان واسمه سمعان حل محله وأرسل قوات يهودية الى يافا فاحتلتها وطردت السكان وأسكنت يهودا مكانهم.	= =	١٧٩
١٣٨	انطوخيوس الملك السلوقي استرجع يافا من قوات سمعان لكنه انهزم امام الفرس واستعاد إبناء سمعان يافا.	= =	١٨١
١٣٥	انطوخيوس هادن هركانوس ملك اليهود وأرسل له هدايا، اليهود اخذوا موافقة روما على استرجاع يافا.	= =	١٨١
١٢٦	هركانوس ملك اليهود استرجع يافا وهاجم السامرة	= =	١٨٣
	العهد الروماني البيزنطي		
٦٣	زال حكم اليهود عن يافا وأصبحت تابعة مباشرة للحاكم الروماني في دمشق	= =	١٩٣
٤٠	هيرودس بواسطة روما عين ملكا على اليهودية واحتل يافا	= =	١٩٥
٣٦-٣٧	انطونيوس القائد الروماني اعطى يافا هدية الى كليوبترا.	= =	١٩٧
٣١	بعد انتحار انطونيوس واستيلاء قيصر على السلطة في روما، هيردوس تقرب إليه فأعاد له يافا.	= =	
٣٥م	حاكم سوريا الروماني كاستيوس جالوس احتل مدن الساحل بما فيها يافا	= =	٢٠٢
٦٧+٦٨	فسبسيان احتل يافا لمطاردة القراصنة اليهود وتم هدم يافا، اما اليهود ففروا إلى البحر حيث غرقت بهم السفن.	= =	٢٠٥ + ٢٠٦
٢٦٠	زنوبيا حكمت سوريا والساحل بما فيها يافا	= =	٢١٦
٢٧٢	الرومان اسطقوا زنوبيا وعادت يافا الى حكمهم	= =	٢١٦
٦١٤	اليهود عاونوا الفرس على احتلال فلسطين ويافا وتدمير المسيحيين وكنائسهم	= =	٢١٩
٦٣٠	هرقل انتصر على فارس واعاد فلسطين ويافا الى حظيرة الدول البيزنطية	= =	٢٢١

السنة	الحــــــدث	المؤلف	الصفحة
	الفتح العربي الإسلامي		
٦٣٦	العرب المسلمون حرروا فلسطين ويافا	= =	٢٥٤
٦٣٩	انتشار طاعون عمواس	الدباغ	٣٥
٩٧٠	الفاطميون حاصروا يافا واستولوا عليها	أ. الرنتيسي	٢٧٤
٩٧١	القرامطة حاصروا يافا حتى أكل الناس الميتة	= =	٢٧٥
٩٧٥	القرامطة وأتراك افتكين (الدولة العباسية) احتلوا يافا	= =	٢٧٧
١٠١٦	زلزال مدمر ضرب يافا	= =	٢٧٩
١٠٣٣	زلزال مدمر ضرب يافا	= =	٢٧٩
١٠٦٨	زلزال مدمر ضرب يافا	= =	٢٨٠
١٠٧١	حصار الأخشيديين ليافا	= =	٢٩٠
	حروب الفرنجة		
١٠٩٦	الفرنجة تركوا يافا لأنها كانت خالية من السكان والأسوار مهملة	= =	٢٩٤
١٠٩٩	الفرنجة احتلوا يافا بواسطة اسطول جنوا	الدباغ	١١٤
١١٢٣	حصار من قبل الفاطميين يفشل لوصول نجدة بحرية للفرنجة	= =	١١٦
١١٨٧	الملك العادل حاصر يافا بعد النصر في حطين واحتلها ونهبها وسبى اهلها	= =	١١٧
١١٩١	تهجير السكان بسبب اقتراب قوات المانية وأمر صلاح الدين بهدمها	= =	١١٨
١١٩١	ريكاردوس قلب الأسد احتل يافا	= =	١١٨
١١٩٢	صلاح الدين وأخوه الملك العادل حررا يافا وسبيا أهلها وهجروهم ثم جاءت نجدة من عكا بحرا فأنقذت القلعة وانسحب العرب ووقعوا معاهدة للصلح ارجعت يافا الى الفرنجة	= =	١١٩
١١٩٧	الملك العادل استرد يافا بعد حصار شديد وخربها	= =	١٢١
١٢٠٤	صلح بين الملك العادل والفرنجة وانسحب الملك العادل من يافا واحتلها الفرنجة	= =	١٢٢

السنة	الحـــــــدث	المؤلف	الصفحة
١٢٦٨	الملك الظاهر بيبرس حرر يافا من أيد الفرنجة وأمر بهدم المدينة كلها واخذ اخشابها ورخامها بحرا الى القاهرة	= =	١٢٥
١٣٧٣	السلطان ناصر الدين بن قلاوون امر بتدمير رصيف ميناء يافا بعد وصول أنباء عن حملة فرنجية جيدة	عباس نمر	٢٧
١٣٩٥	بطرس الأول ملك قبرص الفرنجي دمر يافا وشرد أهلها	= =	٢٨
	مرحلة الخراب والهجر دامت ثلاثة قرون		
١٤٨٠	البدو هاجموا يافا وعاثوا فيها فسادا ونهبا وكانت مدمرة	الدباغ	١٢٨
	الأتراك العثمانيون		
١٥١٧	الأتراك العثمانيون احتلوا يافا والقدس	= =	١٣٤
١٦٦١	مجاعة شديدة بسبب الجراد ثم وباء اجتاح البلاد	= =	١٣٤
١٦٨٩	غارات البدو اشتدت وبلغت ذروتها	= =	١٣٥
١٧٦٠	انتشر وباء الكوليرا في يافا واستمر ستة أشهر	= =	١٣٥
١٧٧١	حملة محمد علي بك الكبير بقيادة (محمد بك ابوالذهب بن عبد الله) الذي حاصر يافا حتى ملكها	= =	١٣٨
١٧٧٣	اتفق ابوالذهب مع العثمانيين ضد سيده علي بك الكبير، انسحب بجيشه عائدا الى مصر واحتلها ذهب علي بك الى عكا عند حليفه ضاهر العمر وتعاونا على حصار يافا ثانيةوجاءت نجدة روسية من البحر لإسناده واستسلمت له المدينة	= =	١٤٠
١٩ أيار ١٧٧٥	ابوالذهب جهز حملة لاستعادة يافا وحاصرها حصارا شديدا تفاوضت حاميتها معه للاستسلام. لكن المماليك نقضوا الهدنة واجتاحوا المدينة وذبحو النساء والأطفال والمقاتلين ١٢٠٠-٥٠٠٠ شخص، جمعت رؤوسهم على شكل هرم وبذا دمرت يافا ثانية ولم يبق بها سكان. (الهرم المؤلف من رؤوس اليافيين أقيم على البقعة التي كانت تقوم عليها (بيارة آل مراد) الواقعة في شارع جمال باشا في جوار بناية البريد) (عائلة مراد ارمنية الأصل عميدهم اروتين كان قنصل بريطانيا في يافا ١٨٣٤)	= = = =	١٤٣ ١٤٤

الصفحة	المؤلف	الحـــــدث	السنـة
		نابليون بنوبارت	
١١٥٥ - ١٥٧	= =	الغـزو الفـرنسي، نـابليـون بونابارت حـاصـر يافـا ثم احـتلها بـعـد مـفـاوضـات ومنح الأمـان للسكان المدنيين والعسكريين ثم نقض وعده وأمـر بذبح الجميـع حيث أقيمت مجـزرة مقابل صخرة آدم ذبح فيها ٤٤٤١ شهيداً غـيـر المدنيين داخل المدينة خـلال ٤ أيام حـسبـمـا أفاد قائـداه الميجر بـتروا والقائـد ميو. انـتـشر الطاعـون بين الجنود الـغـزاة ومـن بقي حـيـا من أهل المدينة فـأمـر نابليـون إعـدام الجنود المرضـى وغـادر الى مـصـر على عجلة من أمره**.	١١٧٩
١٦٢	= =	أحـمـد باشـا الجزار أرسل جـيـشـا لمحاصرة مـحـمـد بك ابوالمرق حـاكـم يـافـا، اشـتـد الحـصـار واكـل الناس الحشرات وهرب ابوالمرق الى مصر	١٨٠٢
١٦٣	= =	سليـمـان باشـا والى صـيـدا عين مـحـمـد آغـا ابو نبـوت لإخراج ابو المرق ثانية من يافا فحاصرها ثم احتلها.	١٨٠٤
١٦٦	= =	ظهر طاعون وأودى بحياة كثر من الناس	١٨١١
١٧٤	= =	هجوم الجراد ومجاعة	١٨١٢
١٧٤	= =	هجوم الجراد ومجاعة	١٨١٦
١٤٧	= =	هجوم الجراد ومجاعة	١٨١٩
١٧٦-١٨٦	= =	ابراهيم باشا ابن محمد علي بك الكبير احتل يافا	١٨٣١-١٨٤١
١٧٨	= =	زلزال هدم بعض الابراج وقتل ٣ آلاف شخص	١٨٣٧
١١٤	أ. الرنتيسي	مـوسـمـا الأمطار كـانا غـزيريـن جـدا وتجـمـعت في البصـة المياه على شكل بحيرة ادت الى انـتـشار وباء في مدينة يافا امتد حتى عام ١٩٠٣	١٨٩٣/٢ ١٨٩٤/٣
١١٤	= =	وباء الكوليرا انتشر في المدينة	١٩٠٣
٨٨	الدباغ	الاتراك اخلوا المدينة من السكان بدعوى قرب الحرب	١٩١٥
٨٨	= =	صدور وعد بلفور	١٩١٧/١١/٢

** مذبحة تل الريش، ص ١٦، الجذور اليافية، حنا عيسى ملك

		الاحتلال البريطاني	
١٩١٧/١١/١٦	نهاية الاحتلال العثماني وبداية الاحتلال البريطاني	= =	٨٨
ايار ١٩٢١	قامت مظاهرة صهيونية بمناسبة عيد العمال ودخلت المنشية تصدى لها العرب واستمرت الإضطرابات اسبوعين وانتشرت حتى طولكرم وسقط ٤٨ شهيدا عربيا، فرضت سلطات الاحتلال الغرامات وتخريب المؤن للقرويين	= =	٢٦٠
١٩٢٩	قام اليهود بتظاهرة استفزازية قرب حائط البراق فقامت ثورة عمت كل فلسطين	= =	٢٦٤
١٩٢٩	زلزال الحق أضرارا بالمباني		
١٩٣٣	تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين أدى إلى عقد مؤتمر في يافا في شهر آذار وأعلن اضراب عام على أن يستمر اسبوعيا بالتتابع في مدن فلسطين، مظاهرة يافا كان فيها موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية وأصيب إصابات بالغة وقد توفي متأثرا بجراحة بعد حوالي السنة سقط فيها ٣٠ شهيدا	= =	٢٣٦
١٩٣٦	الإضراب العام الشامل استمر ستة أشهر وقامت ثورة فلسطين الكبرى. السلطة البريطانية قامت بحشد ٦٠ ألف جندي دون جدوى. كما قامت بنسف ٢٢١ داراً في البلدة القديمة وأصبح ٦٠٠٠ عربي بلا مأوى	= =	٢٧٣
١٩٣٧-١٩٣٩	استؤنفت الثورة لكنها توقفت بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.	= =	٢٧٥
١٩٤٧/١١/٢٩	صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة بضغط من الدول الغربية الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.	= =	٢٧٦
١٩٤٨/١/٤	نسف السراي القديمة في يافا من قبل العصابات الصهيونية فكانت ضربة معنوية هائلة لسكان يافا	= =	٢٧٨
١٩٤٨/٥/١٥	دخلت الجيوش العربية فلسطين وكان قد سقط ٤ آلاف شهيد فلسطين منذ صدور قرار التقسيم حسب إحصائيات السلطة البريطانية	= =	٢٨٤
١٩٤٨/٥/١٥	يافا سقطت في براثن الاستعمار الصهيوني الاستيطاني	= =	
١٩٥٤	سلطة الاحتلال الصهيوني تدمج يافا في تل أبيب مؤقتاً	= =	

ملحق رقم (٣)

مذابح على طراز التوراة - اليهودية الصهيونية

أهم المذابح التي اقترفتها الصهيونية المجرمة

في فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٩٤

رقم	التاريخ	المذبحة	عدد الضحايا	المنفذ	ايضاحات
١	١٩٣٦	ابوكبير / يافا		الهاجاناة	ص ٣٦، د. حمدان بدر. دور منظمة الهاجاناة في إنشاء اسرائيل ١٩٨٥ .
٢	١٩٣٨/٧/١٤	لغم سوق الخضار / يافا	١٣ شهيدا + ٢٩ جريح		المؤلف
٣	١٩٤٧/١٣	بلدة الشيخ / حيفا الشيخ بك	٦٠ أطفالا وشيوخا	الهاجاناة / بالماخ	بهجت ابوغربية في خضم النضال العربي الفلسطيني، ص ٢٥٩
٤	١٩٤٧/١٢/١٣	حساس / صفد	١٢ أطفالا وشيوخا	بالماخ	هاني الهنيدي، التقويم الفلسطيني ص ٢١٣
٥	١٤ - ١٩٤٨/٢/١٥	سعسع / صفد	٦٠	بالماخ	الموسوعة الفلسطينية ج٢ (ح ر ش) ص ٥١٦ - ٥١٧
٦	١٩٤٨/٣/٣١	ابوكبير		الهاجاناة	= = = =
٧	١٩٤٨/٤/١٠	دير سان سيمون	نساء	الهاجاناة	= = = =
٨	١٩٤٨/٤/١٠	دير ياسين / القدس	٢٤٥ نساء، اطفال، شيوخ	اتسل وإلحي	= = = =
٩	١٩٤٨/٥/١٤	ابوشوشة/القدس	٥٠	لواء جعفاتي	الموسوعة الفلسطينية قرب دير ياسين
١٠	١٩٤٨/٦/٥	بيت داراس / غزة		الهاجاناة	الموسوعة ص ٤٤٨ م١ (أ-ث)
١١	١٩٤٨/٧/١٢	اللد	٦٠٠	الهاجاناة	= = = =
١٢	١٩٤٨/٧/٣٠	عيبلون	١٤ شهيدا	الهاجاناة	اخرجوا من الكنيسة وأعدموا

رقم	التاريخ	المذبحة	عدد الضحايا	المنفذ	ايضاحات
					وطرد باقي السكان هاني الهندي ص ١٣٦
١٣	١٩٤٨/١٠/٢٨	الدوايمة / الخليل	٢٠٠	الهاجاناة	شيوخ وعائلات في الجامع ومغارة هاني الهندي ص ١٨١
١٤	١٩٥١/٢/٧	شرفات / القدس	١٠	الجيش النظامي	اطفال وشيوخ الموسوعة، ص ٦٢٩
١٥	١٩٩١/١٠/١٤	قبية / رام الله	٥٦	الجيش النظامي	تطويق ونسف بيوت الموسوعة ص ٦٢٩
١٦	١٩٥٤	دير أيوب / الرملة	٣ أطفال	١٢ جندي نظامي	الموسوعة ص ٤٢٣
١٧	١٩٥٦/١٠/١	قلقيلية	٧٠	الجيش النظامي	الموسوعة ص ٤٢٣
١٨	١٩٥٦/١٠/٢٩	كفر قاسم / قلقيلية	٤٩	الجيش النظامي	الموسوعة ص ٤٢٣
١٩	١٩٥٦/١١/١٢	مخيم خانيوس	٢٥٠	= = والكتائب اللبنانية	غازي السعدي (من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين) ص ٩٩
٢٠	/١٩٦٦/١٩٦٧	السموع / الخليل	١٨	= =	الرجع اعلاه، ص ١٠٦
٢١	١٦-١٩٨٢/٩/١٨	مخيم رفح	٢٣	= =	الموسوعة، ص ٥١٦
٢٢	١٩٨٩/٥/٢٠	صبرا وشاتيلا	٣٠٠٠-٣٥٠٠	= = الكتائب اللبنانية	المصادر الفلسطينية تقدر ٨٠٠٠ شهيد (الموسوعة)
٢٣	١٩٩٠/١٠/١٨	عيون قارا / يافا	٧	جندي اسرائيلي	الموسوعة ص ٥١٦
٢٤	١٩٩٤/٢/٢٥	مذبحة الاقصى / القدس	٢١	الجيش الاسرائيلي	= = = =
٢٥		مذبحة الحرم الابراهيمي الخليل	٢٤	مستوطنون + الجيش الاسرائيلي	= = = =

* ايضاح :

من المعروف أنه منذ عام ١٩٣٦ بدأت العصابات الصهيونية إلقاء القنابل والألغام على المقاهي والأسواق المكتظة في يافا وحيفا والقدس.

بالنسبة لحادثة لغم سوق الخضار المركزي في مدينة يافا فلم يرد ذكرها تحديدا وتفصيلا. لذا يشعر المؤلف أن عليه واجبا وطنياً أن يوثق هذه المجزرة بعد أن شهد آثارها.

بعد صلاة الجمعة يوم صيفي في الفترة ٣٧ - ١٩٣٨ مر المؤلف مع والده بسوق الخضار المركزي في نهاية شارع الصلاحي بمدينة يافا حيث يتفرع منه سوق الخضار باتجاه الجنوب. يزدحم هذا الشارع عادة ببسطات الخضار والعربات والناس، بعد ان توغلا في الشارع حوالي ١٠٠ مترا دوى صوت انفجار هائل فتراكض الناس باتجاه مدخل السوق ولم يلبث أن انتشر الخبر أن لغما أرضيا كبيرا انفجر وأسفر عن العديد من القتلى وجرح عشرات آخرين. وقيل ان قرويا افترش الأرض فوق حفرة اللغم وعرض أمامه مجموعة من الدجاج للبيع، فلما ثار اللغم طار القروي ودجاجاته في الهواء أشلاء دامية.

أصيب الجمهور بالحزن ممزوجا بالغضب والثورة. الوجوم ساد الجميع صغارا وكبارا إذا لم يكن العرب قد اعتادوا تذبيح المدنيين بمثل هذه الوحشية، فيما بعد انتشرت في يافا تفاصيل إضافية تفيد بأن اليهود جاءوا بسيارة بك أب عليها شارة شركة الكهرباء اليهودية، وقاموا بحفر حفرة كبيرة تحت عامود الكهرباء ثم عادوا وطمروها وقد أدخلوا فيها سلك كهرباء يتدلى من العامود وأن التفجير حصل فيما بعد بآلة توقيت أتوماتيكية.

ملحوظة : يعترف المؤلف أنه أثناء تحضير معلومات هذا الجدول كان يضطر في كثير من الحالات إلى التوقف عن الكتابة لأن المجازر الوحشية التي كان يعالجها تفوق قدرة احتمال الإنسان السوي في القرن الحادي والعشرين.

ملحق رقم (٤)

اتحاد طلبة يافا / اتحاد طلبة عرب فلسطين [١٧٣]

- في عام ١٩٤٧ ساد المجتمع العربي اليافي إحساس بالخطر الداهم فتنادت كافة الفئات الاجتماعية والمؤسسات إلى عمل شيء والاستعداد لمواجهة الأحداث المتوقعة.

- كان من ضمنها نادي الشبيبة الإسلامية الذي أصبح ملتقى الشباب الوطني من مثقفين وطلبة، كما أصبح أحد مراكز صنع القرار الشعبي.

- وفي أحضانه نبتت فكرة تجميع طلبة يافا وتنظيمهم في هيئةوطنية فاعلة.

فانبثق اتحاد طلبةعرب يافا من ممثلين عن المدارس الثانوية كالتالي :

المدرسة العامرية : المرحوم د. ابراهيم ابولغد، شفيق الحوت، طاهر قليوبي

مدرسة الفرير : أحمد السقا، بطرس فؤاد عبود

المدرسة الارثوذكسية : رودي صباح وطالب آخر

خريجو الثانوي : المرحوم محمد لصوي

- بعدها أرسلت وفود إلى القدس وحيفا وعكا وتم اجتماع ضم ممثلي مختلف المدن وتأسيس اتحاد طلبة عرب فلسطين.

ممثل القدس : المرحوم د. أسعد علي عكة من طلبة الرشيدية، وحضر ممثلان عن حيفا وعكا.

- اتحاد طلبة يافا العرب بادر الى تأسيس فرق إسعاف مساندة للمناضلين في جبهات القتال فكان هناك:

فرقة الجبلية [١٧٤] وتضم : طاهر قليوبي، احمد حسن حمادة، ابراهيم البرغوثي، عبدالله البرغوثي وجودت حجاب وآخرين

فرقة المنشية وضمت : شفيق الحوت وبضعة غيرهم.

فرقة متنقلة لجبهة البصة وغيرها وكانت تضم : أنوار السقا واخرين.

- تم تدريب المتطوعين على أعمال الإسعاف الأولية في دورة نظمت في الجمعية الطبية العربية ثم تلقوا تدريبا عمليا في المستشفى الفرنسي ومنحوا بطاقات مناضلي الجهاد المقدس ليتمكنوا من دخول الجبهات كما تم تزويدهم بشارات إسعاف موحدة باسم الاتحاد ومستلزمات مهامهم.

- كذلك تكونت فرقة جمع معونات للعائلات التي فقدت معيليها في القتال كان منهم ايضا متطوعون آخرون أصبحوا يقومون بخدمات مساندة في المستشفى الفرنسي.

---

١٧٣ - شفيق الحوت، مقال في كتاب يافا عطر مدينة، المرجع السابق ص ٢٣

١٧٤ - لازال المؤلف يحتفظ بهويته الصادرة عن اللجنة القومية (الصورة مرفقة) وكذلك شارة الإسعاف التي تربط على اليد حيث كان قد أخذها معه لدى مغادرة يافا واستعملها في القدس - باب الزاهرة، زاوية الهنود وحي الشيخ جراح.

- وتطوع فريق من طلبة الثانوي للعمل في ورشة تحديث وإعادة تعبئة البنادق والذخائر التي انشأتها اللجنة القومية في أحد أبنية مشروع الرياض حيث يتم توريد بنادق إيطالية من بقايا الحرب العالمية الثانية من منطقة العلمين في مصر فيجري فكها وبردختها من الصدأ وتنظيفها وتشحيمها ثم إعادة تجميعها ومع ذلك فقد انفجرت واحدة أو أكثر في المناضلين في جبهة الجبلية.

اما الذخائر (رصاص البنادق) فكان بحال أسوأ فقد كنا نفك الرصاصة من ظرفها ونفرغ الظرف من محتوياته ثم نغسلها بماء الأسيد حتى يزول الصدأ ثم نعبىء الظرف ببضعة خيوط شمع خاصة وبعض كحل البارود ثم نكبس الرصاصة (الطلقة) فيما تكبس في مؤخرتها كبسولة وهذه ايضا البعض منها تفجر في المناضلين اثناء إطلاقها.

- كان هناك كذلك فرق من المتطوعين بعدد محدود تتجول في جبهة الجبلية لمنع المدنيين من الدخول الى المناطق المكشوفة لقناصة اليهود المتركزين في مصنع البيرة ذي الطوابق الثلاث الذي كان يسيطر على كافة منطقة الجبلية، ولقد أسعف المؤلف إصابة اثنين من البحارة امام بلاج السرياني أصيبا من مصنع البيرة.

- الدورية المتجولة - طاهر قليوبي، جودت حجاب، أحمد حسن حمادة الغف قابلت مصفحة بريطانية على نقطة الالتقاء بين مستعمرة بيت يام (فيجان) والجبلية، وحاولنا ان نظهر معرفتنا باللغة الانجليزية فتحادثنا معهم وقاموا بإعطائنا كمية من رصاص البنادق.

حين ذهبنا بها الى قائد المنطقة (منطقة كرم الصوان) السيد ابراهيم حوسي [١٧٥] قال لنا (الليلة جحيم علينا لأنهم سيذهبون لليهود ويعطوهم قنابل هاون ليقصفونا بها) وهذا الذي حصل فعلاً في تلك الليلة.

---

١٧٥ - احمد زكي الدجاني، مدينتنا يافا وثورة ١٩٣٦، ص ١٦٦

المــــراجــــع

المراجع العربية

١ - الآغا، نبيل خالد : مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٩٣ .

٢ - الأفغاني، محمود عبدالحميد : ديوان الأفغاني ج ١ ، عمان ١٩٨٣ .

٣ - الأب برانايتس، أي، بي : فضح التلمود، إعداد زهرة الفاتح - دار النفائس - بيروت ١٩٩١ .

٤ - البواب، علي حسن : محادثات شفوية، عمان ٢٠٠١، استنادا إلى سجلات المحكمة الشرعية لمدينة يافا ١٧٧٩ - ١٩٠٠ .

٥ - البياتي، عبدالوهاب : ديوان أباريق مهشمة -شعر، منشورات الثقافة الحديثة ١٩٥٤ .

٦ - البياتي، عبدالوهاب : الأعمال الشعرية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٩٥ .

٧ - د. بغدادي، حسن : محاضرات الفاكهة، كلية الزراعة - جامعة الإسكندرية ١٩٥٤ .

٨ - بركات، جميل عارف : فلسطين والشعر، عمان ١٩٨٦ .

٩ - التبريزي الخطيب : شرح ديوان عنترة - الناشر دار الكتاب العربي - عمان.

١٠ - جقمان حنا عبدالله يوسف : بيت لحم ومقدساتها منذ أقدم العصور حتى عام ١٨٠٠ ق\ ج ، الطبعة الثانية - بيت لحم ١٩٩٤ .

١١ - جلدة إيليا حنا، نائب رئيس النادي الارثوذكسي عمان : حديث شفوي

١٢ - جمعية يافا العربية الخيرية : النظام الأساسي، الزرقاء - الأردن ص.ب ١٥٠٢٣٥ ، عام ١٩٩٠ .

١٣ - د. جنيدي محمود جبريل، خبير النباتات البرية لشرق البحر المتوسط : حديث شفوي

١٤ - الجواهري محمد مهدي : ديوان الجواهري المجلد الثالث / ٢٠٠٠، بيسان للنشر والتوزيع فاكس ٦٩١-١-٧٤٧٠٨٩ بيروت.

١٥ - حتي فِليب : خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الأول، الدار المتحدة للنشر - بيروت ١٩٨٢ .

١٦ - الحمد جواد : في الذاكرة الإنسانية الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، مركز دراسات الشرق الأوسط - عمان ١٩٥٥ .

١٧ - الحموي شهاب الدين ياقوت : معجم البلدان مجلد ٤، دار صادر، دار بيروت ١٩٥٧ .

١٨ - الحوت بيان نويهض : فلسطين - القضية - الشعب - الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر بيروت ١٩٩١ .

١٩ - الحوت شفيق : عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية ٦٤-١٩٨٤، دار الاستقلال للدراسات والنشر -بيروت ١٩٨٦ .

٢٠ - الحوت محمد سليم : ديوان ملاحم عربية، مطابع دار الكتب بيروت ١٩٥٨ الناشر المؤلف ص ب ١٨٨٦ بيروت.

٢١ - الخولي محمد علي : اليهود من كتابهم، دار الفلاح للنشر والتوزيع - صويلح، الأردن ١٩٩٨ .

٢٢ - الدباغ، مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، في الديار اليافية ج ٤ ، ق ٢ . رابطة الجامعيين - الخليل ١٩٧٢ .

٢٣ - الدجاني، أحمد زكي : مدينتنا يافا وثورة ١٩٣٦ - القاهرة ١٩٨٧ .

٢٤ - الدجاني، سعد يوسف : كي لاننسى يافا ، المطبعة الأهلية ومكتبتها - عمان ١٩٩١ .

٢٥ - الدجاني، سعد يوسف : فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، الوكالة العربية للتوزيع - الزرقاء ١٩٩٣ .

٢٦ - درويش محمود : ديوان أوراق الزيتون، دار العودة - بيروت ١٩٦٤ .

٢٧ - دياب، امتياز : يافا عطر مدينة، مركز يافا للأبحاث - الناصرة ١٩٩١ .

٢٨ - رنتيسي، إلياس حنا : تاريخ يافا من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ج ١، مطبعة رفيدي - عمان ١٩٩٥ .

٢٩ - أبوريشة، عمر : ديوان عمر أبوريشه، المجلد ١، دار العودة - بيروت ١٩٧١ .

٣٠ - زعيتر أكرم، القضية الفلسطينية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية - عمان ١٩٨٦ .

٣١ - السعدي غازي، من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، مجازر وممارسات ١٩٣٦ - ١٩٨٣، دار الجليل للنشر هاتف

٥٦٦٧٦٢٧ عمان ١٩٨٥ .
٣٢ - السفري عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، الطبعة الأولى، مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة، يافا ١٩٣٧ .
٣٣ - سوداح، فراس : ارام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دار علاء الدين - دمشق ١٩٩٥ .
٣٤ - د. سوسة أحمد : حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، السلسلة الإعلامية رقم ٧٩ وزارة الاعلام - بغداد ١٩٧٩ .
٣٥ - د. سوسة احمد : العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر، دمشق ١٩٧٥ .
٣٦ - شاحاك اسرائيل ونورتون متسفينسكي : الأصولية اليهودية في اسرائيل، ترجمة ناصر عفيفي - وكالة الأهرام للصحافة، مقال نشر في أربع حلقات في صحيفة الدستور اليومية الأردنية تبدأ من ٢٠٠١/١١/١٩ .
٣٧ - شراب محمد محمد حسن : معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية، الأهليةللنشر والتوزيع هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ - عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ .
٣٨ - شركة التقدم للنشر العربية - القدس : جدول الأوقات - وسائط النقل فلسطين وشرق الأردن للصناعة والتجارة المالية العربية - المجلد ٢، ١٩٤٧/٤٦ مطبعة الآباء الفرنسيس القدس. من محفوظات بلدية القدس بواسطة السيد بندلي العيسى.
٣٩ - د. الشريقي ابراهيم : أورشاليم وأرض كنعان حوار مع ملوك وأنبياء اسرائيل، مؤسسة الدراسات الدولية - لندن ١٩٨٥ .
٤٠ - الشقيري أحمد : خرافات يهودية - عمان ١٩٨١ .
٤١ - د. الشهابي احمد يحيى : طبرية تراث وذكريات - الناشر دار الشجرة - مخيم اليرموك دمشق ١٩٩٩ .
٤٢ - شوقي، أحمد : الشوقيات، ج٢، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة
٤٣ - شقر، نسيم، : يافا أمام مفترق طرق، الرابطة لرعاية شوون عرب يافا، فاكس ٠٣٦٨١٢٢٩٠ - يافا ١٩٩٧ .
٤٤ - الصافي، عبدالرضا محمد وافتخار فهيم الفرخ بدران : معجم ابناء يافا، ج١ - عمان ١٩٩٨ .
٤٥ - صايغ، انيس : بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ - ١٩٦٧) مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨ .
٤٦ - الطراونة، محمد سالم غشيان : قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤ عمان ١٩٩٧ .
٤٧ - الطوباسي اسماعيل الخطيب : كفاح الشعب الفلسطيني ١٩٠٨ - ١٩٦٥ - عمان ١٩٧٩ .
٤٨ - طومسون، توماس ل : التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ، ترجمة صالح علي سوداح، الطبعة الأولى . بيسان للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩٥ .
٤٩ - العارف، عارف : النكبة الجزء ١ - ٥، ١٩٤٧-١٩٩٥ ، المكتبة العصرية - صيدا.
٥٠ - العامري، محمد أديب، عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية - صيدا ١٩٧٢ .
٥١ - عايش حسني: الفلسطينيون أسئلة ومفارقات، مقال في صحيفة الرأي الأردنية العدد ١١٤٧٥ تاريخ ٢٠٠٢/٢/٩ - عمان.
٥٢ - العدناني، محمد : اللهب (ديوان شعر) المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا ١٩٥٤ .
٥٣ - العدناني، محمد : ديوان الروض، الجزء الخامس من العدنانيات، المكتبة العصرية - صيدا.
٥٤ - عزوني جواد محمود : خارطة (يافا ١٩٤٨ عروس فلسطين) - كويت ١٩٩٠ .
٥٥ - د. العطية خليل : الجواهري شاعر القرن العشرين، منشورات الجمل، المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٨ .
٥٦ - العقاد أحمد خليل : من هو رجالات فلسطين، مكتب الصحافة والنشر - يافا ١٩٤٥ ص.ب ٤٩٧ .
٥٧ - عوض حسن محمود : من تراثنا الشعبي في السهل الفلسطيني (في السافرية) الجزء الأول، جمعية عمال المطابع التعاونية ص.ب ٧٥٨ عمان ١٩٩٤ .
٥٨ - ابوغربية بهجت عليان : في خضم النضال العربي الفلسطيني مذكرات ١٩٠٠ - ١٩٤٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٩٣ .
٥٩ - د. غربية عز الدين : قصة مدينة يافا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٦٠ - د. غوشة، صبحي سعد الدين : شمسنا لن تغيب، مطابع القبس التجارية ١٩٨٨ .

٦١ - الفلسطينية، الموسوعة : القسم العام، المجلد ٤، هيئة الموسوعة الفلسطينية • دمشق ١٩٨٤ .

٦٢ - الفلسطينية، الموسوعة ج٢ (ح رش) ص ٥١٦ ، ٥١٧

٦٣ - د. فينكليشتاين، نورمان : صناعة الهولوكوست، ترجمة سماح إدريس، دار الاداب للنشر والتوزيع - بيروت ٢٠٠١ .

٦٤ - د. الكيالي، عبدالوهاب : تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٠ .

٦٥ - الكيلاني، هيثم المذهب العسكري الاسرائيلي، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية • بيروت ١٩٦٩ .

٦٦ - ماركيز، جابرييل جارسيا : بيان (امنحوا شارون جائزة نوبل في القتل) ترجمة د. أحمد يونس مقال نشر في صحيفة الرأي اليومية الأردنية ص ٢٩، العدد ١١١٤٦٤ تاريخ ٢٠٠٢/١/٢٩ عمان .

٦٧ - د. محافظة علي : الفكر السياسي في فلسطين، مركز الكتب الأردني - عمان ١٩٨٩ .

٦٨ - ملك، حنا عيسى : الجذور اليافية، مطبعة الشرق العربية - شعفاط ص.ب ١٩٥٠٨ القدس ١٩٩٦ .

٦٩ - ملك حنا عيسى : ذكريات العائلات اليافية بين الماضي والحاضر ص.ب ١٤٤٢٨ القدس ١٩٩٣ .

٧٠ - ناصيف إميل : اروع ما قيل في الوطنيات، دار الجليل - بيروت ١٩٩٢ .

٧١ - نعيمة ميخائيل، ديوان همس الجفون، مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٨١ .

٧٢ - نمر، عباس : يافا الحنين الأبدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - فلسطين ٢٠٠٠ .

٧٣ - مينو، إلياس شفيق : من سير القديسين ج١، جمعية الثقافة والتعليم الارثوذكسية، منشورات مدارس الأحد - عمان ١٩٩٨ .

٧٤ - الهندي هاني علي : التقويم الفلسطيني محطات في تاريخ القضية، الطبعة الأولى، عمان ١٩٩٧ ص.ب ١٤٠٣٦٤ .

٧٥ - الهلال : مجلة شهرية، العدد كانون ثاني يناير ٢٠٠٢، القاهرة ص.ب ٦١ رمز بريدي ١١٥١١ .

٧٦ - د. هيكل، يوسف : فلسطين قبل وبعد، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧١ .

٧٧ - د. هيكل، يوسف : القضية الفلسطينية تحليل ونقد

٧٨ - وايتلام كيث : اختلاق اسرائيل القديمة اسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، عالم المعرفة رقم ٢٤٩ - كويت ١٩٩٩ .

المراجع الأجنبية

1- www.angelfire.com/in/myindia/tajahal.htm

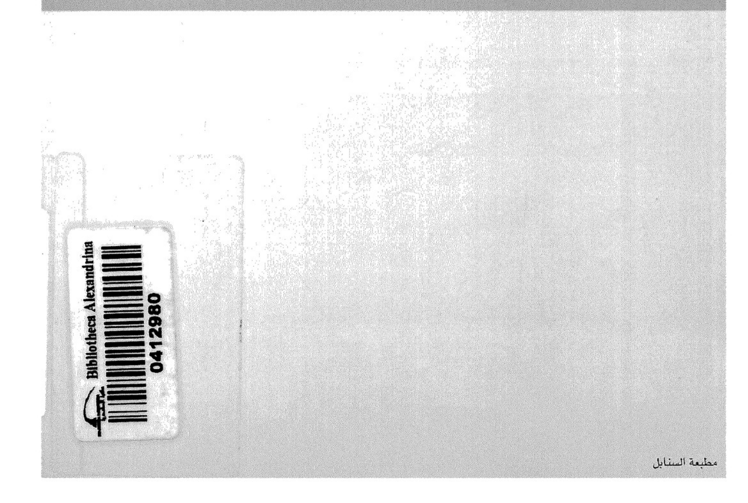
2- karoughan, Aida : The struggle Goes on, palestine Research centre - Biruot, Lebanon 1969.

3 - Karsh, Efraim : Fabricating Israeli History, the new Historians) Frank Cass & Co ltd. - London - UK 1997.

4 - Khalidi Walid : Before Their Doaispora , Institute for palestine studies - Washington DC, USA 1984 .

5 - Post, George E. Flora of Syria, Palestine & sinai pp 609 vol II 1933.

6 - New outlook - Tel Aviv Jam 1960 pp 49 - 58 مجلة



مطبعة السنابل